بيان
عن المواقف الأيديولوجية
لمنظمة
مجاهدي الشعب الإيراني

المجلد الأول

تشرين الأول ١٩٧٦

AN EXPOSE
ON THE IDEOLOGICAL POSITIONS
OF THE ORGANIZATION OF
MOJAHEDEEN OF THE PEOPLE OF IRAN

VOLUME I

OCTOBER 1976

بيان
عن المواقف الأيديولوجية
لمنظمة
مجاهدي الشعب الإيراني

المجلد الأول

تشرين الأول ١٩٧٦

من منشورات منظمة مجاهدي الشعب الايراني

الطبعة الاولى (باللغة الفارسية) ايلول ١٩٧٥

الطبعة الثانية (باللغة الفارسية) تشرين الاول ١٩٧٥

الطبعة الثالثة (باللغة العربية) تشرين الاول ١٩٧٦

١٧٢	١٨	التجربة العملية
١٧٢	٢٨	راسخة ،
١٧٤	٥	والعشوائية للمادة
١٧٤	١١	المغالطون وفوارس ميدان المثالية
١٧٤	٢١	قادرين بالقوة
١٧٩	١٤	القومية البرجوازية
١٨٠	٣	البرجوازية الكومبرادورية
١٨٠	١٩	اسسا بلائمة
١٨١	١٠	القومية البرجوازية
١٨١	١٨	في الضراب
١٨٢	١٥	والتنساوم
١٨٢	٢٤	الخمسينات
١٨٣	٦	السطى وحسب
١٨٣	٢٤	لم تستطع
١٨٣	٢٨	العنف الثوري المضاد
١٨٥	١٩	اذن ان كان
١٨٦	١٣	تشكل خطرا
١٨٦	١٤	القومية البرجوازية
١٨٧	٤	مويتيه !! (٣)
١٨٧	٨	في هذين النوعين
١٨٩	٢	وحظر الكتب
١٨٩	٦	كالتي نرضي ... هذا الاجراء
١٩١	٥	بمثال
١٩١	٣٠	الندريفية
١٩٣	٢٢	اذن فان
٢٠٥	١٣	باي ماض او
٢٠٥	٢٢	الذن
٢٠٦	٥	الذن
٢٠٦	١٣	القانون وعليه
٢٠٩	٤	ايران برزت
٢١٠	٥	النضال الايديولوجي
٢١١	٣	لايديولوجية تهدف
٢١٢	١	البروفسورات
٢١٢	٥	واحلامهم البرجوازية الصغيرة
٢١٢	١٢	انما تلاقي
٢١٨	١٦	علميـــا
٢٢٠	١٦	الذن
٢٢٢	١٦	نقطتان جديرتان
٢٢٥	١٤	الشيوعيون

يرجى تصحيح الاغلاط التالية :

الصفحة	السطر	
٨	١	قد يمكن هؤلاء من
٨	٩	القائلة (التضخم الرهيب الموجود من اولى بوادر هذا المصير) .
١٢	٢	لحظة ، عمقت
١٢	١٧	وان نجد علاقة
١٦	٧	لان بقاءنا
٢٠	١٠	القادمة ومهمات
٢٢	٧	منفصل عن
٢٤	١٢	المتوسطون ، ورجال الدين والطلبة الشباب منهم
٢٢	١٥	القضية من
٢٢	٢٤	المغوي الذي
٢٥	٨	طبقة ، فقط اذا تكون مترابطة مع كامل الحركة الثورية ، بحيث
٢٦	٢	نضاليا اكثر
٢٦	٢٨	حركة الشعب العربي في الجنوب وسواحل الخليج هي الاخرى
٢٧	٥	بيروجرد
٢٧	١١	تم تطويق ... التي كانت تحرك الحركة تطويقا شديدا
٢٧	٢٩	للشعب الكردي ، للشعب العربي وغيرهم
٢٨	١٠	مهمة وحاسمة
٤٤	١٩	الاهم منهما و
٤٦	٨	والتي تمارس
٥٥	٢٩	الاجتماعية المتحولة والتعقيدات
٥٦	١٠	اذن نفي
٥٦	١٧	اذن ما الذي
٥٦	٢٢	مزيد من الاضواء
٥٧	٢٠	الثورية للجماهير
٦١	٢٩	او ان يبغي في الواقع
٦٢	٢٥	كانوا يعلنون بانهم
٦٢	٢٩	دون سبب ان نرى
٦٣	١٥	في غاية الكفاح
٦٧	٢٨	الدورة ١٦ ... يقوم فدائيو الاسلام
٦٩	١٤	فتح فاه الواسع
٦٩	١٥	التعايش الاخوي
٧٢	٣	لما له (اي الدين) من
٧٢	٤	اللذان يؤثران على بعضهما) . فمثلا
٧٢	١٨	برجوازية ؟ وكذلك الامر بالنسبة للانظمة العربية
٧٤	١٠	شبه الاقطاعية ــ شبه المستعمرة
٧٤	٣٠	احزم النقات

٧٨	١٣	بطاق ، كل لا يتجزأ
٨٠	٩	الاحزاب بقبولنا
٨٠	٢٣	اب ، وذلك باعتقال
٨١	١٦	النضالات . وانهم لو كانوا
٨٧	١٨	الموحد (بكسر الحاء)
٨٩	١١	كان يؤيد
٨٩	١٢	مثلا ، ادرك مفهومها في الواقع وغدا سيكون مستعدا
٩٣	٢١	هذا الفرد
٩٤	٦	لم يخلق هذا الحادث
٩٤	٧	بالمنظمة (هذه
٩٤	٨	المثال) في
١٠١	٢٥	الذن تكيف
١٠٣	٨	الاجتماعية ويعنوا لانجاز
١٠٣	١٨	بعض الملاحظات
١٠٣	٣١	وفوق التاريخي
١٠٥	١	المرور بدور باطل من الايمان به . اي
١٠٥	٢٤	الناحية العلمية
١٠٧	٩	ان يتقدم خطوة
١٠٨	١	الله وما اصابك
١٠٨	٢٣	المثالية للمعرفة
١٠٩	٧	الفردي البنياني الفوقي وغير الطبقي
١٠٩	٢٠	يلاحظ سخف
١١٠	١	الذي وضعناه
١١٠	٢٥	كان هذان المثالان اللذان يوضحان
١١٢	٥	انواع الاعمال الانتقالية السياسية
١١٧	١	التثقيفي الجامعي
١١٧	٢	التعليمي الحكومي
١١٧	١٢	الفترة لا بيد
١١٧	١٨	بتواقصه الذاتية
١١٩	١٩	توجيه نار الحقد
١٢٠	٧	الثورة البروليتارية
١٢٠	١٣	هذا الاتحاد
١٢١	٢٤	ما اوتيت به
١٢٢	٢٤	لراس المال
١٢٣	١٤	للميزات التي
١٢٣	٢٢	البرزين ــ اي سياسة الدفع الى الامام ــ
١٢٦	١٣	والضغط
١٢٩	٣	حركة التحرير بدلا من « حركة تحرير » في الصفحات التالية ايضا
١٢٩	١١	للكفاح المسلح

١٢٩	١٩	ان يظهر خلال ويمد
١٣٠	١٠	فدائيو الاسلام
١٣٠	١٥	رأي الشعب
١٣٠	٢٢	عوامل بنيانية فوقية
١٣٣	٢	غانه يمكن
١٣٣	١٣	الخاص ببرنامجهم السياسي الاجتماعي
١٣٤	٢٩	زمام الامر
١٣٥	٢٤	للدعوة التي نشرتها
١٣٥	٢٦	رغبات جارفة
١٣٦	٢٥	الصغيرة
١٣٧	٧	البرجوازية الصغيرة
١٣٨	٢١	اكبر هي النظرية
١٣٨	٢٥	الحقبة الزمنية
١٣٨	٣١	تغير مبادئه
١٣٩	٢٧	هذه الثقافة)
١٣٩	٣٠	لم يبق
١٤٠	٥	الحقبة الزمنية
١٤٠	١٠	اللئام
١٤١	١٣	اكثر النظرات السطحية البنيانية الفوقية الصرفة
١٤٤	٤	لتتخذ خلال
١٤٤	٢٦	الاقتصادي لـ « حركة
١٤٥	٢٣	الذن ما الفرق
١٤٦	٢	الذن كيف
١٤٦	١١	ذاك النائب
١٥٠	٢٤	هذا المرصد
١٥١	١٥	الذن فان
١٥٤	١٠	انما ان تستطيع
١٥٤	١٨	عشر سنوات
١٥٤	١٩	اربع سنوات
١٥٩	١٨	عذاب اليم
١٦١	٢٤	ثم سقط شهيدا
١٦٣	٥	لا نعترف فيه
١٦٧	١٨	ركيزتنا
١٦٧	٢٨	يخطوا
١٦٨	٤	المعدمون الناشئون
١٦٩	٢	على المائدة المخطة
١٧٠	٢١	ويضع قوانين
١٧٢	١	الطبقي للبروليتاريا

المقدمة

اسباب تاخير نشر هذا البيان

منذ ان تقرر كتابة هذه السطور ، « بيان حول اعلان المواقف الايديولوجية للمنظمة » ، وحتى هذا اليوم ، تكون قد طوينا تسعة اشهر من الوقت ، والان اذ يمر اكثر من خمسة اشهر على البدء بكتابة متنها ، فلا زال هناك الكثير الذي يحتاج الى التطرق اليه ، هناك الكثير من القضايا التي لم يشر اليها ، كما وان هناك نقصا لا يستهان به في الكثير من القضايا التي اثيرت ، الامر الذي يشكل ضررا بالغا في حالة عدم اكتمال القضايا والحقائق التي كان من اللازم عرضها ومعالجتها ... ويجب الاعتراف في الواقع بان مادة تحتاج من الوقت في الظروف الاعتيادية شهرا او شهرين لتدوينها وصياغتها لم تكتمل بعد رغم مضي عدة اشهر . ترى ما السبب في ذلك ؟

ان المشاركين،ولو من بعيد ، في النضال الثوري الذي يخوضه شعبنا في ايران يعلمون جيدا بان هذا الشعب ومناضلوه البواسل يقفون الان قبالة عدو خطر ، ماكر خبيث وجزار في نفس الوقت . ان البرجوازية الايرانية المرتبطة بالراسمالية العالمية وعلى راسها الاوليغاركية العائلية الشرسة القمعية والمتمثلة في البلاط وشركائه تزهو في نمو سرطاني وتقضي ايام بهاء جنوني من وراء نهب مصادر هائلة للثروة الوطنية وعلى راس تلك الموارد المليارات من الدولارات الاتية من النفط ومن خلال الاستغلال البشع والفظيع لقوة عمل الملايين من ابناء الشعب الكادحين وفي ظل اقسى ظروف الارهاب والقتل التي تهيمن على بلادنا .

ان هذا النمو والبهاء قد مكن من تنفيذ اقسى الاجراءات القمعية السياسية ــ العسكرية ــ البوليسية ضد القوى الثورية والطبقات الشعبية . ان النظام بسبب قدرته على النمو الاقتصادي وقوته القمعية السياسية ــ العسكرية ، قد تمكن من لجم الحركة العفوية للجماهير واعادتها الى تخلف اكثر من ذي قبل كما تمكن من جعل الحركة المسلحة تعيش تحت اقسى انواع الكبح السياسي واشد اشكال الاجراءات البوليسية العسكرية ، على ان ذلك سيعجل في مصير النظام المحتوم والذي سيغرق في خضم التناقضات والمشاكل القاتلة والتضخم الرهيب الموجود وهو من اولى بوادر هذا المصير.

وهنذا فان النظام الايراني على رغم جميع مفاسده التاريخية والاجتماعية (وحتمية الاندحار التاريخي لهذا النظام وانتقاره الى القاعدة الجماهيرية) ، وعلى رغم وجود اقذر العناصر الرجعية في رحمه،تلك العناصر التي ستوصل انحطاط النظام وازماته الذاتية بسرعة وبسرعة اكبر بكثير من تلك التي تؤثر على الانظمة الراسمالية الكلاسيكية، الى حد الانفجار (١) ، لكنه في هذه المرحلة ليس نظاما بائدا منقسخا ضعيفا ، او نظاما عميلا للاستعمار يعيش لحظاته الاخيرة ، وثوريونا لا يقفون اليوم قبالة اضعف حلقة في سلسلة الامبريالية العالمية ، بل يواجهون اقوى حلقة اقليمية لها (٢) ، ومن شان موضع متسلط كهذا ، ان يوفر للعدو امكانية توجيه اقوى الضربات السياسية ــ الدعائية واقسى حملات البوليسية العسكرية ضد المنظمات والمجموعات ما لم تخض وتتحد القوى الشعبية في نضال سياسي ــ والذي يشكل الكفاح المسلح طابعه الحتمي والرئيسي في ايران ــ في وجه هذا النظام .

ان منظمتنا التي وجهت اشد واوجع الضربات السياسية ــ العسكرية الى العدو والتي تعكس اشد الاتجاهات الجماهيرية نحو العنف ضد النظام ، من المحتم ان تتعرض الى اشد الحملات الوحشية من قبل هذا النظام .

ومن خلال هذا الضوء الذي سلطناه على الواقع ، يتضح جيدا ضخامة الصعوبات التي تـ ، العمل النظري في مثل هذه الاوضاع الرهيبة المليئة بالمجابهات والتي لا توفر يوما واحدا ، او ساعة واحدة او لحظة واحدة من الهدوء وراحة البال .. ففي الفترة التي كان

هذا البيان في طور الصياغة والتبيئة ، اضطررنا فيها مرات ومرات الى حرق وثائقه او تغيير المكان او اخلاء البيوت ، ومرات اخرى غيرها ، حالت الظروف دون الاستمرار في كتابته وتدوينه لمدة من الزمن بناء على ضرورات تكتيكية ثورية فرضت نفسها .

وفي هذه الفترات فقدنا رفاقا عملوا معنا ليس منذ بدء اعمال الكفاح المسلح بل خلال جميع المراحل العصيبة « النضال الايديولوجي للمنظمة واعادة تثقيف الكوادر » والذين كانوا قد ناضلوا بجد وثبات وتولى بعضهم مسؤوليات في تهيئة نفس هذا البيان ، اضافة الى المسؤوليات الكبيرة الاخرى التي تولوها بصبر وصدق لا مثيل لهما . فقدناهم في المجابهات الدموية مع العدو فاما استشهدوا وغدت دماؤهم الزكية نبراسا لثورة شعبنا ، او التي بهم في غياهب السجون ،لا زالوا يرزحون تحت اقسى انواع التعذيب على يد جلاوزة الشاه المجرم .. هذه كانت بعض المشاكل والموانع التي وقفت وراء تأخير صدور هذا البيان .

غير ان مضمون ومحتوى اعمالنا النظرية ومنها مضمون ومحتوى هذا البيان بالذات لا يمكن ان ينفصل حتما عن الظروف والدوافع التي تفرض علينا وتمكننا من النضال ضد هذه المشاكل والعوائق ولتحمل مثل هذه الاوضاع القاسية والمقاومة في وجه اخطر الحوادث ولنفس هذا السبب فان مبادئنا الاساسية ووجهات نظرنا السياسية واستنتاجاتنا النظرية وتحليلاتنا للظروف ... ليست مقولات منفصلة عن حياتنا او عملنا ... والخاصة المميزة لوجهات النظر والاراء والاستنتاجات هذه تكمن في انها تنبع بشكل مباشر من العمل الثوري ، من الممارسة الغنية والمحتوى الاصيل للكفاح الدموي الذي يجري بين قوى شعبنا الثورية ونظام ايران العميل .. وتطرح هذه الاراء والاستنتاجات ووجهات النظر صحتها وصوابها للتجربة في بوتقة العمل الثوري . ان هذه الخاصة بالذات التي تميز الاحكام والنظريات الثورية عن غيرها من الاحكام والنظريات المسماة بـ «الثقافية» وتمنحها صحة وصوابا يستند الى التطبيق الثوري ، ذلك لان الاولى هي خلاصة العمل الثوري الفعلي وتوضع فورا في خدمة العمل الثوري .

هـــدفنا من نشـــــر هذا البيان

لماذا بادرنا الى تدوين ونشر هذه الرسالة في مثل هذه الاوضـــاع؟ لماذا وجدنا انفسنا ملزمين بنشر هذه الوثيقة من بين جميع القضايا العملية والنظرية المتواجدة حاليا ، ومنحناها الاولوية الخاصة ؟

بغض النظر عن الاهمية التي تتمتع بها القضايا الايديولوجية دوما في اية حركة وكون الاسس الايديولوجية هي التي لا بد من الرجـــوع اليها في التحليل النهائي لكل انحراف سياسي ـــ استراتيجي او اي خطأ تكتيكي او عملي ، وكذلك اي سلوك ســـياسي صـــحيح وخط استراتيجي صائب او اي ابداع في العمل التكتيكي و ... بغض النظر عن كل ذلك ، فان اهمية القضايا الايديولوجية ، هنا في ايـــران ، لا تكمن في تبعيتها لهذا القانون العام للنضالات الاجتماعية فحسب ، بل ان مجتمعنا وتاريخ الثقافة والفكر الثوري لشعبنا هما اليوم على عتبة احد اهم مراحلهما التاريخية . ففي هـــذه المرحلة يقترب مصيـــر الكفاح الايديولوجي الجاري لسنوات عديدة بشكل قوى تارة وضعيف تارة أخرى ، بين مختلف القوى الاجتماعية ، من النتيجة النهائيـــة والاتجاه الحاسم .

ان مضمون هذا البيان يوضح انعكاس هذا الكفاح الايديولـــوجي في صفوف منظمتنا ونتيجته النهائية ، ويبين كيف تصدينا للتغلـــل ضد جذور الافكار والاراء الخاطئة واساليب العمل غير الصائبة في المنظمة وكيف استطعنا ان نحقق الصفاء الداخلي والوحدة الايديولوجية الاعمق داخل المنظمة ونوطد اركانهما وان نصـــل الـــى حقيقة الماركسية ـــ اللينينية ضمن مسيرة كفاح ثوري لا يعرف الكلل ضد النظام الحاكم العميل وخلال اصدق المساعي لحل ادق قضايا الثورة واكثرهـــا اصالة ... وبعكس نشر هذا البيان الى جانب كل ذلك استجابتنـــا لتلك المهمة الثورية ، مهمة وضع هذه الحقائق ـــ الحقائق التي توضحت لنا من خلال سنتين من العمل الفكري المتواصل واربع سنوات من المساهمة في الكفاح المسلح وعشرة سنوات من تجربة العمل السري السياسي ـــ امام شعبنا وامام القوى التقدمية والثورية في بلادنا .

طبعا ، قدم لنا الكثير من الاشخاص والمجموعات والفئات ، داخل

وخارج الكفاح المسلح ، المواعظ والنصائح الابوية ! للتخلي عـــن التصدي لهذه المهمة ، اي مسالة طرح المواقف الايديولوجية الجديـــدة للمنظمة . وكان هؤلاء ينبهوننا قياسا لمشاعر ومصالح وعـــواطف الشعب مع مشاعرهم ومصالحهم الذاتية ، باننا سنفقد عطف الشـــعب علينا ! كانوا يقولون لنا ، ان نحجم عن الاعلان عن هذه المواقف ، على الاقل (٣) وكم من مقترحات وحلول قدموا لنا في هذا المجـــال ، وعندما راونا مصرين بثبات على ما نحن عازمون عليه افصحوا بكل سهولة عن انهم سيتخلون عن تاييد منظمتنا والكفاح المسلح ! لكن ماذا كان يمكن ان يكون جوابنا المفضل ، في وقـــت كانـــوا يطلبون الينـــا ان نسدل الستار على حقيقة واقعة نتخفيها ؟ ان كان صحيحا اننا كنا نؤمن بحقيقة في العالم ، وكنا نعتبر ، بصفتنا ثوريين ، الـــــدفاع المستميت والكفاح الصارم من اجل نشر وانتصار هذه الحقيقة دينا في اعناقنا ، واذا كان صحيحا ، بالتالي ، بان الحقائق هي دوما في صالح الجماهير ، فاي خوف كان يمكن ان يكون هنا في ان ننشـــر هذه الحقائق ؟ وما هي الحقيقة الاخرى التي كان من شأن هـــذه الحقيقة الحاق الضرر بها ؟ هل ان ندرة الافراد الذين يفهمون الحقائق ويتصدون برجولة للدفاع عنها يمكن ان تصبح سببا للعـــدول عن الايفاء بمثل هذه المهمة ؟ لو كان هذا صحيحا ، اذا فان جميـــع المناضلين في سبيل الحق ، جميع المصلحين ، جميع الثوريين وجميع الانبياء على طول التاريخ ، كانوا على خطأ جسيم . فعند ما بدأ نبي الاسلام كفاحه الاجتماعي ، لم يتبعه سوى شخصين ، وبعد سنوات ثلاث من الكفاح المتواصل لم يتجاوز هـــذا العدد ثمانيـــة اشخاص ، وعندما احرقوا العالم الايطالي اميليو جوردانـــو حيا جزاء افكـــاره الجديدة والعلمية لم يشعر بالاسى عليـــه سوى اشخاص عددهـــم لا يتجاوز عدد اصابع اليد ! وهكذا فاننا ليس فقط لم نستطع التسليم بمثل هذه الافكار المترددة والمنضعضعة بل كنا عازمين علـــى ان نعلن هذه الحقيقة للملأ باعلى اصواتنا حتى ولو كان الصدى هو الجـــواب الوحيد على ندائنا .

النضال الايديولوجي ومراحله المختلفة

قبل مدة تزيد على السنتين ، حيث كان « النضال الايديولوجي » يحتل الصدارة كمضمون اكثر اصالة في الحركة الجديدة لـ « الاصلاح والتربية » في برنامج عمل المنظمة ، لم يكن احد يراوده الظن ان تمتد ابعاد هذا النضال حتى هذه الحدود وان تخلق اثاره ونتائجه ، وبهذه السرعة ، كل هذا التغيير في القضايا الفكرية والعملية داخل منظمتنا فلقد تمكنا في هذه الفترة ان نشن النضال ضد كثير من وجهات النظر الخاطئة وكثير من اساليب العمل غير الصائبة وان نكتشف المنشأ الايديولوجي لهذه الاخطاء في المثالية المهشمة داخل رحم تفكير المنظمة ، وان نجند القوى الثورية داخل المنظمة نفسها من اجل القضاء على الاخطاء .

فتشات حركة « الاصلاح والتربية » وتجديد التربية الايديولوجية للكوادر من القمة الى القاعدة داخل المنظمة ، وبادرت قيادة المنظمة ضمن عملية النقد الذاتي الى جمع وتقييم الانتقادات الموجهة الى المراحل السابقة وتعرض اعلى الكوادر الى انتقاد اوضاعهم واعمالهم الماضية وخلال ذلك بادر الكثير من الكوادر بروح ثورية الى اصلاح وجهات نظرهم وخصالهم وفتح الطريق امام اشكال اعمق واكثر ثورية من النقد والنقد الذاتي وحلت مقاييس جديدة محل المقاييس القديمة والبالية .... واستطاعت تلك الفئة من الافراد والكوادر الذين ابدوا الاستعداد لاصلاح انفسهم وتغيير مفاهيمهم ، ان تحصل على احسن النتائج في اصلاح انفسهم من الاوضاع التربوية المذكورة واستطاعوا ان يتحولوا الى ذخر ثوري للمنظمة في مواصلة وتوسيع النضال الايديولوجي . اما الذين ركبوا مركب العناد ،والذين تاوهوا الاصلاح واصروا على الافكار المعوجة وواصلوا البقاء في مواقفهم الخاطئة والانحرافية ولم يبدوا الاستعداد لرفع نقائصهم وعيوبهم الذاتية على رغم جميع الظروف التربوية المؤاتية بسبب تشبثهم بمصالحهم الذاتية والافكار والاعمال التي كانت تجسد هذه المصالح ، فقد اتخذ بحقهم القرار الصارم وطردوا من عضوية المنظمة.

كل ذلك كان من مستلزمات التغيرات العميقة في وجهات نظر وافكار المنظمةالتي كانت (اي وجهاتالنظر والافكار) على عتبة التكوين. هذه التغييرات التي كانت ، على وجه الدقة حصيلة ادراكنا

للضرورات الجديدة التاريخية ـ السياسية ـ الاجتماعية ونتيجة استعدادنا لادراك المصالح الاكثر اساسا للجماهير الشعبية في كل لحظة عمقت وجهات نظرنا بخصوص المسائل التنظيمية الداخلية ، والجوهر الطبقي للتناقضات الموجودة داخل المنظمة بشكل اكبر وكان من شانها ـ التغييرات ـ ان توفر لنا مجالا جيدا داخل المنظمة لشن نضال اكثر مبدئية وتواصلا ضد الافكار والاتجاهات الخاطئة والخصال غير الثورية لانفسنا التي تعود الى حياتنا ومفاهيمنا القديمة ذات الطابع البرجوازي الصغير .. ان هذا النضال ، من شانه ان يترك اثرا فوريا وبالغ الاهمية على استحكام وتوطيد الدعائم الثورية الايديولوجية للمنظمة والقضاء على الدعائم الرجعية فيها .

لكن النضال الايديولوجي لم يقتصر على صعيد القضايا التنظيمية والنضال ضد النفسيات والخصال السلبية ، بل ان هذا النضال قد ترك اثاره التصحيحية بمرور الوقت وجنبا الى جنب مع توسع تاثيره وشموليته على رؤيتنا السياسية ، بشكل اساسي ، وبالتاليمواقعنا ووجهاتنظرنا الفلسفيةايضا (٤) .وعلى نفس هذا الاساس،فقد تمكنا من ان نجري تحليلات خاصة لماضي المنظمة وان نوجد علاقة محددة بين الاخطاء السياسية والنقائص التربوية للفترة السابقة للضربة الاولى في آب ١٩٧١ ، (والضربة الاولى التي تلقتها المنظمة وكانت كبيرة بحد ذاتها وبداية لسلسلة من الضربات الواسعة اللاحقة ـ المترجم) بين اسباب تلك الضربة ونقاط الضعف والتقصيرات السياسية والتنظيمية والعسكرية في الفترة اللاحقة لذلك التاريخ وخلال سنوات ٧١ ـ ٧٣ م ، وان نستكشف الجوهر المشترك الذي يسلط الضوء على اسباب جميع هذه النكسات خلال ثمان سنوات من العمل التنظيمي (٦٥ ـ ٧٣م) ، وتمكنا ايضا ، ان نطور نحو الاحسن نظرتنا نحو جوهر العدو ، نحو قوى الشعب ونحو الكفاح المسلح ومفاهيمه الجماهيرية وان نستكشف آفاقا جديدة ، وابعادا اوسع من السابقات .

في اواسط خريف ٧٤م ، وبعد مضي عام ونصف على بدء هذا النضال اعلنت قيادة المنظمة الدخول في مرحلة تحول كيفي فيالنضال

الايديولوجي ، ولقد اعلن عن ذلك في مقال نشر في نفس ذلك الحين بعنوان « لترفع اكثر راية الكفاح الايديولوجي » ، واعتبر هذا المقال بمثابة اعلان رسمي لبدء هذه المرحلة من النضال الايديولوجي ، ولقد ورد في هذا المقال بعد تقييم لتجربة النضال الايديولوجي خلال عام ونصف مضى ، ما يلي :

« ... عندما طرحنا ، قبل عام ونصف ، النضال الايديولوجي كمضمون اكثر اصالة للتربية التنظيمية لهذه المرحلة ، كان همنا الوحيد ، بل الاشمل في البداية ، هو ان نتناول بالبحث والاستقصاء سلسلة العيوب والمشاكل الناشئة في راينا من حياتنا الطبقية في السابق وتركيب المنظمة الذي كان يغلب عليه طابع المثقفين بشكل مباشر والتي كانت تترك بطبيعة الحال آثارا سيئة على عملنا السياسي والتنظيمي وكنا بصدد كفاح لا هوادة فيه ضد هذه العيوب والاثار السيئة .

لقد دخل المخطط النضالي مرحلة التنفيذ واعطى نتائج ايجابية ممتازة للغاية ولكنه لم يتوقف عند هذا الحد لما يتميز به من ميزة ثورية بحيث اننا تمكنا خلال تطور هذه المسألة ان نقف على نقاط ضعف عديدة في انفسنا كانت تملك جوانب هامة ولكن فوقية ، اي انها كانت تعود — في الواقع — الى الجوهر الفلسفي لمعتقداتنا ، ولقد كانت نقاط الضعف هذه هي الاخرى تمثل وجها آخر لانتماءاتنا الطبقية التي كان التعرف العميق عليها وعلى جذورها ثم ايجاد السبل والاشكال الصحيحة للنضال ضدها يشكل امرا اصعب كما يحتاج الى جهد وصدق اكثر ، ان هذه الامور توضحت لدينا الان بشكل جلي ، بحيث نستطيع ان نعلن بكل حزم واصرار دخول مرحلة تحول كيفي جديدة في النضال الايديولوجي ، الذي من خصائصه المميزة النضال المبدئي ضد الاسس والافكار الرجعية والمبادىء والاراء غير البروليتارية العائدة الى الطبقات الاجتماعية الايلة الى الفناء .

وهكذا اذا كان النقاء الداخلي للتنظيم وتطوره يتوقف على النضال الايديولوجي في المجالات السياسية والتنظيمية ، بالامس ، واذا كنا قد تمكنا الى الامس ان نحقق ضمن هذه الحدود انتصارات مقبولة ، فاننا اليوم في مثل هذا المنطلق من الوعي والاخلاص الثوري ومن مثل هذا المنطلق في الوحدة التنظيمية ، سوف لن نتردد لحظة واحدة في مواصلة هذا الطريق وفي مواصلة النضال الايديولوجي ، بجميع

ابعاده التنظيمية السياسية ، وبالتالي ، **الفلسفية ...** »

وهكذا فقد حقق « النضال الايديولوجي » النصر المؤزر ، بفتح آخر قلعة للمثالية — اي سندها الفلسفي — داخل المنظمة ، بعد سنتين من العمل الداخلي الصبور .

المقاومات ، المشاكل والعقبات

ولا يظنن احد باننا ، ونحن نسير نحو تحقيق هذه الاهداف والنتائج قد طوينا طريقا مزروعا بالورود ، ذلك لاننا لم نكن نواجه فقط ظروفا بالغة الصعوبة خلقتها لنا اوضاع المجابهة مع الدكتاتورية الحاكمة بل كنا نواجه ايضا ضغطا داخليا من جانب اكثر العناصر رجعية من قبل اناس عنيدين صلبي المراس لم يكونوا مستعدين قط لادراك الحاجات الثورية الجديدة ، ولقد كنا ، في الواقع مضطرين ان نحارب على جبهتين ، في خارج المنظمة ضد النظام الحاكم ، وفي داخل المنظمة ضد المثالية السياسية — التنظيمية — الفلسفية المعششة في افكارنا وآرائنا ، وكان علينا لذلك ان نتحمل الضغوط المضادة للثورة من طرفين .

في الجبهة الاولى ، مع ان النشاط الثوري للمنظمة كان يأخذ مستويات جديدة وسيرة افسح ، على الاصعدة المختلفة في العمل العسكري والسياسي والاعلامي ضد النظام العميل الذي يقوده الشاه (بتأثير نفس هذه الصراعات الداخلية) ، لكن النضال في الجبهة الثانية كان يتطلب جهدا اكبر وطاقات اكثر ، ذلك لانه كان على وجه الخصوص ، اكثر حساسية ويحوي عناصر اكثر تعقيدا من النواحي السياسية والتنظيمية (قياسا الى النضال ضد النظام الحاكم) ، ولان هذا النوع من النضال كان يشكل اول تجربة لنا في هذا المجال ، ولم تكن المسألة تنحصر اضافة الى ما تقدم ، في شن نضال داخلي ضمن التنظيم فقط ، بل الاهم من ذلك كان توجيه وقيادة هذا النضال توجيها صحيحا وصائبا نحو الاهداف الاساسية لكل مرحلة ، حتى نصون انفسنا من اي انحراف سواء نحو اليمين او نحو اليسار .

ولنفس هذه الاسباب ، بالرغم من ان المحتوى السياسي وبالتالي شكل النضال الذي كنا نخوض غماره داخل المنظمة ، كانا يختلفان

في الاساس والمضمون ، مع محتوى وشكل النضال الذي كنا نشنه ضد النظام ، لكن المشاكل و العقبات ـ اي المشاكل والعقبات التي كانت تواجهنا في الجبهة الداخلية ـ لم تكن ابسط واقل خطرا و اصغر مما كانت تواجهنا في الخارج بل كانت اعتد واخطر واعظم بمرات ومرات ، ولقد برهنت التجارب اللاحقة بان الاهمية التي اعرناها بادىء ذي بدء الى هذه المسالة لم تكن مبالغا فيها باي شكل من الاشكال . ذلك لان بقاؤنا او فنائنا كان مرتبطا في النهاية بنتيجة هذا النضال الداخلي (٥) .

ومن خلال ما سرد اعلاه ، يتبين اننا كنا نجابه مقاومات رجعية معلومة الاهداف في كل مرحلة من مراحل تقدم النضال الايديولوجي تعكس الجوانب المتناقضة والمتعاكسة لاهداف تلك المرحلة من النضال الايديولوجي . اضافة الى ذلك ، بالرغم من ان حجم العناصر التي كانت هذه المقاومات تتمثل في آرائهم وافكارهم لم يكن كبيرا من الناحية العددية ، بل لم يكن ليتجاوز عدد اصابع اليد ، لكنه بسبب الاحتمال الكبير لتوسع ونمو هذه المقاومات من جهة ، وبسبب جوهر المقاومات نفسها التي كانت تبدي اصرارا وعنادا لا يقلان عن اصرار وعناد الميكروبات المنزلية على البقاء ، من جهة اخرى ، كانت المسالة تكتسب اهمية بالغة .

وكما قلنا سابقا ، انتصرنا على الكثير من هذه المراكز والمواقف المنحرفة والمقاومات الرجعية من خلال اتباع سياسة « الاصلاح والتثقيف » متسمة بالصبر الطويل كونها تنظر الى اساس المشكلة ، هذه السياسة التي كانت تأخذ شكلا يتناسب مع مستلزمات المرحلة (٦) . لكن بقيت هناك مجالات معدودة تمثل مواقف ومراكز اقذر واخس العناصر الانتهازية والمصلحية وغير القابلة للتغيير ، الذين كانوا في الظاهر قد ابدوا الاستعداد للنقد الذاتي واصلاح انفسهم لكنهم كانوا يتآمرون في الخفاء ضد وجود المنظمة وضد جميع المكتسبات التي حققها شعبنا ودفع ثمنها بدم المئات من ابنائه البررة ... والشيء الذي جعلنا نغفل عن المواقف الخيانية لهذا النفر ، كانت نظرتنا اليهم بانهم رفاق لنا في المنظمة و « لهم نقاط ضعف كبيرة لكنهم مستعدون للعمل على معالجتها » .

وعلى راس هذا النفر الذي لم يتجاوز عدد افراده الاربعة او الخمسة اشخاص ، كان يقف الخائن رقم واحد ، وكان هذا قد اختفى وجهه الواقعي المعادي للشعب لفترة طويلة خلف بعض المقاييس الخاطئة في المنظمة ، واستغل هذه المقاييس للوصول الى بعض مراكز المسؤولية في المنظمة ، لكنه لم يستطع الفرار من سيف النضال الايديولوجي على رغم السنوات الطويلة التي اخفى خلالها واقعه وآراءه المعوجة وعلى رغم جميع مساعيه الحثيثة للفرار من الانتقادات فقد كشف عنه وعن نقاط ضعفه وظهر وجهه الحقيقي للملا ... فلجا الى المراوغة ، وقبل برحابة صدر ، في الظاهر الانتقادات الموجهة اليه ، بل وحلل بشكل تحريري اراءه الخاطئة ونقاط ضعفه العميقة ، فتقرر استنادا الى ما تقدم ، تفريغه للعمل الجماهيري بعد تجريده من جميع مسؤولياته ... لكن الوقائع اللاحقة اثبتت بانه لم يكن في الباطن مستعدا للنضال ضد نقاط ضعفه واخطائه الفكرية الكبيرة وآرائه الخاطئة التي كشف له النقاب عنها خلال اشهر من العمل التوضيحي ، بل كان يتحين الفرصة المناسبة والظرف المواتي لتوجيه الضربة الى المنظمة وحرف مسارها الثوري وذلك من خلال اخبث الاساليب الخيانية .

واخيرا وجد الفرصة المناسبة ، اذ تعرضت المنظمات الثورية وحتى الناس العاديين الى شكل جديد من اشرس الحملات المضادة للثورة من قبل العدو في اوائل شتاء سنة ٧٤ وذلك من خلال سلسلة من التحريات الليلية الواسعة ... وهذا ما كان يستوجب طرح بعض القضايا جانبا ، وتخصيص وقت اكثر لمجابهة هذه المداهمات الليلية التي اصبحت فيما بعد شيئا اعتياديا ومتواصلا في برنامج البوليس (الامر الذي اثبتته الوقائع اللاحقة) ، وبالتالي خفف من المراقبة الدقيقة والمحاسبة لبعض العناصر المترددة ، ومن بينهم هذا الخائن رقم واحد . فما كان منه وهو الذي كان الى الامس القريب قد اخفى انيابه الحادة السامة ، كحية جريحة بحراب النضال الايديولوجي ، خلف عشرات الانتقادات الذاتية والتحليلات عن نفسه الا ان يتحرك مباشرة للاتصال بعدد من العناصر المترددة وافراد كانوا قد طردوا في المراحل الاولى من النضال الايديولوجي وبادر من خلال اغواء هؤلاء الى تشكيل مجموعة خاصة به ، وكان يتصل ايضا بعدد كبير من الاصدقاء والمؤيدين والبسطاء المنخرطين حديثا في العمل

الثوري ، لا لشيء ، سوى ضعضعة ايمانهم بجدوى النضال وبالتالي حرفهم عن تأييد المنظمة والتعاون معها ، ولم يقف عند هذا الحد ، بل كان يصرف من فلك الثورة الواسع حتى اولئك الافراد الذين كانوا على جانب كبير من الاندفاع الثوري ويرغبون في تصعيد نشاطهم الثوري وذلك من خلال نصائحه السلبية والمثيرة لليأس دون ان يريهم حتى طريقا آخر للنضال !

واخيرا نجح بعد اربعة اشهر من التآمر الخياني ضد المنظمة في ان يضم الى مجموعته شخصين احدهما كان قد طرد بشكل نهائي من المنظمة (الخائن رقم٣) والاخر كان يقضي فترة التجميد والنقد الذاتي (الخائن رقم ٢) ، واستمالة شخص آخر (اسمه المستعار ٨) (٧) واخذ هؤلاء الافراد الذين كانوا الى الامس القريب قد تعرضوا الى الانتقاد الشديد بسبب نقاط ضعفهم الايديولوجية العميقة ونزعاتهم الفردية وميزاتهم السلبية البرجوازية الصغيرة ، وكنا نرى بألم اعيننا الاثار السلبية لاعمالهم ونتائجها المضرة — بحيث انهم انتقدوا انفسهم مرات ومرات لارتكابهم مثل هذه الاخطاء — اخذوا اليوم وبدون حياء يتبجحون هنا وهناك ، امام البسطاء واصدقاء الثورة الذين لا علم لهم بالواقع ، بانهم يختلفون مع المنظمة بسبب معتقداتهم الفلسفية ، لانهم يؤمنون بالدين والمنظمة تتخذ مواقف وآراء ماركسية — لينينية ... وفي حين كان وجود عدد كبير من العناصر الدينية الصادقة والمخلصة (٨) الذين كانوا يتعاونون معنا في اطار حرية افكارهم وآرائهم ، يكذب تكذيبا قاطعا ادعاءاتهم المخجلة .

على اي حال ، لم يكن في وسع هؤلاء ان يتبعوا معنا ، بطبيعة الحال ، لمدة طويلة سياسة الخنجر والعباءة ... اذ سرعان ما انكشفت حقيقة امرهم وسحب الغطاء من على خياناتهم التي ارتكبوها خلال اربعة اشهر فصدرت احكام بالاعدام من قبل المنظمة على الخائنين رقم ١ و ٢ وتلقى الاول جزاءه الاوفى بتأييد الحكم فيه في حين استطاع الثاني ان يفلت من العقاب لكنه وقع في قبضة البوليس (٩) فلم يكتف بوضع جميع المعلومات المتوفرة لديه في ايدي البوليس بل عند ما القي القبض على شخص آخر من العناصر المطرودة الذي كان قد ارسل لنفس هذا السبب للعمل كعامل (الخائن القذر خليل درقولي) ، شكل الخائنان وحدة بوليسية نشطة للغاية في خدمة

منظمة امن الشاه الخائن ، واستصاع العدو من خلال الفرصة المناسبة التي تهيات له نتيجة خيانة هذين المجرمين ومن خلال المعلومات التي ادلى بها هؤلاء ، وتعاونهم المباشر من اعتقال عدد كبير من رفاقنا وتشديد حملاته الوحشية السياسية — الدعائية ضد المنظمة والكفاح المسلح (١٠) وتوجيه ضربة مهمة نسبيا — عن هذه الطريق — الى الثورة والى منظمتنا .

كانت هذه قسما من المقاومات ، المشاكل والاشواك الحادة والسامة في آن واحد التي وقفت في طريقنا ، وملأت كل الطريق المليء بالعثرات والمنعطفات التي طويناه ، نحو « التصفية والاحياء الايديولوجي للمنظمة » وخلال هذا الطريق الطويل توقف الكثيرون من الرفاق المترددين في المنتصف وتذفوا بحمل المسؤولية الثقيل جانبا وهذا مما اضاف مسؤوليات جديدة الى الاخرين الذين تابعوا المسيرة حتى لا يبق هناك شيء من الحمل على الارض ، والاسوا من كل ذلك الضربات التي كانت توجه الينا من الخلف من قبل بعض المغرضين !

وهكذا ، فاننا لم نطو طريقا سهلا ولم ندفع ثمنا قليلا لتحقيق هذا الهدف وحتى الضربة التي وجهها الينا العدو ونحن في آخر الطريق ، لم تكن سوى استمرارا لنفس هذه المقاومات والعقبات والاخطار ، تلك الضربة التي لم يكن من الممكن توجيهها الينا لولا ضعف وخيانة هذه العناصر ومساعيهم الخيانية والياسة من اجل القضاء على المكاسب السياسية — الايديولوجية التي حققتها المنظمة خلال المسيرة .

غير انه ، اذا كان الطريق محفوفا بالمخاطر والعقبات الكثيرة لكن شوق الوصول الى الهدف الاسمى (الوحدة الايديولوجية الجديدة) كان يجعل من متابعة السير سهلا ... والان يكون القسم الاعظم من هذه الازمات قد اصبح من ذكريات الماضي ، ونحن نتقدم الى الامام بعزم راسخ من مواقع اقوى وصلب من السابق ، مواقع تستند الان بثبات على الفلسفة العلمية والفكر الماركسي — اللينيني .

حركة الشعب الثورية وقضاياها المرحلية الاكثر حسما

ان نشر بيان « اعلان المواقف الايديولوجية للمنظمة » وفر لنا فرصة مناسبة للحديث عن بعض اهم القضايا الستراتيجية التي تطرح نفسها حاليا في الحركة الثورية الايرانية مع القوى التقدمية والثورية في بلادنا وجميع الناس الذين يدركون ضرورة التضال ضد مثل هذا النظام القذر الذي يتحكم بمقدرات شعبنا ووطننا ، ونعني بذلك سلطة الشاه الخائن . ان المكان المناسب لهذا الحديث ، ليس بطبيعة الحال ، مقدمة هذا البيان ، بل في ختامه . وبعد تقييم موجز كنا ننوي ان نجريه عن تجربة السنوات الاربعة المنصرمة من الكفاح المسلح والاجراءات التي اتخذت خلالها ، ومهماتنا للمرحلة القادمة ، مهمات جميع المنظمات الطليعية ، غير انه نظرا لان نشر القسم او الاقسام التالية من هذا البيان كان سيستغرق زمنا اطول مما توقعنا وان طرح هذه القضايا على بساط البحث ــ بسبب اهميتها والسرعة التي تستلزمها هذه الاهمية خصوصا النتائج العملية الفورية المرجوة من طرح هذه القضايا ــ كان هو الاخر سيتاخر بالتالي لحين نشر هذا القسم او الاقسام لذا فضلنا ان نطرحها في هذه المقدمة ولكن بايجاز تام .

واضافة الى ما تقدم ، هناك سؤال يطرح نفسه هو : « ما هي الضرورة التي تستدعي نشر هذه القضايا في بيان يتناول مسالة فكرية ؟ » . ونحن ، ردا على هذا السؤال ، نقول : بغض النظر عن الموقف الذي يعطي طرح هذه المسالة صفة السرعة ، فان الانتباه الى مسالة ان انضمام منظمتنا الى صف القوى الماركسية اللينينية في المجتمع ، تحدث ــ على اية حال وبلا شك ــ تاثيرا بارزا في الرؤى السياسية الجديدة وخصوصا في الناظر المستقبلي للمجموعات الثورية في المجتمع .

ان هذا التوضيح من شانه تبيان العلاقة التي تربط هذه القضية بالمضمون الاصلي لهذا الكراس ، خصوصا اذا كانت هذه المسالة الحتمية من شانها ان تؤدي الى نتائج عملية معينة باتجاه وحدة اعمق بين القوى الثورية في المجتمع ــ متى ما اظهرت المنظمات الممثلة لهذه القوى الاستعداد اللازم لهذا الغرض ــ وهذا مما يزيل اي مانع لطرح هذه القضايا في هذا البيان .

اوضاع جبهة الكفاح

كيف هي اوضاع القوى التي تخوض النضال ؟ الى اي شيء تشير حصيلة الكفاح الطليعي المسلح بعد مرور اربعة سنوات عليه ؟ هل ان النتائج المستخلصة ايجابية ؟ ما هي المشاكل التي تجابه الكفاح المسلح الآن ؟ ما هي الوسائل التي جرى التفكير فيها للتصدي لهذه المشاكل ؟ ما هي آفاق الكفاح المسلح والمنظمات الرائعة لواء هذا النمط من الكفاح ؟

هذه الاسئلة واخرى تتفرع منها ، قضايا تشغل اليوم بال الكثير من الذين يراقبون عن كثب ساحة الصراع بين القوى الشعبية الطليعية والعدو ، او يشتركون ، بشكل من الاشكال في هذا الصراع . طبعا هناك اجوبة في غاية الوضوح لهذه الاسئلة ، لكننا نبغي الدخول عميقا في قضايا ادق ضمن المسالة .

ان اشد معارضي خط الكفاح المسلح لا يستطيعون اليوم ان ينكروا حقيقة ان الكفاح المسلح قد ترك في السنوات الاخيرة تاثيرات عميقة باتجاه تفجير الطاقات الثورية في المجتمع وفي اطلاق القابليات الثورية الكامنة لدى طبقات الشعب المختلفة ودفعها نحو الكفاح السياسي وحتى العسكري ضد العدو ، وان ينكر التاثيرات العظيمة لهذا النمط من الكفاح المسلح في ارتقاء الرؤية السياسية والاجتماعية لدى قطاعات كبيرة من طبقات شعبنا ــ على رغم قصر عمره ــ مما ادى الى خلق وضع ثوري لم تر البلاد مثيلا له بعد حركة المطالبة بتاميم النفط في السنوات ١٩٥٠ ، او ان ينكر ، ان هذا الخط قد اوجد انفسه تاييدا قويا لدى فئات واسعة من الطبقات الشعبية ، خصوصا المثقفين وفئات مختلفة من البرجوازية الصغيرة القاطنة في المدن . فكثير من هؤلاء المعارضين الذين كانوا قبل ايام ليست ببعيدة ، يوجهون سهام النقد الى الحركة في ايامها الاولى على اساس انها « رومانسية ثورية » ويسمون المنظمات الرائعة للواء الكفاح المسلح بـ « التمرد الفجائي للمثقفين العاطفيين » او « المقاومة الذاتية الغاضبة للبرجوازية الصغيرة » و ... اضطروا اليوم ، ان يترددوا فيما كانوا يقولون ، ليروا من منا ــ نحن ام هم ــ قد استطعنا في الواقع ، ان ننفذ باخلاص ما كنا نؤمن به ، ان لا نهاب التضحيات ،

بتغير المصاعب والمشاكل بالتفاعل المتواصل ، وان تترك تاثيرات مهمة وحاسمة على القضايا السياسية ــ الاجتماعية ، بل وحتى الاقتصادية في المجتمع ، لصالح الشعب ولصالح نمو وتعاظم بأس القوى الثورية ، وان تضمن بقاءنا ايضا !

وفي الجبهة المضادة تشكلت حقيقة وهي ان النظام العميل الذي يقوده الشاه الخائن ، لا يستثني من حملاته القمعية الدكتاتورية المتصاعدة في الوحشية حتى الاصلاحيين الليبراليين والمصلحيين المسالمين الوطنيين، وان النظام الفاشي المنحرف قد نفذ صبره تماما ولم يعد يتحمل اي شكل من اشكال المعارضة ، مهما كانت مسالمة وهادئة ! وبالتالي ، انه لم يعد هناك اي شك لدى حتى اكثر العناصر الوطنية ترددا في ضرورة الالتحاق بصفوف الكفاح الثوري المسلح،كلها تشكل ادلة واضحة وصارخة على صحة وصواب خطنا الاستراتيجي منذ اول يوم لبدء الكفاح المسلح وخلال مسيرته الظافرة والى هذا اليوم . فاي طريق آخر كان بامكان شعبنا ان يسلكه حتى الان ، اي منذ بدء الكفاح الثوري المسلح ولم يكن ليتعرض لازمة او مازق في حين ان الحركة المسلحة تواجه آفاقا واسعة ومشجعة تبشر بمستقبل مشرق جدا بالرغم من كافة الصعوبات الكبيرة التي تعترض طريقها .

هذه هي المكاسب التي تستطيع لوحدها ان تجعل من حصيلة الكفاح المسلح حصيلة ايجابية على رغم جميع الضربات القاتلة التي تلقاها الثوريون والمنظمات الصدامية على يد العدو الغاشم .

ويتضح مما تقدم ، ان العقبات والمشاكل التي نواجهها اليوم ليست ناتجة عن العمل الثوري ، بل ان العمل الثوري ، على وجه التحديد والدقة ، هو الذي اهلنا لادراك المشاكل والقضايا المرتبطة باية مرحلة تفصالية قادمة . ولو كنا سلكنا غير هذا الدرب لكان قد برز امامنا مشاكل ابسط واقل تعقيدا . لكنها ستشكل لنا ، في نفس تلك المرحلة اهمية وصعوبة لا تقل عن المشاكل الكبيرة التي نواجهها اليوم وذلك لضالة تجربتنا وافتقارنا الى الادراك الصحيح ، وهكذا فان المشاكل والعقبات المتعلقة بمرحلة لاحقة من الكفاح المسلح ، لا تعني قط عدم صواب مواصلة العمل في المرحلة السابقة بل ان التصدي لهذه المشاكل والعقبات هو في حد ذاته تاييد لصحة وصواب المسيرة عبر جميع مراحلها المقطوعة .

قلنا ، فيما سبق بان حديثنا هنا يتناول تلك الجوانب الاخرى من الكفاح المسلح ، اي المشاكل والعقبات التي تبرز الآن ، وتلك التي ستظهر في المستقبل ، وفي نفس الوقت الآفاق الشاسعة لهذه العملية الثورية . اننا نريد ان نبرهن على ان نظرية الكفاح المسلح والعمل الطليعي المسلح كاية نظرية حية ومادية اخرى ، وكاي عمل ثوري صائب ، ليست نظرية (وتطبيقا) تصح في حالة محدودة واحدة وضمن حدود معينة ، وبشكل منفصل عن جميع الظواهر والتغييرات التي هي في طور التكوين بجوارها ، بل ان هذه النظرية تعتبر نفسها غير منفصلة عن سائر التطورات الاجتماعية التي لا تتعرض بشكل مباشر الى التاثير الفوري للكفاح المسلح فحسب ، بل انها يجب ــ وهي مؤهلة لذلك ــ ان تشكل علاقات مبدعة ومتطورة مع جميع الاوضاع السياسية ــ الاجتماعية والثقافية السائدة بين اوساط الجماهير الشعبية . وهذا يعني ان الاستنتاجات التي تستخلص اليوم عن الكفاح المسلح ، لا يمكن ان تنطبق او يجب الا تطبقها على نفس الاستنتاجات المحدودة التي كانت تستخلص قبل اربعة او خمسة سنوات عندما حدثت اولى الاشتباكات بين قوى الشعب الطليعية والعدو ، ان هذه الاستنتاجات يجب ان تكون الآن اكثر تقدمية واكثر تعقيدا وان تشرف على آفاق احدث في التقدم المتعدد الجوانب في العمل ــ وان عمل منظمتنا لهو خير مصداق لهذا القول ــ فلقد ادركنا نحن خلال هذه الفترة ابعادا احدث وتفسيرا اكثر سعة للكفاح المسلح ، كانت المجابهة مع العدو تبين فقط جانبا واحدا منها ، في حين كانت التعقيدات المرتبطة بعلاقات مختلف طبقات الشعب في الكفاح المسلح ، المصالح والاهداف المرحلية المادية او الطويلة الامد لهذه الطبقات ، وعلاقتها -- المصالح والاهداف ــ بالاهداف المرحلية ، او الطويلة الامد للكفاح المسلح ، وكذلك التعقيدات المتعلقة بالعلاقات السائدة بين القوى الثورية والتقدمية العاملة ضمن الحركة الثورية (المسلح منها وغير المسلح) والتاثيرات التي تتلقاها العناصر المختلفة في هذه الحركة من بعضها البعض ، والمواقف التي تتخذها هذه القوى نحو بعضها وكذلك نحو العدو (او التي يجب ان تتخذها) ... الخ ، هي ابعاد اخرى من تفاصيل ليس اليوم في مقدور اي مناضل مخلص في الميدان ، في اية جبهة كان واي سلاح يحمل ، ان يتخذ منها موقف اللامبالاة. ولنفس هذا السبب ، وبالنظر لعدم الانتباه الذي اكتنف هذه القضايا

الى الآن ، فاننا سنتطرق الى هاتين المسألتين بشكل مختصر ، اي مسألة العلاقات بين الكفاح المسلح وطبقات الشعب المختلفة ، ومسألة العلاقات بين القوى التقدمية والثورية المتواجدة ضمن الحركة ... ان هذا العمل من شأنه ان يشكل مبادرة نحو بحوث وتحليلات اكثر شمولا ، لا بد من اجرائها سواء من قبلنا او من قبل العناصر والمجموعات المناضلة الاخرى .

العلاقات القائمة بين الحركة المسلحة الطليعية ومختلف الطبقات الشعبية

كتصنيف اولي ، في وسعنا ان نضع حدودا فاصلة طبقية بين الطبقات العمالية والبرجوازية الصغيرة القاطنة في المدن ــ بشقيها الرئيسيين التقليدي وغير التقليدي ، التقليدي يعني الجزء المركب من الحرفيين القاطنين في المدن ، الباعة المتوسطون ، الطلبة الشباب ورجال الدين غير المرتبطين بالطبقة الحاكمة و ... (وبقايا مشتتة من البرجوازية الوطنية تعتبر من الناحية السياسية جزءا من البرجوازية الصغيرة) ، وغير التقليدي يعني الجزء المركب من طلبة الجامعات ، والمثقفين الجامعيين وغير الجامعيين وموظفي الدولة والفئات الدنيا والمتوسطة من منتسبي الدولة والاختصاصيين الفنيين ... ــ والطبقة الفلاحية التي تشمل صغار الملاكين والفلاحين الفقراء والعمال الزراعيين ...

ان التجربة والدلائل المادية الكثيرة تشير الى ان حركة الكفاح المسلح الطليعية تمكنت من ان تنشىء بشكل رئيسي علاقات وثيقة متبادلة مع فئتين من الشق التقليدي وغير التقليدي للبرجوازية الصغيرة . هاتان الفئتان هما طلبة الجامعات ، المثقفون الجامعيون (وغير الجامعيين ايضا في بعض الاحيان) اولا ، والعناصر المتوسطة والدنيا من البرجوازية الصغيرة في المدن والجناح اليساري من رجال الدين الذين يحظون ، من الناحية الاقتصادية ، اماكن تقع ضمن القسم الادنى من السلم ــ الطلبة الشباب والروحانيون غير المرتبطين ــ ثانيا . كانت هذه الفئات تعتبر ، حتى الآن ، من

المساندين الاصليين للحركة المسلحة الطليعية ، ويكفي ان نلقي نظرة فاحصة الى المنشأ الطبقي (١١) لاشخاص استشهدوا خلال السنوات الاخيرة في حوادث تتعلق بالكفاح المسلح او اناس آخرين يرزحون الآن في اعماق السجون ويتعرضون لابشع انواع التعذيب البربري ، لنتأكد بوضوح من صحة هذا الراي .

ان هذه النقطة لا تعني طبعا ، بأنه لم تكن هناك في صفوف الكفاح المسلح عناصر عمالية او فلاحية ، بل تعني بأن الكفاح المسلح قد تمكن لحد الآن ، فقط وبشكل عام ، ان ينشىء الصلات التنظيمية مع الحركة الطبقية العفوية للمثقفين والفئات الدنيا والمتوسطة من الجناح التقليدي للبرجوازية الصغيرة في المدن ، والا فان عدد العناصر المتحدرة من الاصول العمالية او العمال الذين التحقوا بالحركة ليس بقليل ، لكن الفرق بين هذا العامل وذلك يكمن في ان العامل الذي يلتحق بحركة الكفاح المسلح ، فانه لا يعمل ذلك كنتيجة لممارسة الحركة العفوية لطبقته او لنفسه ، ولاخلال عملية نمو وتوسع ومن ثم تصاعد هذه الحركة الى مرحلة الكفاح المسلح ، بل انه يتعرض من طريق آخر غير الطريق العام لحركة طبقته الى التوعية والتثقيف السياسي ويلتحق بعدئذ ، بالحركة كأي مثقف (سنشير الى هذه المسألة بالتفصيل في مكان آخر) في حين ينجذب (يصل) المثقف الى الحركة الثورية بشكل طبيعي خلال مسيرة المساهمة العملية في الكفاح الطبقي لطبقته ــ كالاشتراك في النضال المهني السياسي الجامعي المحدود ، او خلال انواع المظاهرات والاضرابات الطلابية وطرح المطاليب الديمقراطية ــ . ويؤدي التكامل الطبيعي والتوجه المنطقي لكفاحه الفئوي او الطبقي الذي يملك محتوى ديمقراطيا من جهة ، ويجابه باشد انواع المقاومة من لدن الحكم الدكتاتوري المهيمن ، يؤدي بسرعة الى الشكل الوحيد الممكن في النضال ــ الشكل السري ــ والجواب الوحيد على عنف هذا النظام الفاشي ــ اي « العنف المسلح » ــ ونفس الشيء ينطبق على العناصر البرجوازية الصغيرة المنتمية الى البرجوازية الصغيرة اليسارية التقليدية ــ لكن لاسباب وعوامل غير تلك التي ذكرت في حالة المثقفين ــ اذ تجد البرجوازية نفسها قبالة اشد الضغوط القاتلة من النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية ، من قبل البرجوازية الكمبرادورية من جهة ، ولا تجد ، من الجهة الاخرى ، اي شكل آخر

اوفى في النضال — غير المقاومة العنيفة المسلحة — لعكس مقاومتها وتمردها الغاضب ضد نظام مصمم على ابادتها (ان مسألة مخاوف البرجوازية الصغيرة بان فناءها واضمحلالها تكمن في عملية نمو هذا النظام ، لامر بالغ الاهمية في تأطير عقائدها السياسية وشكل ومحتوى نضالها الطبقي) ، (ويلاحظ بان البرجوازية الصغيرة الايرانية تتمتع بماض نضالي طويل ، يمتد من زمن «الثورة الدستورية» (٢٢) والى يومنا هذا ، وهذا مما ادى الى خلق تقاليد نضالية طويلة ومستوى مناسب من الوعي السياسي لديها بحيث يمكن تلمس آثار هذه التقاليد — معاداة هذه الطبقة للنظام الحاكم تشكل استجابة لمصالحها الطبقية الخاصة — والوعي في النضال الذي تخوضه الآن ايضا .

وهكذا يتبين بأن حركة الكفاح المسلح تقترب ، فورا وعند اولى خطاها ، من الح ولمس حاجات المثقفين (الاهداف الديمقراطية للكفاح المسلح الطليعي) والمصالح والآراء السياسية للجناح اليساري من البرجوازية الصغيرة التقليدية (الشكل العنفي الحازم من النضال ضد النظام الحاكم) ، وتعلن هاتان الفئتان — مقابل ذلك — عن مساندتهما وتأييدهما النشط نحو الكفاح المسلح وتتحولان الى اولى مصادر تغذية الحركة بالرجال .

لكنه من المحتم ان لا تختتم اهداف الكفاح المسلح الطليعي بكسب تأييد وعطف ومساندة هذه الفئات التي تشكل قسما صغيرا للغاية من قوى الشعب ، خصوصا وان تأييد وتعاون هذه القوى وارتباطها بالكفاح المسلح مشروط وقابل للتلقي الضربات دوما بالنظر لجوهرها الطبقي المتردد وافكارها غير البروليتارية (١٢) . وفي الواقع باستثناء عناصر معدودة للغاية من هذه الفئة من المثقفين (وعناصر اقل عددا بكثير من البرجوازيين الصغار) الذين يقدرون على التخلص من القيود والمشاعر الطبقية والذوبان بشكل كامل في الاهداف الاشتراكية العلمية للكفاح المسلح — التي هي اساسا اشتراكية — فان البقية الذين يشكلون اكثرية ساحقة يبقون ضمن حدود المطالب الديمقراطية او المصالح الذاتية التي تعكس آفاقهم الطبقية (ولا شك في انهم يتحملون تبعات الكفاح الثوري لا الى حد الكفاح البروليتاري بل الى حد هذه المطالب والمصالح فحسب) . وهكذا فان هذه القوى تترك صفوف الحركة بمرور الزمن ومع اشتداد وتصاعد العنف المضاد للثورة من جانب العدو ، او يجبرون الحركة على الدخول في

مأزق من آرائهم المحدودة او الانحرافية .

وخلاصة القول ، على المنظمات الكفاحية المسلحة الطليعية (او المنظمة التي تدير دفة الحركة) (١٣) الا تبني من مشاعر المثقفين الجريحة بحراب الدكتاتورية الحاكمة او التمرد الغاضب للبرجوازيين الصغار اليساريين ازاء الهجوم القاتل من جانب البرجوازية الحاكمة سندا اساسيا لكفاحها وعملها ، بل عليها ان تستند على الجماهير المتعرضة للظلم والاستغلال والطبقات الكادحة الذين لا يجد النظام الحاكم سبيلا الى كسب ودها او مهادنتها ، وبالتالي فصلها عن الحركة الثورية . ان هذه الطبقات ، على كونها تتمتع بوعي اضعف من الطبقات المتوسطة ، لكنها بمجرد استيعابها للنظرية الثورية وبمجرد ادراكها لواقع ان مصالحها الاساسية تنعكس في الاهداف السياسية للحركة الثورية ، تتحول الى قلاع عظيمة من الثورية غير قابلة للمس ابدا ، وتشكل عامل ضمان كبير وسندا اساسيا لانتصار الثورة المحتم . وفي الواقع ، فان قدرة الحركة على كسب ود وتأييد هذه الطبقات وابراز المسار الهائل نحو التغيير للتعادل السائد بين القوى الاجتماعية هو الذي يستطيع القضاء على تردد وخوف الفئات المحايدة لصالحها وتضمن لنفسها التأييد النشط والتعاون المتواصل من جميع هذه الفئات .

وبعد ذكر هذه المقدمة ، يصبح من الضروري اكثر تسليط الضوء على العلاقات التي تربط بين حركة الكفاح المسلح الطليعي وهذه الطبقات (العمال والفلاحين) . وقبل الخوض في هذه المسألة لا بد من الاشارة الى الموقع الاجتماعي — السياسي والثقافي للطبقة العاملة .

الاوضاع العامة للطبقة العاملة

ان التجارب والمشاهدات الحية التي هي حصيلة سنوات من العمل والارتباط عن كثب للعديد من رفاقنا في المعامل والاوساط العمالية ، تبين بوضوح بان الطبقة العاملة الايرانية لا زالت تطوي المراحل الاولى من الحس الطبقي وبدء النضال المهني الاقتصادي بحيث ان وعيها المهني — الاقتصادي ، هو الآخر لم يتضح بعد بشكل متقدم وان اكثر

افرادها طليعية لا يتجاوز حسه الطبقي غير المطالب الاقتصادية، وحتى هذا الحس يشمل مدى محدودا فقط وعلى وجه العموم ينعدم الوعي السياسي تقريبا ، في غير شكلين استثنائيين يجمعان اقلية محدودة من العمال فقط .

الشكل الاول من الوعي السياسي هو ، ما يمتاز به ذلك النفر من العمال القدماء والمجربين الذين سبق لهم وان اشتركوا في وقت ما في النشاطات المهنية ــ السياسية خلال الاربعينات من هذا القرن وما بعدها وهؤلاء العمال قد يتحدثون في بعض الاحيان عن الاهداف الشيوعية ايضا . لكنهم ، على وجه العموم ، لا يملكون تصورا واضحا ، وحتى اولي ، عن الشيوعية . ولا وجود للوعي الاشتراكي بينهم على العموم بشكله المبدئي والواقعي ، بل تعم في صفوفهم اشكال منحرفة من الاقتصادية والتحريفية يمكن ان تعتبر هي الاخرى ، نماذج اخرى لتخريبات قيادة حزب توده في الحركة الوطنية الايرانية ، وفي الحركة العمالية الايرانية (١٤) . على اي حال هناك بين صفوف هؤلاء العمال الذين هم الآن ، بشكل عام ، في جملة العمال المهرة والمتخصصين والفنيين ، عدد غير قليل من الاشخاص الذين لا زالوا يحتفظون بروحهم النضالية على رغم تحملهم لثقل سنوات من الركود السياسي و ... ، وبامكان هؤلاء لو جدد تثقيفهم السياسي ان يلعبوا دورا طليعيا في النضال العمالي في بلادنا .

اما الاستثناء الثاني فينحصر في ان الوعي السياسي الموجود بين العمال هو من طراز الوعي السياسي الذي تتميز به البرجوازية الصغيرة والذي ينعكس على شكل محافل دينية ــ شبه سياسية ، وينتشر بين صفوف الطبقة العاملة اكثر من الاستثناء الاول ، ويدخل هذا النوع من الوعي الى صفوف الطبقة العاملة عن طريقين ، احدهما هو طريق العناصر البرجوازية الصغيرة الساكنة في المدن والذين انخرطوا في صفوف العمال تحت ضغط الراسمالية ، والطريق الآخر هو من خلال المحافل الدينية التي يقف على راسها طالب دين او فقيه او احد العناصر المرتبطة بالبرجوازية الصغيرة التقليدية على رغم التركيب العمالي الخالص لهذه المحافل . ان العمال الذين يشتركون في مثل هذه المحافل الدينية واتعون عموما في تاثير الميل السياسية للبرجوازية الصغيرة بشكل ان الشخص الذي لا يملك تصورا صحيحا

للقضايا العمالية في ايران ثم يلتقي باحد افراد هذه المحافل ، قد يصاب بنوع من الذهول من مستوى وعي هؤلاء الافراد وروحيته المعادية للنظام ، وهذا يحدث في وضع لم يمر احد هؤلاء الافراد حتى بتجربة واحدة من تجارب النضال الطبقي كاضراب عمالي او نضال مهني ــ اقتصادي ! وفي الواقع ، ان العمال الخاضعون للنفوذ التقاضي السياسي للبرجوازية الصغيرة يعجزون عن ادراك التناقض الواقعي الذي يفصلهم عن الطبقة الحاكمة . لهذا فان مشاعرهم وآرائهم السياسية لا تعبر عن مصالحهم الطبقية الاساسيه بل ان وعيهم السياسي لا يخرج من اطار نفس الوعي السياسي الناجم عن التناقض الموجود بين البرجوازيه الصغيرة والنظام وذلك لانهم ، اي هؤلاء العمال ، يشكلون ذيلا للبرجوازية الصغيرة ، ولذلك نرى ان مفاهيمهم (اي هؤلاء العمال) لا تخرج على الاغلب ، عن نطاق النضال ضد المظاهر الفاسدة من ثقافة الطبقة الحاكمه والآراء المعتمدة على البنيان الفوقي المعادية للتحلل والفساد .. لا اوضاعهم الحيتية ، بالذات (١٥) والمطاليب السياسية والاقتصادية المرتبطة بمصالح طبقتهم ، وهكذا فان رسوخ واستقرار هذ النوع من الوعي الذي لا يستند الى المصالح الطبقية الاعمق للطبقة العاملة بل ينبع من المصالح المحدودة للبرجوازية الصغيرة وايديولوجيتها ، يؤدي الى عدم اخذ التناقضات الاعمق بين الطبقة العاملة والراسمالية بنظر الاعتبار ويشكل سدا امام دخول ورسوخ الوعي الاشتراكي الاصيل ويسدد ضربة الى النضال الواقعي ذو الامد الطويل للعمال ، لذا لا يمكن ان يعتبر بطبيعة الحال امرا ايجابيا .

لكننا ، لنترك هذين النموذجين اللذين لا يعكسان قطعا الاوضاع السائدة في صفوف الطبقة العاملة ، اننا نواجه طبقة شابة ، فتية ، وفي حالة التكوين في الواقع . طبعا ، صحيح ان تاريخ الصناعة في ايران وبالتالي نشوء الاتوية الجنيئيه لهذه الطبقة يعودان الى ما يزيد على الـ ٦٠ ــ ٧٠ سنة مضت ، وان هذه الفترة قد شهدت بشكل متواصل نضالات اقتصادية ــ مهنيه ــ سياسية ضارية من جانب هذه الطبقة بصرف النظر عن فترات ركود مرحلية (يراجع « التاريخ الموجز للحركة العمالية في ايران » من منشورات المنظمات الايرانية في الخارج وكذلك « تقارير حول الحركة العمالية في ايران »

من منشورات منظمة مجاهدي الشعب الايراني) ، لكن النمو المتزايد لهذه الطبقة وتحولها الى قوة **حاسمة واصلية** منتجة ، وبطبيعة الحال ، سياسية ايضا ، يعود اساسا الى التحولات التي طرأت على اوضاع البلاد في السنوات الاخيرة والنمو المذهل للبرجوازية الايرانية المرتبطة . فليست الطبقة العاملة الايرانية ، بعد ، طبقة صامتة مريضة تعود الى مرحلة الانطلاق المرتبط ، بل انها طبقة تامية تشير كل الدلائل والوقائع الى انها ستلعب بسرعة دورا بارزا ومؤثرا وحاسما في الحياة الاقتصادية والسياسية في ايران ، ولهذا السبب فان الطبقة العاملة الايرانية ، مع جيش كبير من الفلاحين المتحولين الى عمال ، المهنيين وصغار البرجوازية والبروليتاريا الرثة الذين اجبرهم ضغط الراسمال على الانخراط في العمل من اجل اجر يومي ، طبقة هي في طور النشوء والتكوين ، وضعت لنوها الاقدام على عتبة التوسع الكمي والكيفي وعليها ان تطوي طريقا طويلا حتى تحقق التجانس التام والتنظيم الصحيح والوصول الى التجارب النضالية المهنية — السياسية (١٦) .

طبعا هذه الاوضاع التي تمر بها الطبقة العاملة لن تظل الى الابد ، وكما قلنا فيما سبق ، فان حركتها الطبقية باتجاه النمو تضعها بسرعة وبشكل متصاعد في مواقع اكثر حسما بين القوى المنتجة والسياسية للمجتمع ، وتتكامل ، جنبا الى جنب مع هذه الحركة ، حركتها العفوية بشكل مستقل ودون الخضوع لاية ارادة وتحت تاثير التناقض الحتمي العميق النامي في اعماق الراسمالية الحاكمة في ايران واستجابة للضرورات الاساسية الخاصة التي تحكم تطورها . لذا فان الح سؤال يطرح نفسه هو : ما دام هناك حركة عمالية وفي الوقت الذي نملك فيه تصورا واضحا وواقعيا للخصائص التاريخية الهامة والمميزات الحالية لهذه الحركة ، فما هي المهام الاصلية للحركة الثورية وما هي مهامها المرحلية ؟

العلاقة بين الحركة الثورية الايرانية والحركة العفوية للطبقة العاملة

من الواضح ان المهمة الرئيسية لاية حركة ثورية (بمعناها الشيوعي) ازاء الحركة العفوية للبروليتاريا ، تنحصر بشكل عام في **زرع** الوعي السياسي (بمعناه الاشتراكي) في داخل الحركة العفوية للعمال ، ورفع مستواها وتنظيمها الى حد ايصالها الى مستوى نضال سياسي — عسكري متعدد الجوانب ضد اجهزة الطبقة الحاكمة الى ان يتم سحق الالة السياسية — العسكرية الاقتصادية للبرجوازية وتثبيت حكم البروليتاريا . لكن هذه مهمة في غاية العمومية والشمولية تتطلب الظروف الايرانية الخاصة شكلا خاصا من العمل يتناسب مع متتضيات هذه الظروف . ومن هنا فان المسالة برمتها تنحصر في كيفية انجام العملية في ظل الظروف الخاصة لايران . **كيف وباية** صورة يمكن لحركة لا زالت ضعيفة غير منجانسة وغير منظمة ومزبدا على ذلك وفي المرحلة الابتدائية تدور حول مطالب مهنية — اقتصادية متخلفة ، ان تصل الى ادراك ضرورة تجنيد الطاقات حول محور الكفاح السياسي — العسكري ضد النظام الحاكم (او تجنيد هذه الطاقات وجمعها حول محور الكفاح المسلح) ولزوم تولي الدور الطليعي تحت شعارات واهداف سياسية المغزى بشكل كامل ؟

ان هذا السؤال الذي هو ملح واساسي وحاسم في نفس الوقت قد يكون مضللا ايضا ، لو القينا على عاتق الحركة العمالية كل المشاكل والقضايا واعتبرنا ان السبب الرئيسي يعود الى تخلف هذه الطبقة وضعف وعيها السياسي وقصر مدى تاثيرها ، هذا الاتهام الذي يروج له المثقفون خطا . لكن ما هو الواقع الحقيقي للمسالة ؟ الواقع انه في هذه المرة علينا الا نبحث في الطرف الاول من المعادلة ، اي الحركة العفوية للعمال ، بل في طرفها الثاني اي الحركة الثورية ، عن المشاكل وجذور العقبات والعقد . اذا كانت الحركة العفوية العمالية في مستوى متدن ، واذا كانت هذه الحركة متخلفة وضيقة المدى واذا كانت هذه الحركة غير سياسية و ... فان هذه الامور ستعظم من مسؤوليات الثوريين الواعين ، لهذا فان جميع القضايا تتحول الى قضية واحدة : ما هي اوضاع حركتنا الثورية

ـ الحركة الثورية في ايران باجمعها ـ ؟ ماذا يعمل ثوارنا الآن في المدن ، في الريف ، في المعامل ، في الخارج ..؟ ان هذا السؤال موجه على الخصوص الى الماركسيين اللينينيين ، فهم الذين تقع على عاتقهم المهمة الاكثر اصالة . ان نظرة قصيرة الى الوضع الموجود ، تريثا وقائع مرة للغاية .

الاوضاع الداخلية السائدة داخل الحركة

يمر الشيوعيون الايرانيون اليوم بأوضاع سيئة للغاية ، ليس فقط لانهم يتعرضون لابشع انواع الملاحقة والتعذيب ثم الاعدام ، بل اكثر من ذلك لانهم يعيشون في وضع فظيع للغاية من التشتت والتفرق وتعدد الكتل . وان الفئوية ، الافكار المشجعة للانفصال والتشرذم بدلا من الوحدة تهدد الحركة الشيوعية في ايران تهديدا خطيرا ، ونتيجة لوجود مثل هذه الاتجاهات الخطرة اصيبت المجموعات الشيوعية (ثم المجموعات الثورية غير الشيوعية) بأمراض التشرذم وتغلب الطابع الانتقائي الذي يسيطر عليهم . فهناك فئتان رئيسيتان شيوعيتان معروفتان احداهما معروفة بايمانها بطريق الكفاح المسلح والاخرى معروفة باعتمادها الكفاح السياسي (بصرف النظر عن التقسيمات الجزئية الاخرى) يفتقران الى اي شكل من اشكال الوحدة بينهما ، بل ولا توجد هناك وحدة حتى بين التنظيمات الواحدة من احداهما ، وتسلك المجموعات والمنظمات الثورية في الداخل (سواء المؤمنون منهم بالكفاح المسلح او غيرهم) من جهة ، والمجموعات والعناصر الثورية في المجتمع ، من طرف آخر ، كل طريقها الخاص لوحدها ... انه في مثل هذه الظروف ، لا بد ان يقال بأن كل الحركة الثورية الايرانية وعلى راسها كل الحركة الشيوعية في ايران ، تمر بأسوأ حالات التجزئة والتشتت في حين يوجه العدو الذي يتمتع بأعلى اشكال التمركز ووحدة قواه ، اقسى الضربات القاتلة الى القوى المشتتة للحركة مستغلا هذه الاوضاع البائسة . وتتواصل الآن مختلف اشكال الانتقائية ، من طبع الكتب ونشر الجرائد الى عقد الحلقات الصغيرة التثقيفية او السياسية وحتى العسكرية ضمن الحركة . لكن ايا من الصور الفئوية هذه لا تنجح

في اطر سياسية معينة او خط تنظيمي معين ، بل ولا يوجد اي نوع من الوحدة بين مجموعتين رئيسيتين من المنظمات المسلحة العاملة في المدن ، اي بيننا وبين رفاقنا في منظمة فدائيي الشعب .

والآن يجب ان نسأل عن السبب الذي يمنع تجمع كل ثوارنا ـ او القسم الاعظم منهم على الاقل ـ في اطار سياسي وتنظيمي واحد معين ؟ لماذا لم يتحقق حتى الآن اي شكل من اشكال العلاقة بين تلك المجموعة الفصالية المسلحة التي تقاتل في المنطقة الريفية النائية الفلانية ضد عدو مسلح حتى الآن آخر قطرة من دم افرادها بايمان ثابت وحزم منقطع النظير وبين ذلك التصير الباسل الذي يعيش في المدينة ويمارس اعمال الاعلام المسلح باخلاص في اوضاع قل مثيلها من حيث الصعوبة والدقة ، وبين كليهما وتلك المجموعة المخلصة التي تمارس النشاط السياسي بين الطبقات الكادحة او تلك الفئة التي تنشر ، بروح نضالية وثابة ، المطبوعات الثورية ؟ نعم ، بين هذه الفئات من الثوريين الذين لا يرقى اي شك الى اخلاصهم وتفانيهم في سبيل القضية ؟ من ذا سيكون المسؤول عن وجود مثل هذه الاوضاع البائسة غير انفسنا ؟ الا يكفي هذا التشتت والتجزئة اللذان يسودان حركتنا الثورية ، الا يكفي اخفاق ثوريينا ـ قوى ومجموعات نضالية مختلفة ـ في التجمع في اطار تنظيمي واسع حول خط كفاحي سياسي موحد في حين تفرض الظروف التاريخية وتمو وتكامل حركتنا الثورية ضرورة وحدة القوى الثورية اكثر من اي وقت مضى ، الا يكفي كل هذه الاوضاع لدفعنا نحو الوحدة والائتلاف ؟ اليس مبعث قلق وحزن عميقين سواء هذه الاوضاع المتردية للغاية في جونا الثوري ، في حين ، هناك الحد الاعلى من الاستعداد في الجبهة الاخرى ، في جبهة النضال العفوي الذاتي الذي تخوضه الجماهير ؟ الا يفتد بهذا ، الشيوعيون الحقيقيون وسائر المكافحين المخلصين افضل الظروف الثورية ، بأيديهم بالتفرقة والتشتت اللذان هما من وضع ايديهم ؟ اي فرد ، اي مجموعة ، اية منظمة بوسعها او تريد حل مشاكل الحركة الثورية بمفردها ، كمجموعة او منظمة . اية منظمة ، اية مجموعة تستطيع ، او تريد ، ان تحسم جميع المسائل الاجتماعية والقضايا والمشاكل المرتبطة بكفاح الطبقات الشعبية المختلفة لوحدها ؟ هل يمكن رفع العقبات والمشاكل التي

تواجه المجموعات بشكل منفرد والتي تتعلق بقضايا معقدة مثل كيفية التقييم لنضال طبقات الشعب المختلفة ، تكوين الصلات مع الحركة العفوية لهذه الطبقات ، الاتجاه الجماهيري للمنظمة (او الجبهة) وواجباتها العامة والمرحلية ... خصوصا تلك القضايا التي تواجه المنظمات الطليعية المسلحة بسبب تقدم وتكامل الكفاح المسلح واجتياز الاخير للمراحل الاولية من هذا الطراز الكفاحي ، تلك المسائل التي لم تتضح بعد بالنسبة لبعض المجموعات الاخرى ، نقول هل يمكن حل جميع هذه المشاكل ، والاضطلاع بكل هذه المهام من قبل منظمة او مجموعة واحدة بمفردها وبشكل مستقل عن سائر المنظمات والمجموعات الاخرى ؟

هناك مسألة مهمة تفرض نفسها سواء بالنسبة لنا او بالنسبة لكامل الحركة المسلحة الطليعية وهي : « ما هي الشعارات التي بامكانها عكس طموحات حركة العمال والتي يمكن رفعها الآن بشكل اساسي او مرحلي ؟ » و « ما هي التكتيكات التي يجب اللجوء اليها من قبل المنظمة المسلحة الطليعية بشكل مرحلي من اجل الاقتراب اكثر من مصالح وتطلعات الحركة ؟ » ، « كيف السبيل الى توثيق الصلة بين الحركتين باتجاه اندماجهما ؟ » . ولكن ، الا يكون من الخطأ ان نفكر ونحلل نحن كجزء من حركة الشعب المسلحة وجزء اصغر من حركة الشعب الثورية بعيدا عن مهمات الحركة الثورية بروح فئوية وبعيدا عن كل هذه القوى ، ان نتصدى لوحدنا لحل المعضلات التي تواجهنا ؟

طبعا ، هناك في تصوراتنا طرق حل لمجابهة هذه القضايا ، واستنتاجات واساليب عمل لمعالجتها والتصدي لها ، وقد لا نكون مغالين ان قلنا باننا لم ندخر وسعا لتنفيذ ما هو صحيح في نظرنا ويخدم القضية ولكن طرق الحل هذه لا تستطيع ، بطبيعة الحال ، ان تنفصل عن المساعي الرامية الى وحدة القوى الثورية والنضال للقضاء على التشتت والتكتل في الحركة الشيوعية الايرانية ، والا هل يمكن ان يكون اسلوب العمل والتصدي المنفرد او الفئوي ، اسلوب عمل وتصد شيوعيين ؟ هل من شأن تصد فردي لمثل هذه القضايا — خصوصا في مثل هذه المرحلة من نمو القوى الثورية وتهيؤ الظروف الاجتماعية — ان يكون شيئا آخر سوى نوعا جديدا من العمل

الانتقائي الذي يدفع بقوى الثورة الى التباعد والفرقة ؟ أليس بغض النظر عن سائر جهات الحركة الثورية ، اي اهمال للقوى الهائلة التي تناضل تحت لواء هذه الجهات والمكانة التي بوسعها احتلالها ، مهما كان الامر ، في التنظيم الواعي لقوى الحركة (لا التنظيم العفوي الحالي) ، أليس كل ذلك تصرفا عصبويا في الحركة الثورية ؟ وبالتالي هل المسألة هي غير الواقع الذي يقول بأن جميع طرق الحل الفئوية تستطيع ان تمارس التأثير وتحل المسائل العامة للحركة ، مسائل الحركة العفوية لكل طبقة ، بالترابط مع كامل الحركة الثورية فحسب، بحيث ان جميع هذه الفئات والمنظمات والمجموعات تتجمع حول خط سياسي عام واحد واطار تنظيمي موحد وفي سياق نضالي ايديولوجي عميق وصائب في داخل هذا الاطار نفسه ؟ اننا سنبين في القسم القادم كيف يمكن تحقيق هذا الهدف .

النتيجة :

انه ليكون اصوب بكثير ان نقول بأن المشاكل والقضايا التي تواجه المجموعات والمنظمات في الوقت الحاضر ، **المشاكل والقضايا المتعلقة بالعلاقات القائمة بين الحركة الثورية (سواء المسلحة او النشاطات السياسية — الثورية الاخرى) مع طبقات الشعب المختلفة ، ترجع الى حل مشاكل وقضايا متعلقة بالعلاقات القائمة بين مختلف القوى الثورية والتقدمية الشعبية .** وتصح هذه الاستنتاجات ليس فقط بخصوص علاقات المجموعات والمنظمات الثورية مع نضالات الجماهير القاطنة في المدن ، بل بشكل اوثق ، بخصوص النواتص والعثرات الموجودة في علاقات الحركة الثورية مع كفاح الجماهير الكادحة القاطنة في الارياف ايضا ، بشكل عام وكامل . وبوسعنا ، ونحن نعمل من اجل تكثيف الاستنتاجات عن الوضع الحالي لهذه الحركات (الحركات الفلاحية في الارياف) ، ان نقدم المسألة بشكل اوضح وبصورة موضحة .

نظرة عابرة الى الحركـــات الفلاحية الريفية (١٧)
وعلاقتها بالحركـــة الثورية

تظهر الجماهير الكادحة في الارياف ، الآن استعدادا نضاليا اكبر من اي وقت مضى بأنوى صوره — اي على شكل المقاومة المسلحة — لكن بحث القضايا المرتبطة بهذه المسألة تخرج من نطاق هذا البحث . واضافة الى ذلك ، هناك مسألة اخرى هي مسألة المجموعات والمنظمات النضالية المتعددة التي بادرت ، في السنـــوات الاخيرة ، الـــى العمل المسلح في نقاط مختلفة من ارياف ايران . ثم قضي عليها — مع مزيـــد من الاسف — دون ان تتكون اية علاقة وتنسيق بين هذه القوى والقوى المسلحة في المدن او الاجزاء الاخرى من الحركة الثورية ، او لا تـــزال تناضل دون ان تربطها اية صلة مع بعضها او مع الاجزاء الاخرى مـــن الحركة . فلا تزال الحركة المسلحـــة للشعب الكردي ، على رغـــم الضربات والهزائم المريرة التي منيت بها ، تواصل هجماتها المنفردة على يد القوى العسكرية المنتشرة في جبال « بانه »و« سنندج » .. الـــخ ولا زالت حية في ضمائر المناضلين الواعين والجماهير الكادحة مـــن الشعب الكردي . ان ارياف ايران عمومـــا — وهذه المنطقة علـــى الخصوص ، بالنظر للظروف الخاصة التي تتميز بها والسوابق النضالية الطويلة وتعقد تناقضات النظـــام ووجـــود الحزب الديمقراطـــي الكردستاني (المقصود هو الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني — المترجم) — لا زالت بؤرا حامية ومهمة للغاية لنار الثورة ومخازن بارود قابلة للانفجار بشكل كبير . كما ان حركة الشعب البلوشي ، تلـــك الحركة التي تعرض مصالح الامبريالية العالمية في احدى اهم المناطـــق الاستراتيجية — منطقة بلوشستان — من جهات ثلاثة ، ايران باكستان والخليج ، الى الخطر ، هي الان في عنفوان قوتها بالرغم من ان نظام الشاه العميل (بالتعاون مع سائر عملاء الامبريالية في الباكستان) قد سحبوا عليها ستارا ثآمريـــامن « الصمت القاتل » ، في وقت تشن عليها حملة قمع وحشية للغاية.

كما ان حركة شعب « الجنوب والسواحل » هي الاخرى ، والتي تحظى بمساندة القبائل الرحل والبؤساء من افراد القبائل القاطنة فـــي الصحراء او السواحل ، تشن منذ سنوات نضالا دمويا ضد المستعمرين من الطبقة الحاكمة الايرانية (ان هذه الحركات قد تكون مصابة ببعض

الانحرافات من ناحية اهدافها السياسية . لكن المحتـــوى الاصلـــي لنضالاتها ثوري ومن واجب الثوريين الواعين الارتفاع الى مستـــوى المسؤولية ازاء هذه الانحرافات التي هي في الاساس من حصيلة ضعف الثقافة السياسية لدى هذه الحركات ومعالجتها) .

في العام المنصرم شهدنا حركة ثورية جديدة في الجبال المحيطة ببير وجرد ومنطقة لرستان الحساسة ، وكان هناك احتمال شديد ان تندمج مع ثوار المدن والحركة الثورية المسلحة في المدن ، من طرف ومـــع الحركة الثورية الكردية وذلك من خلال الانتشار في الجبال التي تعزل لرستان عن كردستان ، والان ، بعد سلسلة من العمليات الارهابيـــة والقمعية التي شنتها قوات الشاه على ثوار هذه الحركة ، وبعد ان تم حصر الانوية الثورية التي كانت محرك الحركة حصرا شديدا انقطعت اخبارها عنا (المقصود هو مجموعة الدكتور اعظمي) .

وتصلنا الان اخبار من اذربيجان ، لم تتاكد بعد ، كما وهناك علاوة على ما سبق مقاومات واصطدامات عفوية ، هنا وهناك ، تأخذ اشكالا مسلحة في بعض الاحيان ابطالها هم ابناء الارياف (واخر حادث من هذا النوع ، هو هجـــوم زراع الرز القاطنين في الاريـــاف المحيطـــة بـــ « رودسر » على المدينـــة ومحاصرة مركز القضـــاء والمطالبـــة بعزل المسؤول الاداري ثم التهديد بقتله ان لم يتم ذلك ، ثم الاشتباك الدموي بين هؤلاء الفلاحين مع قوات البوليس ، الذي ادى الى مقتل احـــد الفلاحين وفرار قوات الشرطة ، ثم احتلال المدينة من قبل الفلاحـــين لعدة ساعات . وكان للحادث صدى واسعا بحيث ان جريدة « كيهان » اضطرت الى ان تنشر الخبر بشكل محرف قائلة«وعدت سلطاتمحافظة كيلان زراع الرز في رودسر وعدا لحل مشكلة توزيع المياه ») .

والان يبرز هناك تساؤل مفاده ما هي السبل التي تستطيع الحركة الثورية في ايران (بمختلف منظماتها وقواها) سلوكها لاقامة الصلات مع الحركة العفوية للفلاحين قبل ان تنشيء اية صلات ، اية علاقات سياسية او تنظيمية مع المجموعات الثورية المناضلة في الارياف ، مـــع الحركات الثورية الاقليمية (الحركات الثورية للشعب الكردي ، للشعب البلوشي ، اللري ، لشعب الجنوب والسواحل وغيرهم) ؟

قد يكون هذا الامر ، اي التصدي لمسألة العلاقات بين مختلف قوى الحركة الثورية غير قابل للادراج في جداول المهام المطروحة امام الحركة

الثورية ، قبل عدة سنوات ، قبل اربعة او ثلاثة سنوات او حتى سنتين . لكن اليوم ، حيث تسود ظروف استعادت فيها عدد كبير من المجموعات الثورية هويتها السياسية والطبقية الاصيلة ، كل حسب ظروفها ومواقعها الاجتماعية ، في ظروف اهلت التجربة السياسية — التنظيمية هذه المجموعات لاقامة جسور اتصال اكبر وتعاون اوسع ، خصوصا الافاق التي صنعتها حركة الكفاح المسلح الطليعي بطيها المظفر لمرحلة من مراحل عملها على صعيد التعاون والوحدة بين القوى الثورية ، في ظروف جعل العدو — بتمركزه ووحدته — من مسألة تمركز ووحدة القوى الثورية امرا في غاية الضرورة وبالتالي في ظروف يشكل الماركسيون — اللينينيون فيها قوة مهمة وحاسمة ، سواء من الناحية الكمية او من الناحية الكيفية داخل الحركة الثورية ، في مثل هذه الظروف كيف يمكن اهمال مسألة مهمة كهذه مسألة العلاقات بين اطراف مختلف القوى الثورية وعدم وضعها من جملة المهام العاجلة للثوريين الايرانيين ؟

وخلاصة القول :

١ — احرزت الحركة الثورية الايرانية ، وعلى راسها الحركة المسلحة الطليعية الى الان مكاسب عظيمة في اقامة جسور العلاقة بالقوى الواعية من المجتمع — خصوصا فيما يتعلق بالمثقفين وكذلك الفئات الدنيا من البرجوازية الصغيرة — وتتمتع حركة الكفاح المسلح في الارياف ، كذلك بعطف وتأييد الجماهير الفلاحية والريفية المتواجدة في مناطق عملها بشكل عام ، وهذه المكاسب ليست سوى ثمارا مباشرة للعمليات المسلحة والاعلام المسلح من جانب المجموعات الثورية وهي في المقابل ، صورة عاكسة لرد الفعل المناسب والمساعد من جانب هذه القوى نحو طلائع الشعب الثورية .

٢ — ولا تنحصر المهمة الاساسية التي تواجه القوى الثورية في المجتمع وكذلك المنظمات المسلحة الطليعية (المقصود هم الماركسيون اللينينيون) في كسب عطف ومساندة هذه الفئات ، بل ان التأييد النشط من جانب الطبقات الكادحة في المجتمع وفي مقدمتها الطبقة العاملة وتأطر واتجاه النضال المعادي للامبريالية والمعادي للحكم الملكي الذي يخوضه كادحو الارياف ووضوح هويته ، هو الاخر مسألة في غاية

الاهمية والالحاح . ان منظمتنا كجزء صغير من الحركة الثورية في ايران وجزء مهم — نسبيا — من حركة الكفاح المسلح الطليعية تؤمن بان القضايا المتعلقة بعلاقات منظمة مسلحة طليعية مع الطبقات الشعبية الكادحة لا يمكن ان تنفصل عن مسألة اعم ترتبط بالعلاقة التي تربط الحركة الثورية ككل مع هذه الطبقات ، وبالتالي عن العلاقات التي تربط القوى الثورية داخل المجتمع مع بعضها .

٣ — كما ونؤمن بأن حل مسألة علاقة الحركة الثورية — في ظروف خاصة مثل هذه المرحلة من تكامل القوى الثورية ومواقع قوى العدو — بطبقات الشعب المختلفة يعتمد على حل مسألة الوحدة بين نفس هذه القوى الثورية الشعبية والنضال من اجل تحقيقها . ان هذه هي العقدة الاصلية التي يخفي في داخلها راس الخيط ومنشأ التمزق والفئوية السائدة في الحركة الثورية والقضايا والمشاكل الاساسية التي تعاني منها المجموعات والمنظمات الثورية . ان العثور على هذه العقدة ، ثم التركيز عليها ، هو الطريق نحو حل جميع المعضلات والمشاكل التي تمر بها الحركة الثورية .

الجبهة الشعبية الموحدة

الخطوة الاولى نحو الوحدة

في وسعنا الان ان نتفرغ للاجابة على هذا السؤال الاساسي : كيف يجب ان يكون شكل العلاقات التي يجب ان تسود بين القوى المختلفة للحركة الثورية ؟ كيف يمكن انهاء الاوضاع المؤسفة والفئوية ، واوضاع التمزق والتشتت السائدة بين القوى التقدمية والثورية العاملة ضمن الحركة ؟ كيف السبيل الى حل مشكلة وحدة القوى المناضلة في ايران؟ كيف يمكن لقوى ذات ايديولوجيات مختلفة ، ومعتقدات ومفاهيم سياسية متباينة ومتناقضة في بعض الاحيان ، ان تصبح مكونة لهذا النوع من الوحدة ؟

اما اليوم ، اذا كانت مسألة وحدة القوى الثورية قد اصبحت في غاية الالحاح لا لسبب رغبات هذه الفئة او تلك ، بل بداعي الضرورات التاريخية ، حيث يقف على احدى طرفي المعادلة الدكتاتورية الجائرة

والارهابية المتمثلة في النظام العميل الذي يقوده الشاه الخائن ، وفي الطرف الاخر حاجة الحركة الثورية الحديثة الطراز الى النمو والتوسع، الا يمكن في مثل هذه الاوضاع ، اعتبار امر الوحدة ضروريا بل وملحا للغاية ، وممكنة ايضا ؟ ما دام نظام الشاه العميل لا يتحمل بعد وجود اية قوة معارضة وينقض بوحشية على اية حركة نضالية ، وما دامت الحركة الثورية تكتسب في كل وقت انفاقا وامكانيات جديدة وتجتذب الى صفها قوى اكبر ، اليست هذه في الواقع ، ظروفا مادية وموضوعية تستلزمها هذه الوحدة المنشودة ؟ هذا في وقت قد كسب فيه ثوريونا ، وعلى راسهم المنظمات المسلحة ، ما يكفي من التجربة العملية من خلال اجتياز مرحلة كاملة من التطور بظفر ، لتحمل اعباء مثل هذه الوحدة .

لكن كيف يمكن التحرك نحو هذه الوحدة ؟ كيف يمكن الاستجابة الى هذه الضرورة الحيوية التي تواجه الثوريين اليوم بالحاح ؟ ان منظمتنا تقترح قيام « **الجبهة الشعبية الموحدة** » المؤلفة من جميع القوى الشعبية المتخرطة في جبهة الكفاح ضد نظام الشاه العميل واسياده الامبرياليين — وعلى راسهم الامبريالية الامريكية — وتضع اقتراحها هذا امام سائر القوى الثورية والتقدمية في ايران ، مؤمنة بان هذه « الجبهة الشعبية الموحدة » من شانها ان تصبح خطوة اولى من جانب هذه القوى نحو الوحدة . وهكذا سيصبح بامكان جميع الماركسيين اللينينيين الحقيقيين وجميع القوى الدينية المناضلة والديمقراطيين الثوريين وقوى ممثلي الحركات الفلاحية المسلحة تنظيم نشاط ثوري مشترك ضد النظام في داخل هذه « الجبهة الشعبية الموحدة » ، ويمكن ان يبدأ هذا النشاط الموحد ضمن هذه الجبهة الواسعة بادنى مستوى للعمل النضالي ، اي بنشر وترويج الثقافة الثورية ، بالعمل الاعلامي السياسي بين الطبقات الكادحة من الشعب (العمال ، الفلاحون ... الخ) الى اعلى اشكال العمل المسلح في المدن والارياف .

ان من خلال تهيئة هذه المستلزمات ، يمكن للمنظمات المختلفة ضمن استقلالها التنظيمي تحقيق مسالة وحدة قوى الشعب وبالتالي شن النضال المشترك ضد العدو عن طريق « جبهة شعبية موحدة » .

ان الملاحظات التالية ، قد تسلط مزيدا من الضوء على الصورة الواقعية لهذه الجبهة :

١ — تتوفر في مثل هذه الجبهة الفرصة لكل القوى الماركسية اللينينية المؤمنة بخط الكفاح المسلح ، للتنظيم في منظمة موحدة سياسيا وعسكريا . ان هذا الامر سيسمح لهذه القوى ان تتفرغ الى حل مسالة علاقاتها مع القوى المناضلة الاخرى في الجبهة بقوة اكبر وفي مجال عمل اوسع ، من جهة وسيضع امامهم افاقا اكثر سعة للتعاون الثوري المستقبلي خصوصا فيما يتعلق بالاستقطاب الجماهيري الاوسع والاعمق والاشمل .

٢ — ستوفر مثل هذه الجبهة ، لجميع القوى الثورية غير الماركسية — الدينيون المناضلون والقوى الديمقراطية الثورية . الخ — التي تؤمن بخط الكفاح المسلح ، فرصة التنظيم في منظمات خاصة بهم وخلق علاقات وثيقة بين قطاعات واسعة من الطبقات المتوسطة الشعبية وبين المنظمة المسلحة الطليعية الموحدة ومع القوى الرئيسية للثورة — العمال والفلاحون — ان هذا الموضوع يمكن قوى الثورة الرئيسية ان تتصدى لمنع انشقاق اية قوى تقدمية ومناضلة من شانه ان يخدم مصالح العدو بشكل حتمي .

٣ — سيكون باستطاعة جميع العناصر والمجموعات الماركسية اللينينية المتمسكة بشكل محدد في العمل الفعال من اجل مد التوعية السياسية ونشر واشاعة الافكار الاشتراكية بين طبقات الشعب الكادحة (١٨) متابعة اعمالها الثورية بشكل مستقل او من خلال انواع من التنسيق مع المنظمة الموحدة للكفاح المسلح الطليعي المؤلفة من الماركسيين اللينينيين المؤمنين بخط الكفاح المسلح . وفي راينا ، ليس هناك على وجه العموم اي تعارض بين عمل هذه القوى مع مسالة الكفاح المسلح للمجموعات المسلحة الماركسية ، ذلك لان قسما من قوانا بالذات ، قد انتظمت في اطار هذه العلاقات (العمل الجماهيري، خصوصا بين العمال) مع ان هذه القوى تحمل اهدافا اساسية تدخل ضمن عملية الكفاح المسلح . ان الخلافات المتعلقة بهذه الخطوط في كونها الرئيسية ام فرعية او كيفية العلاقة بين المحتوى الاستراتيجي للعمل السياسي الجماهيري وعمل الاعلام المسلح (الذي هو بالاساس

ذو طابع سياسي متغلب) هي طبعا من القضايا التي تؤخذ بالبحث والتحليل ضمن ممارسة العمل في « الجبهة الشعبية الموحدة » .

٤ ــ بالاضافة الى ان الجبهة توفر في نفس الوقت الظروف اللازمة من اجل وحدة العمل الثوري على مستوى اوسع بكثير مما هو موجود الان ضد النظام العميل الذي يقوده الشاه الخائن فانها توفر ايضا امكانية مناسبة للغاية لقيام نضال ايديولوجي صحيح بين القوى الثورية المختلفة وهكذا ، فان النضال الايديولوجي يتحول من الشكل المبتذل وغير المسؤول الحالي المتداول داخل الحركة ، الى قوة ثورية محركة من اجل وحدة اعمق واقوى . ان هذا النضال من شأنه تطوير « النظرية الثورية » على مستوى الحركة ووضع نتائج عملية معينة بشكل واسع امام القوى الثورية ، لانها تستند على دعامة موضوعية واحدة (العمل الثوري المشترك) .

وهناك لا زالت نقاط اخرى تستدعي التوضيح :

النقطة الاولى : ان تعاريفنا وملاحظاتنا حول « الجبهة الشعبية الموحدة » ليست قضايا ثابتة وغير قابلة للتغيير . المسألة الاساسية هي ضرورة تشكيل هذه الجبهة ، في حين يمكن ان تحدد الضوابط والتعاريف الادق لهذه الجبهة ، على ضوء اراء ووجهات نظر القوى الداخلة في جبهة الكفاح .

النقطة الثانية : القضية الهامة التي تجابه الحركة الشيوعية حديثة الطراز في ايران الان هي مسألة موقفها من القوى الدينية المناضلة . ان مسألة هذا الموقف تحظى باهمية بالغة من طرفين : مسح جميع الاثار السلبية والخاطئة المتروكة من الموقف اللا مسؤول العصبوي الدوغمائي الذي اتخذته قيادة حزب توده تجاه هذه القوى ، وكذلك الضرورات المرتبطة باتحاد جميع القوى المناضلة الشعبية في مواجهة نظام الشاه العميل ولم تتخذ اغلب المجموعات والمنظمات الماركسية اللينينية موقفا واضحا وصريحا تجاه هذه القوى الامر الذي جعل ، بطبيعة الحال ، أي تقارب او اتصال بين هذه القوى (الماركسيون اللينينيون والدينيون المناضلون) امرا غير قابل للتحقيق، بالرغم من ضرورته القصوى (١٩) .

ان منظمتنا لا تؤيد فقط « الدين المناضل » اي الدين الذي يوجه نضال قطاع واسع نسبيا ، من الطبقات الشعبية المتوسطه تاييدا كاملا فحسب ، بل لا ولن تتردد عن اي مسعى نحو مساعدة نضال المجموعات الدينية ضد نظام الشاه العميل وفي الواقع ، نحن نؤمن بأن الاسلام ، وخصوصا المذهب الشيعي ، لا زال يحتفظ في داخله بتلك العناصر التقدمية والمناضلة بحيث تعكس النضال العادل لهذه المجموعات والفئات ضد الجور الامبريالي الحاكم ، ان التقاليد التاريخية الثورية في المذهب الشيعي الذي كان منذ القرن الاول الهجري مركز تجمع المناضلين والمتمردين ضد الحكومات المستبدة الحاكمة في ذلك الوقت ، لاعبا بذلك دور حزب سري ، ومن جملتها التقاليد التقدمية الفكرية والعملية التي تجلت في نهضة « الحسين » المليئة بالعبر هي اعمدة تقف سندا وراء الافكار المعادية للظلم والمفاهيم السياسية ــ الاجتماعية التقدمية الداخلة ضمن هذه الايديولوجية . فبهذا التوضيح يكون طبيعيا ان نرحب بالوحدة مع القوى الدينية المناضلة في اطار الجبهة الشعبية الموحدة وان نؤيد نضالهم الثوري .

النقطة الثالثة : كان علينا ان نطرح هنا ، وخصوصا عند التطرق الى اقتراح « تشكيل الجبهة الشعبية من القوى الداخلة في جبهة الكفاح » ونناقش بالتفصيل رأي تلك الفئة من الماركسيين ــ اللينينيين الذين يعتبرون التشكيل الفوري للحزب الشيوعي في ايران ، ضروريا قبل الاقدام على اي خطوة سياسية ــ تنظيمية اخرى ، ثم نبين راينا في الموضوع :

يقول ستالين « ان الحزب الشيوعي (حزب الطبقة العاملة) هو تطعيم الحركة العمالية بالنظرية الاشتراكية » . ان التحليل الاعمق لهذا التعريف يوضح ببساطة كم هو ساذج وسمج الاقدام على التشكيل الفوري للحزب الشيوعي في الظروف السائدة حاليا في بلادنا ، وقبل ان يكون وسيلة لتنشيط وتقوية الحركة الثورية للشعب فانه ــ مهما كان تفاؤلنا ــ انعكاس لغفلة مروجيها عن الوقائع المادية الاجتماعية الملموسة في ايران وحتى ذاتية تفكير هؤلاء في تقييم اوضاعهم الحالية .

ان تعريف ستالين يشمل عنصرين متفصلين ، لكن مرتبطين بأواصر عضوية في نفس الوقت . هذان العنصران هما «الحركة العفوية للعمال»

و « النظرية الاشتراكية » ، وانه لواضح ان للحركة العمالية وجود في ايران ، لا هذا فحسب ، بل انها قد قطعت شوطا بعيدا ايضا نحو النضوج ، وهذا ما قيمناه في القسم السابق بشكل مختصر ، لكنه ، كما قلنا فيما سبق تخضع جميع القضايا بالشق الاخر من المعادلة ، اي بـ « النظرية الاشتراكية » . مشكلة العمل كلها تكمن في كشف وصياغة هذه النظرية وتطعيمها بالحركة الذاتية العفوية للعمال . لكن لنرى من اين تكشف تلك النظرية الاشتراكية التي يمكن تطبيقها على الحركة العمالية الايرانية ؟ هل ان هذه النظرية هي من ابداعات ذهن النابغة الثورية الفلاني او الماركسي اللينيني التابغة الفلاني ؟ في رأينا كلا ، هل ان هذه النظرية هي التي يشار اليها ضمن تثقيف المبادىء العامة للماركسية اللينينية ونظرية الاشتراكية العلمية ؟ الجواب : لا ، مرة اخرى . ان « النظرية الاشتراكية » التي لا بد ان تطبق على « الحركة العمالية الايرانية » يجب ان تنبثق من اعماق حركة هذه الطبقة نفسها ومن اوضاعها التاريخية — الاجتماعية — السياسية وعلاقاتها بالبرجوازية الايرانية من طرف ، ومع سائر القوى الشعبية من طرف اخر . ومن هنا ، فان التثقيف الاشتراكي العلمي والاحكام العامة للماركسية اللينينية ليسا وحدهما اللذان يحققان مهمة « تطعيم الحركة العمالية بالنظرية الاشتراكية » ، بل الاهم فهما والاكثر اساسا هو ذلك السلوك الخاص الذي يجب كشفه وتدوينه وطرحه امام هذه الطبقة بحيث يتناسب مع الظروف الاجتماعية في ايران واوضاع الطبقات الشعبية الاخرى وخصوصا الاوضاع والظروف الاقتصادية — السياسية ، للطبقة العاملة . والان بوسعنا ان نلقي هذا السؤال : كيف تحدد علاقات الطبقة العاملة مع سائر الطبقات في المرحلة الحالية من نضال هذه الطبقة ؟ ما هي الشعارات التي تطرح بشكل مرحلي خاص ، وما هي الشعارات التي تطرح بشكل عام ؟ كيف ومن خلال اية اساليب تنظيمية وسياسية اجريتم الاتصال بالطبقة العاملة ؟ ما هي النتائج المتحققة ؟ كيف وباية منظمات ، وباية نظريات مستنبطة تنوون خلق حزب الطبقة العاملة ؟ بصفتكم مؤسسي هذا الحزب (او احدى المجموعات المؤسسة) ، قولوا لنا كيف سبيلكم الى صياغة المهمة التي يضطلع بها الحزب ازاء نضالات الطبقات الشعبية الاخرى ، ازاء الفلاحين ، ازاء البرجوازية الصغيرة وازاء المثقفين ، حتى الان ؟ كيف تمكنت القوى التي يجب ان تشكل حزبكم

(المنظمات الماركسية المتألفة من المثقفين الثوريين والعمال الواعين حسب القاعدة) ان تمد جسور الاتصال لا الى حركة الطبقة العاملة فحسب ، بل مع حركة الطبقات الشعبية الاخرى ايضا (لان كلا التوعين ضروري) ؟ ما هي العملية الثورية التي اهلتهم لاداء الوظائف الحزبية المشتركة ، تلك الوظائف التي لا تنحصر بعد في منطقة واحدة او ضمن فئة معينة من طبقة معينة بل يجب ان تقود تحت قيادة البروليتاريا كل الحركة المعادية للامبريالية في ايران ؟

اننا نوصيكم باخلاص انه متى وجدتم في صفوفكم منظمات او قوى بدأت ، فحسب مسألة صياغة النظرية الاشتراكية وتطبيقها مع حركة الطبقة العاملة او حققت مسألة وحدة القوى الشعبية ، في مرحلة معينة ، تحت قيادة الافكار والتنظيمات البروليتارية (حتى بشكل نسبي) . . . أو صاغت على ضوء ذلك ، ليس فقط الخط السياسي لحركة الطبقة العاملة بل الخط السياسي للحركة الثورية في ايران والخط السياسي للطبقات الشعبية باكملها ، فانكم سوف لن تجدوا اي تردد من جانبنا في الانضمام الى حزبكم الشيوعي .

لكن ايها الرفاق الاعزاء ، ما دمتم لم تصيغوا بعد حتى السطر الاول من هذه النظرية الاشتراكية ، وما دمتم لا تملكون اي ارتباط مباشر وحتى غير مباشر مع الحركة العمالية الايرانية (الارتباط لا يعني ان تنقل عددا من الاخبار والتقارير عن الحركة العمالية وان تكرر احيانا ، النظريات الماركسية العامة عشرات المرات) ، وفي وقت لم تبذلوا اي جهد باتجاه تهيئة الظروف الاولية لتنظيم القوى الماركسية — اللينينية في المجتمع والعمال الطليعيين ، نعم في مثل هذا الحال ، كيف تبيحون لانفسكم الكلام عن التشكيل الفوري للحزب الشيوعي قبل اي اجراء سياسي آخر ؟ يقترح البعض منكم « تنظيم جهاز فضح سياسي واعلام سياسي منظم ونشاطات واعية في اوساط الجماهير »، لتكون نواة لتشكيل الحزب الشيوعي او نقطة بداية لتشكيل الحزب . اذا كان هذا الجهاز الذي تتطلعون الى تشكيله هو نفس الحزب الشيوعي موضوع البحث ، فاننا لا نرى ان هناك مزيدا من الحاجة الى اطالة الحديث لان النقاب يكشف عن اهدافكم ومقاصدكم من وراء تشكيل الحزب الشيوعي ورأيكم في مضمون هذا الحزب ، وفي مثل هذه الحالة فانه لا يسعنا الا ان نسحب كل ما قلناه لانه من شأنه ان يظهر لنا اي حزب شيوعي هو ذلك الذي تنوون انتم تشكيله وهو ما لا

نعترف بكونه شيوعيا في اي حال من الاحوال . اما اذا كنتم تنوون من وراء تشكيل « اجهزة متعددة لممارسة اعمال الفضح السياسي والاعلام المنظم ... » « تأسيس منظمات ماركسية تمارس اعمال الاعلام والدعاية السياسية حتى يشكل الحزب الشيوعي في مجرى تكامل وتوسع وحدة هذه المنظمات »، فيجب ان نقول لكم ايضا ، بانكم تجهلون الظروف الحالية المتواجدة في ايران . كيف لا تأخذون بنظر الاعتبار هذا الحدث المهم ، العظيم اي وجودحركة مسلحة سواء في الريف او في المدينة وتمارس بشكل افضل بكثير من « جهاز الفضح السياسي والاعلام » الذي تقترحونه ، اعمالها السياسية والاعلامية سواء على شكل اعلام مسلح او شكل عمل سياسي مباشر بين اوساط الشعب .. ؟ ان غفلتكم عن النشاط الذي يمارسه ثوارنا في الوقت الحاضر الذي يعيشون اوضاعا في غاية الارهاب والدكتاتورية قلمثيلها في التاريخ سواء على شكل الاعلام المسلح او على شكل اعمال سرية سياسية صبورة بين الطبقات الشعبية الكادحة ، بحيث انكم بعد كل هذه الحوادث التي ملأت الدنيا صدى ، واجبرت نظام الشاه الدموي على الاعتراف بنشاطات الثوريين الواسعة التي تشمل المدرسة ، الجامعة ، المسجد ، المعامل وكل مكان ، تتحدثون الان عن تشكيل « جهاز الفضح السياسي والاعلام المنظم .. في اوساط الجماهير » . ثم ، ما هو محتوى اعمال الفضح السياسي هذه ، ومن اجل اية طبقة ، بأي هدف وبأي مضمون ، انكم لا تقدمون اجوبة وافية لهذه الاسئلة الهامة (مهم جدا) .

نحن نرى ان اقتراحكم القاضي بتشكيل « جهاز الفضح السياسي ... » ليس سوى دليلا على ادراككم غير الصائب لمفهوم الجمع بين « النظرية الاشتراكية » و « الحركة العمالية » ومفهوم الحزب ومهامه ، ذلك لان هذا « الجهاز » في احسن حالات النضوج لا ينجز عملا غير اكمال ناقص لقسم صغير من مهام منظمة ماركسية — لينينية ، ويجد نفسه عاجزا الا عن القيام بأصغر مهمة من مهام الحزب الشيوعي .

نعم ايها الرفاق الاعزاء، انكم تحسنون فنون الكلام في الظاهر،لكن كلامكم ليس سوى تكرارا لحقائق اكتشفت من قبلكم ، ليس سوى تكرارا للمبادىء العامة ولسلسلة من المفاهيم المعلومة منذ ٦٠ — ٧٠

سنة ، ولا تجد هناك اي طريق جديد يبين لنا هذا الكلام ، انكم تطرحون شعارا متقدما للغاية ، شعار يعكس آمال ماركسي — لينيني مؤمن وثوري ، لكنكم عند التطرق الى ابسط الظروف العملية ، فانكم تكشفون النقاب نظريا لا عمليا (ربما لنفس هذا السبب !) عن تخلفكم الفكري والسياسي . انكم في الوقت الذي لا تبدون اي استعداد عملي للالتحاق باحدى مجالات النشاط الثوري على الاقل (سواء اكان ذلك العمل المسلح في المدن والارياف او العمل السياسي السري في اوساط الطبقات الكادحة)في الوقت الذيلاتتحركون ولو بخطوة واحدة نحووحدة هذه القوى التي تتصدى،على رغمجميعالعقباتوالمشاكل الدكتاتورية الحاكمة ، باخلاص للنشاط الثوري العملي ، وبالتالي في الوقت الذي تبخلون بابسط مساعدة او عون الى الثوريين الذين يقاتلون في جبهات الكفاح المختلفة ، ترفعون من دون وجل شعار « التشكيل الفوري للحزب » وعندما يوجه لكم السؤال : كيف السبيل الى ذلك ؟ تشيرون الى وسائل متخلفة مثل « جهاز الفضح ... » وفي مثل هذه الحالة أليس من حقنا ان نستنتج بان رفعكم لشعار « التشكيل الفوري للحزب الشيوعي » ليس مظهرا للشعور بالمسؤولية الثورية بل انعكاسا للهوس والمشاعر التي تطفح عادة عند المثقفين اي شيئا يطابق المثل الشعبي القائل بان « رفع الحجر الكبير دليل على عدم القائه على العدو » ؟

ان مثلكم هو المثل الذي يدعو الجميع ، بضجيج كبير ، الى قمة جبل « دماوند » وبثير دعاية وصخبا كبيرين لذلك ، لكنه عندما يطلب اليه ان يتقدم صفوف الصاعدين ، يشير بيده الى سطح منزله ! انكم ايضا تنوون بتشكيل الحزب الشيوعي نفس سطح المنزل اي « تشكيل جهاز الفضح السياسي ... في اوساط الجماهير » الذي لا يتجاوز بطبيعة الحال نشر الجرائد الدعائية لا في داخل البلاد ، بل انها في الخارج ! (حتى تؤخذ الى الجماهير وتفسر لهم ... !) .

لا ، ايها الرفاق الاعزاء ، ان الحزب الشيوعي الايراني لا يقوم على صفحات الورق اللماعة ، ولا بين عشية وضحاها ، ولا بين السموات والارض ، وبالتالي لا من خلال تشكيل جهاز الفضح السياسي ، بل انما يؤسس في خضم تطور وتسمو الحركة الثورية الايرانية وعلى راس ذلك خلال عملية نمو حركة الشعب المسلحة ، خلال عملية تجمع وتنظيم الماركسيين — اللينينيين حول نفس هذه الحركة واندماجهم بالحركة العفوية للطبقة العاملة . لذا فان « تشكيل

الجبهة الشعبية » هو اليوم ، الخطوة العملية المناسبة والصائبة التي يجب ان تتقدم نحو تحقيق الهدف الاسمى لتشكيل الحزب الشيوعي الايراني .

ان جميع الماركسيين اللينينيين الواقعيين ، جميع الثوريين الصادقين وجميع المناضلين البواسل ، يتساءلون ويسألون انفسهم ، لمصلحة من استمرار حالة التشتت التمزق الطاغيان الان في الحركة الثورية الايرانية ؟ أهو لمصلحة غير الامبرياليين والنظام العميل الذي يقوده الشاه الخائن ؟ ان هؤلاء يسألون انفسهم باخلاص ، عن السبب المؤدي الى تكريس هذا الوضع البائس . هل ان احدا منا لوحده يملك الامكانيه اللازمة لمجابهة النظام ؟ هل ان السبب هو ان العدو ضعيف وآيل نحو الفناء ، حتى لا نرى ضرورة لوحدة القوى المناضلة ؟! هل ان الروح الفئوية الضيقة ، والنزعات القيادية الفردية والفئوية، بوسعها ان يقفا حجر عثرة أمام مثل هذه الوحدة ؟ هل ان المصالح الخاصة لمجموعة واحدة تستطيع بل أهو صائب، ان تهمل مصالح حركة الشعب الثورية بأكملها ؟.

ان شعبنا ، وجميع ثوريينا الصادقين ، يتدمون الجواب الحازم لجميع هذه الاسئلة . هذا الجواب القطعي يتمثل في الشعار التالي .

الى الامام ، نحو وحدة جميع القوى الثورية
الى الامام ، نحو « الجبهة الشعبية الموحدة ».

لتتعزز وحدة جميع قوى الشعب الثورية
ليتوسع المدى الثوري للنضال المسلح الذي تخوضه قوى الشعب الثورية .
النصر والظفر للماركسية اللينينية الايديولوجية الوحيدة للطبقة العاملة .

منظمة مجاهدي الشعب الايراني
ايلول (سبتمبر) ١٩٧٥

بيان
عن المواقف الأيديولوجية
لمنظمة
مجاهدي الشعب الإيراني

المجلد الأول

"... ان موقف الحزب السياسي من اخطائه هو واحد من اهم واصدق المعايير لتبيان مقدار الجد عند الحزب وتنفيذه في الواقع لالتزاماته امام طبقته والجماهير الكادحة . ان علامة الحزب الجدي ، وتنفيذ التزاماته وتربية وتعليم الطبقة ثم الجماهير ، هي الاعتراف جهارا بالخطأ والكشف عن علله وتحليل الظرف الذي ادى الى ارتكابه والبحث باهتمام في وسائل اصلاح الخطأ ..."

لينين :
"مرض اليسارية الطفولي في الشيوعية"

"... انهم (اي خصوم الاشتراكية - الديموقراطية) يهللون ويهرجون شامتين لرأى مناقشاتنا ، وبديهي انهم سيسعون الى التلويح بهذه المقاطع او تلك من كراسي الذي اكرسه لنواقص حزبنا وعيوبه ، قصد استغلالها لمآربهم . ولكن الاشتراكيين - الديموقراطيين الروس قد تمرسوا في معمعان المعارك الى حد يقيهم مغبة الارتباك بسبب من هذه الوخزات ويحملهم على مواصلة عملهم في ضفل الانتقاد الذاتي ، رغم هذه الوخزات ، وعلى الاستمرار في الكشف بلا هوادة عن نواقصهم التي لا بد ان يتغلب عليها حتما نمو الحركة العمالية ..."

لينين :
"خطوة الى الوراء ، خطوتان الى الوراء"

المدخل

ضرورة دراسة المحتوى الايديولوجي للمنظمة

ومسار تطورها في هذه المرحلة

تمر الان عشرة سنوات على تشكيل منظمتنا واكثر من اربعة سنوات على تدشين الكفاح المسلح في بلادنا ، وهذه الفترات هي ، بلا ريب فواصل قصيرة في تاريخ كفادات شعبنا الطويلة الامد ... ومع كل ذلك ، فان منظمتنا قد طوت خلال تلك الفترة طريقا وعراوشاة المغاية، هذا الطريق جزء لا يتجزأ عن النضال الثوري لشعبنا : ولقسم مهم في حركة الكفاح المسلح على وجه الخصوص ، خلال السنوات العشر الاخيرة .

ان ما يزيد على ستة سنوات من التهيؤ السياسي — التنظيمي للكفاح المسلح ، بما في ذلك مختلف المراحل الخاصة لتربية الكوادر السياسية واكتشاف قوانين العمل السري والمبادىء التنظيمية ، دراسة وتحليل النضالات السابقة ، استنباط ثم تدوين خصائص وقوانين التحرك الثوري في المجتمع ، واربعة سنوات من المساهمة الفعلية في الصفوف الاولى في حركة الكفاح المسلح ، كل ذلك يبين الدور المهم ، بل والحاسم ، لمنظمتنا في الحياة الثورية الجديدة لوطننا وكذلك اهمية ومدى صحة التجارب والمكاسب النظرية التي تحققت خلال الفترة المذكورة . لذلك فان دراسة ميزات هذه المرحلة من تاريخ نضالات شعبنا والمسار المتطور للفكر الثوري خلال هذه النضالات ، لا

يمكن ان تنفصل ، بطبيعة الحال ، عن نشوء هذه المنظمة وتاطرهـــا ومسيرتها المتسمة بالتطور المضطرد وايديولوجيتها واسلوب تفكيرها بهـــا .

من خلال هذه المقدمة ،تصبح عمليةتقييم التجارب، اي ارتقاء مستوى التطبيق التنظيمي لحد الوصول الى النظريـــة المرشدة ، ونقل هـــذه التجارب الى كامل بنية الحركة الثورية المسلحة ، خصوصا في ظروف يفوق الجانب التطبيقي للحركة على جانبها النظري بشكل كبير ، وتبلغ الحاجة الى جمع تجارب الحركة الثورية ودراستها دراسة مستفيضة الحد الاعلى، تصبح هذه العملية شيئا حيويا وفي غاية الاهمية للمنظمة.

لكننا ، في خضم القضايا العديدة التي تبرز على مستوى مختلـف الاصعدة السياسية ــ الستراتيجية ، او التجارب والتكتيكات للحركة الثورية المسلحة ، وسنتناول في هذا البحث على الخصوص ــ لاسباب ستذكر فيما بعد ــ دراسة المحتوى الايديولوجي للمنظمـــة والمسار المتطور الذي طوته خلال التطبيق الثوري ووفقا للتحولات الداخليـــة العميقة للمجتمع ، وهذه الاسباب هي :

١ ــ من الممكن ان تتحـول التجـارب والمكاسب السياسية ــ الستراتيجية وحتى التكتيكية ، خلال التحليل النهائي ، الى نتائـــج ايديولوجية محددة ، وكما ان النظريات السياسية ، واساليب العمل التنظيمية ايضا ، تنشأ بالذات من اطر ومناشيء فكرية وعقائديـــة محددة . فان منظمتنا هي الاخرى قد شهدت في حياتها السياسية بروز آثار هذا القانون مرات ومرات . لقد تعلمنا جيدا بان كسب اية تجربة تنظيمية جديدة ، كسب اية وجهة نظر سياسية مصححـة وتطبيـق اي اسلوب اصح للعمل يستوجب ــ بالتالي ــ تصحيحا وتكميـــلا جديدا في الاسس الايديولوجية للمنظمة ، وهذا ما رايناه فعلا خـــلال التطبيق الثوري : ان تصحيح وجهات النظر السياسية التنظيميـــة الخاطئة واساليب العمل غير الصائبة لا يمكن ان يتحقق مطلقـــا دون القضاء على الاسس الايديولوجية لوجهات النظر واساليـب العمـــل هذه . ومن هنا فان دراسة المضمون الايديولوجي للمنظمة ومجـــراه التطوري يحتل اسبقية خاصة ، هذا اضافة الى ان هذه الدراسة من شانها ان تسلط في نفس الوقت ــ لنفس الاسباب السابقة ومن خلال

قراءة المسالة في اطار اوسع ــ ضوءا على اهم الخطوط السياسيـــة واساليب العمل التنظيمية المتبعة لدينا في اية مرحلة سابقة.

٢ ــ ان اختيار « المحتوى الايديولوجي للمنظمة » كأول موضوع في سياق هذه الدراسة يعطي مدلولا آخر ايضا ، وهذا المدلول هـــو الميزة الخاصة لايديولوجية منظمتنا . هذه الميزة هي عبارة عن الايمان العميق وانبات حقيقة ان التفكير الاسلامي يمتلك ديناميكية وحيوية لا تؤهلانه لقبول المقتضيات الاجتماعية وتحولات العصر الثوريه (سواء في حقل العلوم او في حقل المجتمع) فحسب ، بل لو فهم الاسلام بمعناه الحقيقي والثوري وبشكل بعيد عن جميع الخرافات والاوهام التـــي علقتها به الطبقات الحاكمة على طول التاريخ ، لاصبح بامكانه ان يعطي الحلول الصائبة لكثير من المعضلات الفكرية والمشاكل الاجتماعية التي تواجه البشرية اليوم ويصبح السراج الهادىء للجماهير الرازحة تحت نير الظلم ، نحو الحرية والانعتاق .

ان تأثير هذه «الميزة الايديولوجية» قد ولد خلال فترة زمنية ابتدات مع بدء النشاطات العلنية للمنظمة ، اي مع البدء الفعلي للكفاح المسلح، قضايا وردود فعل مختلفة على مستوى المجتمـــع وفي اوساط قوى الشعب المناضلة ، وكان القاسم المشترك لجميع هذه القضايا وردود الفعل ، على وجه التقريب،هو النظرة اللاعلمية نحو المسالة والتصدي البعيد عن الواقع لها.حتى ان بعضا من القوى الثورية التيكانتمؤهلة للتصدي الواقعي للمسالة على ضوء الافكار الماركسية اللينينية التيكانتعتدين بها ، اخفقت في تحقيق ذلك لاسباب قد تكون على راسها ضيق الافـــق التنظيمي (وبالتالي الايديولوجي) الذي يتميز بها المثقفون والخـــوف الميتافزيقي لمثل هؤلاء الثوريين من السعة الجماهيرية للبراجوازيـــة الصغيرة وتفكيرها .

وهكذا لم يتحقق لنواة هذا التفكير ومحتـــواه الاساسي التعرض للتقييم العلمي والنقد الثوري بالنظر للاطار المعقد والجديد للجمع بين التفكير العلمي والتفكير الديني الذي اتى به ، من طرف ، وبسبب تقاط الضعف الايديولوجية (وهذا هو السبب الاهم) الموجودة في اعماق الحركـــة الثورية والتي تعود بشكل رئيسي الى الظروف الاجتماعيـــة القلقة والتعقيدات والغموض التي تتخط بفترة الانتقال من مرحلة انتاجية الى مرحلة اخرى ، من طرف اخر. (٢٠).

بطبيعة الحال لم يكن هذا بالامر الهين ، حتى نتوقع من الغير تحقيقه لنا ، اي من الاوساط الثورية غير المنظمة او القوى المناضلة الاخرى ، ذلك لانه ، اذا كان صحيحا باننا قد طوينا بنجاح مرحله من النضال الثقافي — السياسي والعمل التثقيفي الصعب والطويل الامد ضد الجمود والاراء الانحرافية التي راجت في الستينات وما تلاها ومرحلة من النضال الدموي السياسي — العسكري ضد النظام الخائن الذي يحكم بلادنا ، واذا كان صحيحا باننا قد قبلنا بحماس جميع النتائج والالتزامات التي يضعها امامنا العمل الثوري وضرورة ادراك مصالح الجماهير — على رغم تعارض ذلك مع وجهات نظرنا وآرائنا حينئذ وتسببه في تغيير وجهات النظر والاراء المذكورة — ، اذا ففي مثل هذه الاوضاع التي نتحكم حاليا ، من ذا الذي سيكون باستطاعته ان يقوم افضل من انفسنا بالنقد الاساسي لمعتقداتنا وآرائنا السابقة ومن سيكون باستطاعته ايضا ان يحدد افضل من انفسنا ، مواقع الضعف في اعمالنا والنواقص الموجودة في فكرنا وسلوكنا ؟ وفي الوقت كذا ولم نزل مستعدين ان نعطي الجواب الايجابي للحقائق الناجمة عن الفهم الاعمق لمصالح الجماهير وضرورة تعميق الانحياز الطبقي نحو اكدح الفئات والطبقات الاجتماعية،اذا ما الذي كان بوسعه ان يربطنابالنواقص ونقاط الضعف واخطاء الماضي ؟

وفي الوقت الحاضر فان الشواهد الموضوعية في اسلوب عمل المنظمة ومحتوى تفكيرها السياسي وانحيازها الاجتماعي لهي دلائل على التغييرات العظيمة التي طرات على ايديولوجيتنا ومبادئنا الاساسية ورؤيتنا للعالم . هذه ، في الواقع ، امور في غاية الاهمية ، تكفل دراستها الدقيقة والشاملة تسليط مزيدا من الاضواء على سبب اختيار هذا البحث ، خصوصا اذا انطلقنا من المنطلق الذي اوضحناه من الناحية الايديولوجية فيما سبق .

٣ — كما ان ضرورة دراسة المحتوى الايديولوجي للمنظمة والمسار الذي طوته حتى الان لا تنشا فقط من النتائج القيمة المرجوة لها في المستويات السياسية — الاجتماعية او ضمن الاوضاع الوطنية ، بل تكمن في شيء آخر هو اهم من ذلك . الا وهو ان الماركسية اللينينية اثبتت مرة اخرى ، وفي مكان آخر من هذا العالم

الفسيح ومن خلال التجربة الثورية لشعب اخر ، حقيقة ساطعة وهي : انها الايديولوجية الوحيدة للطبقة العاملة وعلم تحرر الشعوب الوحيد .

ان هذه الدراسة تبين كيف استطعنا بامكانياتنا البسيطة وعلى ضوء تجربتنا اليومية السياسية — التنظيمية المحدودة ، ان نهتدي الى هذه الحقيقة العظيمة العالية خلال عملية التغيير الثوري لمجتمعنا لسبب واحد هو استعدادنا دوما لتغليب مصالح الشعب الاساسية على النزعات العاطفية ومصالحنا الفردية او الفئوية والاستجابة لهذا المطلب باخلاص ثوري . طبعا ، اننا لم نتوصل الى هذه الحقيقة بسهولة . لقد توصلنا اليها ، لا نتيجة مطالعة هذا الكتاب او ذاك ولا بعد توجيه هذا الشخص او التوجه الفكري لاخر ، ولا تحت تاثير العواطف والاحاسيس ، بل من خلال المرور بعشرة سنوات صعبة ومريرة من العمل الثوري وعلى اشلاء ابرّ الشباب الابطال الذين جعلوا من دمائهم قبسا اضاء طريق انعتاق الشعب ، ومن خلال اجتياز الاهوال والطرق الوعرة المليئة بالاشواك والعثرات لسنتين كاملتين من النضال الايديولوجي الحازم داخل التنظيم (٢١) . ومن هنا فان هذه التجربة والنتيجة التي تمخضت عنها ليست ملكا لمجموعة او منظمة ولا تنحصران في نطاق محلي محدود ، بل هي تجربة تمتد جذورها الى اعماق نضال شعبنا الثوري بل والنضالات الثورية الجماهير الكادحة في العالم اجمع . ان تسليط الضوء الكاشف على هذه التجربة وتحليل مسارها ، اي العملية التي مرت بها منظمتنا للتوصل الى الصواب الذي لا جدال فيه للماركسية — اللينينية ، ايفاء بمهمة تنقية المحتوى الايديولوجي للكفاح المسلح — اي المهمة التي تواجهنا دوما — لهو سبب آخر يدفعنا الى طرح هذه المسالة واخذها بالتوضيح والتحليل .

ان دراسة النواحي الفكرية والايديولوجية للمنظمة والعملية التي

مرت بها منذ تأسيسها والى يومنا هذا ، لا يمكن ان تنفصل — بطبيعة الحال — عن الاوضاع الاجتماعية — الاقتصادية والسياسية التي ادت الى ظهور وتأسيس مثل هذا التنظيم بعد ١٩٦٣ ، وكذلك عن جذورها التاريخية اي عن المضمون و عملية التغييرات التي حصلت في الفكر الثوري في بلادنا وعلى الخصوص الفكر التقدمي والكفاحي الديني منذ حركة النضال الدستوري الى الان . لكن هذه الدراسة، وفي مثل هذا الاطار الواسع نحتاج — وبالتاكيد — وقتا اكثر وظروفا اخرى انسب وحيث اننا نبغي من ورائها تحقيق اهداف سريعة وملحة فاننا نغض الطرف عن هذا التوسع حاليا . لذلك سنشير باختصار الى الخطوط العامة لهذه التحولات والمسار العام لهذه الافكار ، ثم نشوء ونمو منظمتنا والافكار والآراء التي تنسب اليها .

الفصل الأول

نظرة سريعة الى المسار التكاملي للافكار النضالية خلال السنوات الثلاثين الاخيرة

ان هزيمة دكتاتورية رضا خان (٢٢) في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٤١ التي كانت حصيلة التناقضات الداخلية العميقة بين الحلفاء والظروف السياسية — العسكرية الصعبة للامبريالية البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية ، ادت الى اطلاق حرية القوى الشعبية التي ظلت رازحة لسنوات تحت وطأة اشد انواع الضغوط واعمال القسر الدكتاتورية البوليسية ، ومما يبعث على الاسف ، ان هذه القوى لم تحقق لنفسها امكانيات التنظيم السياسي المتميز ، بل اغرقت اندفاعاتها المعادية للاستعمار والدكتاتورية في متاهات المكاسب السياسية الضئيلة . لقد كان النشاط السياسي لهذه الفئات ينحصر في الركض وراء تيارات عفوية تتمثل في اصدار الجرائد الانتقادية المتطرفة المزاج ، اطلاق الشعارات النارية والبعيدة عن الحل السياسي الواقعي ، او الاشتراك في الجمعيات والمنظمات « السياسية » المتعددة الانواع والآراء . تميزت هذه الفترة بثلاثة تيارات نضالية متميزة من حيث المحتوى الايديولوجي (وبالتالي الطبقي ايضا) . **وكانت الميزة المشتركة التي تجمع بين هذه التيارات الثلاث ، هي عدم التنظيم واتباع اشكال النضال البسيطة والبدائية والعفوية.**

١ ــ التيار النضالي الماركسي

ان الماركسية هي التيار الفكري النضالي الاول الذي يعكس افكار واتجاهات المثقفين الجامعيين وقسم من المناضلين القدامى الذين كانوا قد تأثروا بهذا التيار خلال عمليات النضال السابقة . وترجع جذور دخول ثم انتشار الافكار الماركسية في ايران الى نضالات سنوات ١٩٠٠ ــ ١٩٠٥ في روسيا ، تلك السنوات التي تميزت بالنضال الثوري هناك، ثم انتشار افكار الاشتراكيين الديمقراطيين الروس في ايران التي انعكست آثارها في ظهور الديمقراطيين في اذربيجان والرعيل الاول من الشيوعيين الذين هرعوا الى مساعدة ثورة الدستور (مثل حيدرخان (٢١/١) وحتى البعض من شيوعي القفقاز) ، وهكذا فان الماركسية التي لم تجد اول بروزلها في ايران في شكل تنظيم سياسي صرف مناطر في حزب او منظمة ماركسية (على غرار الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين في اوروبا مثلا) ، بل في الاشتراك النشط ، والفردي على الاكثر ، من جانب الشيوعيين في انتفاضة ثورية ديمقراطية (نضالات الدستور ثم نضالات الاحراش) (٢٢) وجدت نفسها وجها لوجه مع دكتاتورية رضا خان قبل ان تستقر في تنظيم قوي وراسخ . وكان التنظيم المستقل الذي ضم الشيوعيين الايرانيين انئذ هو الحزب الشيوعي الايراني الذي تالف من المناضلين النشطين في حركة الدستور وانتفاضة الاحراش ، الذي ما لبث ان انحل بسبب الهزيمة التي منيت بها انتفاضة الاحراش وظهور دكتاتورية رضا خان و ... التي ادت الى هجرة العناصر القيادية الرئيسية في الحزب الى الاتحاد السوفياتي ولم يبق في الداخل غير عدد قليل من اعضائه الذين لم يكن يربطهم اي رابط تنظيمي . اما المجموعة الماركسية التي تألفت خلال حكم الدكتاتورية بمبادرة جريئة من قبل الفقيد الدكتور اراني (المجموعة التي عرفت بـ «مجموعة الـ ٥٣ ») ، كانت في حد ذاتها حركة ثقافية جديدة ضمت ، باستثناء واحد او اثنين من المناضلين القدماء ، مجموعة من المثقفين الجامعيين العصريين، قبل ان تكون **حصيلة متواصلة للتجارب العملية السابقة** واستمرار لنهج الشيوعيين الاوائل والحزب الشيوعي الايراني (يلاحظ ان نشوء هذه الفئة من المثقفين الجامعيين الذين كانوا قد آمنوا بما آمنوا به خلال احتكاكهم بالحضارة الصناعية الغربية،كان ظاهرة حديثة في البنية الثقافية لمجتمعنا التي كانت ذات طابع تقليدي متميز) (٢٣) كما ان اهداف

المجموعة ومفاهيمها كانت ذات طابع فكري وثقافي قبل ان تكون ذات طابع سياسي تنظيمي (بخلاف السوابق الاخرى لهذه الافكار) ، ويشير الدكتور اراني ايضا في دفاعه امام محاكم رضا خان المعادية للشعب، الى ان المجموعة لم تكن منظمة في تنظيم شيوعي اساسا . وان ما نشر في مجلة « دنيا » منذ سنة ١٩٣٢ حيث اصدرت من قبل اراني الفقيد (وكذلك كل من ايرج اسكندري وبزرك علوي) (نشر منها بشكل علني فقط ١٢ عدد واوقفت عن الصدور في سنة ١٩٣٤) ، يشير الى هذه الحقيقة بالضبط ، اي العمل الاعلامي لنشر الافكار الماركسية فحسب كان هو الطابع الغالب على نشاط المجموعة : ثم بادرت بقايا مجموعة الـ«٥٣» ، الذين اطلق سراحهم من السجن بعد ايلول ١٩٤١ في الظروف المناسبة التي نشأت نتيجة التناقضات الجديدة بين مختلف القوى الامبريالية ، بادرت الى تأسيس « حزب توده »، الذي غدا التنظيم السياسي المتميز (بمعناه العلمي نسبيا) للشيوعيين في ايران بعد ايلول ١٩٤١ .

ومما يثير الاسى في النفس،ان اساس هذا الحزب وبنيانه الفكري والتجربي لم يستند الى التجارب والاهداف الثورية للشيوعيين الصادقين الذين كانوا قد تفولذوا خلال نضالات الدستور وتجارب تشكيل تنظيمات الاشتراكيين الديمقراطيين السرية واللجان السرية في طهران وتبريز وغيرها من المدن الايرانية ، ثم في حركات الاحراش فحسب ، بل كان يفتقر ايضا الى ذلك الاخلاص الثوري والمبدأ الذي ميز فكر وسلوك اراني ــ الذي كان مؤسس حزب توده يعتبرون انفسهم من مريديه ــ . وهكذا فان حزب توده خرج على شكل ابن غير بار وحتى غير شرعي تمكن فقط ان يكون وسيلة ملائمة لاشباع الميول المنحرفة للمثقفين البرجوازيين الصغار من جهة ، وياخذ على عاتقه من جهة اخرى جر حركة الشعب الوطنية الى متاهات التحريف ، الامر الذي خدم مطامح ومخططات الامبريالية البريطانية ونظام الشاه العميل ، بدلا من ان يثبت اصالته كسليل نقي وناضج للنضالات البطولية منذ فترة المطالبة بالدستور الى زمن الدكتاتورية والاستبداد وقبل ان يستطيع ، از ان يبقي في الواقع ، على رفع لواء الماركسيين ــ اللينينيين الاصيلين والمخلصين الذين اشتركوا في حركات الدستور وتبريز والاحراش والذي كان قد سقط ارضا مع سقوط حملته الاوائل .

ان اهمية خيانة قيادة حزب توده لمصالح الجماهير الشعبية

الاساسية والتطلعات الوطنية المعادية للامبريالية في ذلك الزمان ، تتوضح فقط عندما لا يتم حصر هذه الخيانات في اطار آثارها المخربة على طول فترة النضالات الوطنية حتى انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب ١٩٥٣) (٢٤) والهزيمة النكراء التي ادت الى جر مجموعة من اخلص العناصر الشيوعية الى ساحات الاعدام التي نصبها جلادوا نظام الشاه المجرم ، بل في اطار الفترة اللاحقة والتي امتدت لسنوات طوال ، في خلق روح اليأس واللاثقة والشكوكية لدى اوساط واسعة من الشعب وحتى لدى عناصر ماركسية — لينينية مؤمنة ، الامر الذي ادى الى ان يصبح خلق اي تنظيم ماركسي ، في حكم المستحيل تقريبا . فعندما استطاع حزب توده ، في ظل الاوضاع التي تميزت بها سنوات ما قبل ١٩٥٣ ، ومن خلال استغلال الظروف الاجتماعية الملائمة للغاية واعتماد الجماهير الشعبية الكادحة ، ان يضم في عضويته اكثر من عشرة آلاف من ابناء هذه الجماهير ويزج باكثر من عشرة آلاف الاخرين حوله في النشاطات الجانبية والمنظمات التابعة للحزب (كلجان انصار السلام ومنظمات النساء والشباب وغيرها ...) ، لم يكن هناك من يعتريه ادنى شك بأن الشيوعيين الايرانيين وسائر الثوريين سيقضون سنوات طوال دون ان يجدوا تنظيما ثوريا مثلهما ومنضبطا لضمهم،لكن المعجزة تحققت على يد قيادة حزب توده الاستسلامية،التي حققت للعدو هذه الامكانية.

المسألة لم تكن تنحصر فقط في ان الحزب قد تعرض الى الهجوم الوحشي لبوليس الشاه ، وتلقى ضربات قاتلة من جراء ذلك ، بل كانت تنحصر في شيء آخر ... الا وهو قيام القادة المعروفين والمؤسسين الاوائل للحزب بتوجيه الدعوات الى اعضاء الحزب البسطاء الى تسليم انفسهم للشرطة وذلك من خلال عشرات البراءات والاعتذار،والالتماس الى المقامات العليا .. كانوا يخاطبونهم بانهم اطعموا اطفالهم لقمة الجاسوسية !اللاجنبي! حتى الان ، وكانوا يجسون بوقاحة في سيارات القيادة العسكرية ويقودون العدو الى بيوت الحزب السرية ويدلونهعلى تنظيماته ولجانه ! (٢٥).

وهكذا ، فليس من دون سبب نرى انه عندما يضطر العدو في الستينات الى اطلاق بعض الحريات الليبراليةبخصوص تشكيل الاحزاب الوطنية نتيجة للتناقضات المتحكمة في داخل النظام نفسه ، ان لا يجد

الماركسيون حولهم مجموعة منظمة او هيئة قيادية تقودهم فقط ، او حتى موقفا ماركسيا — لينينيا ازاء التحولات الجارية في البلاد ، بل ان لا يجد البعض منهم امامه سوى الانخراط بشكل فردي في الاحزاب البرجوازية الموجودة (كالجبهة الوطنية و ...) والانصياع لقيادة هذه الاحزاب . نعم حدث هذا بالضبط في اوضاع كان وجود منظمة ثورية (او حزب) ماركسي لينيني الخ من اي وقت مضى ، في وقت كان طرح خط سياسي واضح من قبل هذه المنظمة ازاء المؤامرات الامبريالية التي يخطط لها النظام الحاكم ، وازاء الضياع السياسي — الستراتيجي الشديد ، من شأنه ان يجند من ورائها جميع الثوريين والسياسيين التقدميين ويفلت زمام القيادة من قبضة القيادة الاستسلامية المترددة للجبهة الوطنية الثانية (الجبهة الوطنية الثانية القديمة) . ان فقدان مثل هذه القيادة الذي يتحمل وزره حزب توده ، الحق اشد الضربات بالحركة الثورية الايرانية . لكن عجلة التاريخ ، في الحساب العام ، لا ترجع الى الوراء . فلقد كان حزب توده شجرة خبيثة ! في غابة الكفاح الشعبي لم يكن العيش المتطلع الى الازدهار للحركة الثورية ممكنا في ظلال اوراقها وسيقانها المسمومة ، بل ان الطبيعة الثورية لهذه الحركة نفسها كانت تحكم عليها بالموت ، وهكذا، على اطلال هذه الافكار والاعمال المعادية للثورة ، كان للجنين التالي للتفكير الثوري والنواة الاساسية الحقة للماركسية اللينينية في ايران ، ان ينموا ويزدهرا .

٢ — التيار القومي الاصلاحي للبرجوازية الوطنية .

ان التيار الفكري الثاني الذي برز في ايران في الاربعينات وبعدها هو التيار القومي الاصلاحي للبرجوازية الوطنية والمثقفين المرتبطين بها . لقد استطاع هذا التيار في الفترة المنحصرة بين السنوات ١٩٤١ — ١٩٥٣ ان يمارس التأثير على جميع التيارات الفكرية السياسية الموجودة آنذاك . واصبح « حزب ايران » ثم « الجبهة الوطنية » (الاولى) بوصفه التنظيم المركزي لهذا التيار بقيادة مصدق ، ان يصبح فارس الميدان الوحيد على صعيد نضال الشعب الايراني (النضالات الواسعة لتأميم النفط بقيادة مصدق — يراجع تحليل تاريخ نضال الشعب الايراني —) . ولم يتول هذا الحزب هذا الدور عبثا ، فلقد شن نضالا عنيدا ضد حكم الامبريالية الانكليزية واطلق اعظم حركة اصلاحية قومية في حياة شعبنا . وبعد مرور ثمانية

سنوات على انقلاب ١٩ آب ٥٣ المشين (اي في الستينات) وعندما هيات من قبل القوة الامبريالية الجديدة ظروف مساعدة للمساومة مع بقايا هذه القوى ، شرع الجناح اليميني من هذا التيار وعناصر من بقايا المثقفين الوطنيين حركة مشابهة زعموا انها « استمرار لطريق مصدق » (٢٦) لكنهم اخفقوا في لعب اي دور مهم لاسباب ترجع بشكل رئيسي الى الجوهر الطبقي للتيار نفسه ووجود عناصر مساومة قوية في الجبهة ، اضافة الى تغير الاوضاع والظروف الاجتماعية — التي كانت ترفض ، من الناحية العملية ، مثل هذه الاساليب — وتخلفوا عن الاحداث والتحولات الجارية على رغم ماضيهم المشرق في احداث السنوات السابقة لسنة ١٩٥٣ . اما الجناح اليساري من الجبهة الذي كان يمثل ادنى فئات البرجوازية الوطنية وبعض العناصر المرفهة من البرجوازية الصغيرة السوقية والمثقفين الدينيين — والذ ن كانوا على وجه العموم اكثر اخلاصا ومبدئية — فانه انفصل من الجبهة في منتصف الطريق (اي بعد عشرة اشهر من تشكيل الجبهة الوطنية الثانية) باسم « حركة تحرير ايران » (نيسان ١٩٦١) (٢٧) .

وعلى وجه العموم ، بالنظر الى ان « حركة تحرير ايران » كانت اقرب الى مصالح اوساط اوسع من البرجوازية الصغيرة القاطنة في المدن (المثقفون الدينيون والبرجوازية الصغيرة التقليدية السوقية والحرفيون) سواء من الناحية الطبقية والميول السياسية اليسارية المنتشرة بين صفوفها (الايمان العفوي لبعض عناصر هذه الطبقات بالكفاح المسلح الذي كان يقف بوجه اصرار عناصر الجبهة على النضال البرلماني) او من ناحية المبادىء الايديولوجية (الدين ، وشرعية النضال في اطاره) ، كان من الطبيعي ان يكون مجال نفوذها الشعبي وبالتالي قدرتها على الوقوف بوجه البرجوازية الكمبرادورية اكثر . لكن هذا الفرق لم يكن بوسعه ان يغير الامر لصالح « حركة تحرير ايران » بحيث يغدو مصيرها خلال فترة زمنية اطول افضل بكثير من المصير التعس الذي صادف الجبهة الوطنية الثانية (٢٨) وسنتناول هذا الاتجاه الفكري بتفصيل اكثر في مكان آخر .

٣ — الاتجاه الديني الدوغمائي والكفاحي المتطرف العنيف .

ان التيار الفكري الثالث الذي يستحق الدراسة في هذه المرحلة ، هو ذلك التيار الدوغمائي الكفاحي المتطرف العنيف الديني

الذي عكس آراء الفئات الوسطية والدنيا من البرجوازية الصغيرة السوقية والحرفيين القاطنين في المدن . ومن ابرز الممثلين السياسيين لهذا التيار في المرحلة المذكورة ، جماعة « فدائيي الاسلام » الذين كانوا ينفذون آراءهم واهدافهم السياسية على شكل اغتيالات فردية والتهديد بالقتل وزرع الرعب والرهبة لدى الطبقة الحاكمة .

ومع ان هذا التيار يمثل استمرارا متطابقا (٢٩) لنضالات البرجوازية المتوسطة القاطنة في المدن خلال فترة الكفاح من اجل الدستور وبعدها خلال عهد رضا خان الدكتاتوري (نضالات اللجان السرية في طهران وتبريز (٣٠) الذين كانوا يرون في اساليب الاغتيال تحقيقا لاهدافهم مثل اغتيال ناصر الدين شاه) ، لكنه يفتقر ، بسبب الفراغ السياسي في عهد الدكتاتورية الذي امتد لـ ٢٠ سنة وانفصاله عن دوره وتجربته التاريخية ، الى اي مرونة او تحول فكري وسياسي يتناسب حتى مع واقع ذلك الزمان (٣١) و (٣٢) ولا اثر فيه لاي تنظيم او تنسيق يتناسب مع اهدافه السياسية . هذا ولقد تحولت النواة الاصلية لهذا التيار فيما بعد ، بالترافق مع الفهم العفوي (٣٣) لسلطة الامبريالية الجديدة في الستينات الى بؤرة حركت انتفاضة « ١٥ خرداد » (٥ حزيران ٦٣) (للحصول على مزيد من المعلومات حول انتفاضة «١٥ خرداد » ، يرجى مراجعة الملحقين ١ و ٣ من هذا الكتاب — المترجم) المعادية للامبريالية ومن الممكن اعتبار اغتيال رئيس وزراء ذلك الزمان ، الخائن منصور ، الذي حدث بعد سنة من ذلك التاريخ ، دليلا على بقاء رواسب الافكار والاتجاهات المذكورة لدى البعض ومظهرا من مظاهر نشاط حامليها .

ولقد اخفقت القوى التي تمثل هذه الافكار (الفئة المتوسطة الدنيا من البرجوازية الصغيرة وحرفيو المدن) في التخلص من مأزقها السياسية — التنظيمية ، بسبب هزالها الفكري ومحدودية آفاقها الطبقية (في الوقت الذي كانت تواجه فيه اسر انواع الدكتاتورية) ، على رغم الضغط الشديد الذي كان يجرها الى الاضمحلال ، لذا لا ترى **تحركا منظما** لها باستثناء بعض المجموعات المبعثرة والمحافل الدينية — الشبه سياسية من بقايا البرجوازية الصغيرة الدينية وتسم ضئيل من رجال الدين التقدميين .

★ ★ ★

لقد اكتفينا الى هنا بالقاء نظرة عابرة شاملة على التيارات الفكرية التي ظهرت خلال العقود القليلة الاخيرة في بلادنا دون ان نتطرق الى محتوى التيارات الفكرية الثلاث المذكورة ووجهات نظرها البداية ، بل ودون ان نشير الى التاثير المتبادل بين هذه التيارات الثلاث خلال ما يزيد على نصف قرن من النضالات الاجتماعية في ايران (مع انه كان — ولا يزال — ضروريا ان نتطرق الى التاثيرات المتبادلة لهذه التيارات الفكرية المتمايزة حتى يتوضح قليلا التصور الغامض الموجود . لكننا سنرجيء ذلك الى مكان انسب) . لقد حقق هذا المرور السريع التمييز بين التيارات الفكرية الثلاث فقط (٣٤) ، ومن خلال عملية التمييز هذه ، يتجه اهتمامنا على الخصوص الى فرع من التيار الفكري القومي الاصلاحي للبرجوازية الوطنية وصلت في الستينات الى استنتاجات واستخلاصات جديدة عن الاسلام . وهذا الاهتمام لا ينجم ، بطبيعة الحال ، عن التفاوت المبدئي بين الطبيعة السياسية او حتى الطبقية لهذه الفئة عن فئة اخرى ، بل يعود الى حقيقة ان التفكير النضالي الديني ، سواء من حيث نفوذه وهيمنته على البرجوازية الصغيرة التقليدية او من حيث تطلعاته ومواقفه ازاء الروح القومية البرجوازية البسيطة، وهو في حد ذاته ميزة قابلة للاهتمام يعود اليها قابلية هذا التيار على الاستمرار بعد سنوات ١٩٦٣ (ربما بمضمون سياسي وطبقي آخر).

واضافة لما تقدم ، فان هذا التيار يكتسب اهمية بالغة وجديرة بالدراسة والتحليل ، من حيث ان ادراك جوهر الحركة الدينية الجديدة التي ابرزت من قبل منظمتنا ، يكمن في فهم الجذور التاريخية للتيار في الستينات والتاثيرات الثقافية التي تلقتها منظمتنا من ذلك التيار القديم (٣٥) .

الاصلاحيون الوطنيون الدينيون
والهزيمة السياسية — الايديولوجية التاريخية التي منوا بها

كما اسلفنا ، ولدت هزيمة دكتاتورية رضا خان في ايلول ١٩٤١ ، ظروفا مساعدة لنمو القوى الشعبية بما في ذلك البرجوازية الوطنية ، البرجوازية الصغيرة السوقية والبرجوازية الحرفية المدنية والمثقفون . لقد ظلت البرجوازية والفئات العليا من البرجوازية التجارية مسحوقة لزمن طويل تحت وطأة تعسف الدكتاتورية المرتبطة بالامبريالية الانكليزية، فنهضت رويدا رويدا، وسرعان ما صعدت في ظل الاوضاع المساعدة نضالها المعادي للاستعمار والاقطاع (٣٦) . وعندما اقترنت ضرورة الكفاح الشامل الحيوي من قبل هذه القوى بالاوضاع العالمية المتفاقمة والمتغيرة التي تميزت بها سنوات الحرب — التي كانت تؤدي ، بالذات ، الى تسريع التحولات الاقتصادية — السياسية والثقافية — ، **حتمت هذه العملية عليها اعادة النظر الشاملة في الهياكل الفكرية والعقائدية بشكل عاجل وملح** . فاختارت البرجوازية الوطنية ، وفئاتها العليا ، على الاخص ، قبل كل شيء الاتجاه القومي والشعارات المعادية للامبريالية (النفط ، حرية الاحزاب والانتخابات و ...) وبسلوكها هذا الطريق المنفرد ، **وبدون ان يروا لانفسهم مهمة خلق تيار كفاحي عقائدي** ، استطاعت من خلال الاوضاع المناسبة التي اتيحت ، التاثير على سائر التيارات الفكرية والسياسية والكفاحية الاخرى . فعلى سبيل المثال ، مع انه كان هناك خلاف حاد وعميق سواء من حيث المصالح الطبقية وبالتالي من حيث المبادىء والاراء السياسية الايديولوجية بين الجناح اليميني (٣٧) المتطرف (من الناحية الفكرية) والنشط للبرجوازية الصغيرة بقيادة « فدائيي الاسلام » وزعيمهم « نواب صفوي » من جهة والجبهة الوطنية الاولى بقيادة مصدق من جهة اخرى ، اضطرت الجهة الاولى تحت تاثير التناقض الاعمق مع الطبقة الحاكمة والبلاط وكذلك بدفع من الطبقات الشعبية الواسعة ، ان تقف مع مصدق . وهكذا ، فانه خلال انتخابات الدور ١٦ لمجلس النواب وافق نواب صفوي ان يقوم فدائيي الاسلام وانصارهم المتطرفون من الفئات المتوسطة والدنيا في السوق ، بمساندة مصدق والجبهة الوطنية (الاولى) بدفع من كاشاني (٣٨) وتاثير منه في الظاهر ، مع ان الدافع الحقيقي كان الانجراف مع التيار الجماهيري الجارف المؤيد لمصدق والجبهة الوطنية والخوف من

الانعزال ... الخ (ان ما يسترعي الانتباه هو ان شتات انصار « فدائيي الاسلام » الباقين الى الان ، لا زالوا يظهرون عداءهم الشديد لمصدق !!) .

بعد سنة ١٩٥٣ وجدت البرجوازية الوطنية نفسها ، فجاة في حالة غرق تحت سيل الرساميل الامريكية التي تدفقت على البلاد ، بعد ان كانت — اي البرجوازية الوطنية — قد ازدهرت الى حد ما في عهد مصدق . ولقد ادى اسقاط سلطتها السياسية (انقلاب ١٩ آب ٥٣) والتدهور الاقتصادي المتزايد والهجوم الثقافي الجديد ، الى ربط مصيرها — مكرهة على ذلك — مع الفئات الشعبية الاخرى التي غدت تحس بوطاة السيطرة الامبريالية اكثر من ذي قبل ، وهكذا اقلعت فئات منها ، اي تلك الفئات التي لم تساوم او لم تنخرط في صفوف الراسماليين المرتبطين ، ووصلهم هذا الافلاس الى حد الانتاج الجزئي للبضاعة . وكانت تظهر من بين صفوف هذه الفئة بشكل بارز المراتب الدنيا من البرجوازية الوطنية وجناحها الايسر — التي لم تكن قد قطعت بعد صلاتها الاقتصادية بالبرجوازية الصغيرة من طرف ، وتشكل عموما جناحها الديني ايضا — لذا فانه مع توافق مصالح هاتين الفئتين (اللتين ظلتا مستقلتين عن بعضهما في نفس الوقت) وجد المثقفون الدينيون من هذه الطبقة — البرجوازية الوطنية — الذين كانوا ينظرون الى احياء وتجديد الاسلام من منظار القضايا التي يطرحها عليهم التقدم العلمي والصناعي المتحقق في العالم الجديد ويتابعون نضالهم الاجتماعي في اطار نفس الشعارات الديمقراطية — البرجوازية وبشكل مستقل عن هذه القضايا ، وجدوا انفسهم وجها لوجه مع معضلات سياسية وضرورات اجتماعية ملحة ومعقدة وجديدة وضعها امامهم تسلط البرجوازية الكمبرادورية في ايران . ولقد ادى بروز علاقات الانتاج المعتمدة على راس المال وانتشار العلاقات النقدية في المجتمع الذي رافق انعكاس مظاهر التقدم العلمي والصناعي العالمي الهائل في ايران ، من طرف والضغط الجديد الناشىء من الاستغلال والارهاب اللذين مارستهما البرجوازية الكمبرادورية من طرف آخر ، الى طرح قضايا جديدة لم تكن المفاهيم المستنبطة من الدين تملك جوابا لها ، ولا كان ممكنا ايجاد ما يجمع بينها — اي بين هذه المفاهيم وبين التحولات العلمية والتقدم الصناعي المحرزين في المجتمعات المتقدمة

— وما كان الدين يعطي طرق حل للنضال ضد الظلم الاستعماري — الامبريالي الجديد .

وهكذا ، فان الاوضاع الجديدة الناشئة من تعقد سلطة الامبريالية والاقتصاد الراسمالي النامي على مستوى المجتمع والتي كانت تشكل عامل تهديد لاركانهم (المثقفين) انهمتهم — اي اشد مثقفين هذه الطبقات وعيا واستعدادا — بان المبادرة الى اي شكل من اشكال الكفاح الظافر ضد النظام الحاكم والطبقة الحاكمة تعتمد على احياء وتجديد الاساليب والمبادىء الفكرية المتخلفة والبالية التي يحملونها . وكان السعي الى تحقيق ذلك ، من وجهة نظر مثقفي هذه الطبقة ، مسالة حياة او موت (٣٩) ، ذلك لان السلطة الامبريالية الجديدة في شكلها الراسمالي المرتبط ، لم تعد بعد ذلك النظام الاستعماري الاقطاعي الذي يمكن ان يتحمل وجود ونشاطات البرجوازية الصغيرة القانعة والفئات البرجوازية التجارية الضيقة الافق . لقد كان النظام الجديد نتيجا فتح فاهه الواسعة لالتهام جميع الطبقات ولا تجيز غريزته التوسعية السلطوية اي نوع من المساومة او التعايش الاخرى ؛ لذلك ، اذ نرى هذا النوع من التفكير — التفكير الديني — يضطر في الاوضاع المتحكمة في الاربعينات الى اللجوء الى الحسابات العلمية — ساعية للتوفيق بين عقائدها ومفاهيمها مع المقاييس العلمية — لاثبات النجاسة والطهارة من خلال العلم وتفسير الماء الجاري على ضوء مبادىء الفيزياء والرياضيات ! (يراجع « المطهرات في الاسلام » من تاليفات المهندس بازركان) ، واذ نراه يضطر في نفس تلك السنوات الى اعتبار الحضارة الاوروبية وجها لمجتمع مؤمن ومتدين ويؤتي بالف من الادلة ! لاثبات قوة ايمان شعوب اوروبا — اي رواد الحضارة والانسانية ! على حد زعم مثقفي هذه الفئة — وتمسكها بدينها ، وتبذل مساع حثيثة نحو دحض التناقض الموجود بين العلم والفكر الديني من خلال التمرغ في وحل اشد المواقف رجعية والتطبيل للحضارة الصناعية الاوروبية — التي هي صورة بارزة لمنجزات الشعوب التي لا زالت تمشي على هدى بقايا من دين المسيح ! يراجع «الدين في اوروبا») . فانه — اي الدين — بعد مضي عشرين ستة من ذلك التاريخ ، اي في الظروف المتواجد في السبعينات ، وفي قمة التناقضات الاجتماعية الناشئة حديثا حيث تقاس اصالة اي تفكير او مدرسة فكرية من خلال قابليتها على حل المشاكل السياسية — التنظيمية للحركة (الوطنية) ، وفي اوضاع تطبيق

البرجوازية المرتبطة الصاعدة على كرسي الحكم ، اصابعها القوية على رقبة القاعدة الاجتماعية لهذا التفكير ، اي التفكير الديني ، كان عليه كاساس فكري وعقائدي لهذا القسم من الفئات والطبقات الشعبية المتوسطة ، التي كانت تدرك (بشكل غريزي ، على الاقل) ضرورة النضال ضد الرجعية المرتبطة بالامبريالية ان يظهر قابليته على الايفاء بمثل هذه المهمة (اي الاستجابة للضرورات الفكرية لنضال هذه الطبقات) .

ان الدعاية ، سواء من قبل السلطة ، وسواء من قبل بعض القوى الوطنية المترددة والضائعة بشكل آخر ، لما مؤداه انه بعد مرور ثمانية سنوات على الحكم الدكتاتوري البوليسي في البلاد (بعد انقلاب سنة ١٩٥٣) ، اصبحت الظروف السياسية مؤهلة لعود فحكومة وطنية الى دفة الحكم في البلاد ، وضعت جماهير الشعب في قمة اوضاع يصح ان نسميها بـ « اوضاع الانتظار الوطني » (٤٠) (٤١) وغدت هذه الجماهير تتوقع من كل الاتجاهات والمنظمات السياسية ان تبادر فورا الى المساهمة في حل الازمات الموجودة . وكانت هذه العوامل بمجموعها (خصوصا وان فقدان منظمة ثورية ماركسية والاثار الرهيبة للهزيمة النكراء التي مني بها حزب توده وخيانة قادته للقوى التقدمية والثورية الموجودة حينئذ على الساحة الوطنية — الامر الذي ادى الى فقدان المثقفين الثوريين لاية ثقة بهذا الحزب — يشكل عاملا مساعدا) تمهد لتهيئة كل الظروف والمستلزمات اللازمة لانتقال عجلة القيادة الى الاصلاحيين الوطنيين ، ومن بينهم بل ومن اهمهم ، الى المثقفين الدينيين .

وهكذا استطاع التفكير الديني التقدمي (٤٢) ، في غياب القوى الماركسية المنظمة ، ان يتولى القيادة السياسية والعقائدية لاوساط واسعة من الجماهير الشعبية (ومن جملتها بقايا البرجوازية الوطنية والفئات الدينية منها ، البرجوازية الصغيرة المرفهة المتوسطة العاملة في السوق) . ان تحمل مثل هذه المسؤولية ، اعطى محاولات احياء وتجديد الدين اتجاها جديدا **مستهدفا المحتوى الاجتماعي — السياسي للدين بالدرجة الاولى** . فلم يعد هناك حديث عن اثبات طهارة او نجاسة الماء الجاري على ضوء العلم ؛ بل اصبح الحديث يدور عن « الحدود الموجودة بين الدين والقضايا الاجتماعية » واثبات ان « الاسلام مدرسة

نضالية وخلاقة » وغير ذلك ! ونشرت المئات من المقالات والبحوث التي دارت حول الاستنتاجات والاستخلاصات الجديدة عن الاسلام وغدت العناصر القيادية لهذه الطبقات تقبل ، من دون خيار ، بان الدين ليس فقط مجموعة من الطقوس والواجبات ولا ينحصر في الايمان الفردي والفلاح في الاخرة ، بل يضم نواة نضالية للتصدي للظلم وعدم الخضوع للظالم والكفاح ضده .

وراجت كثيرا آثار سيد قطب ومحمد قطب المترجمة التي لاقت استقبالا شديدا من قبل اوساط البرجوازية الصغيرة وكانت هذه الاثار قد كتبت في مصر في اوضاع اجتماعية مشابهة لما كانت تسود ايران آنئذ (٤٣) . ذلك لان البرجوازية الصغيرة التقليدية في مصر وفي ايران ايضا كانت ترى نفسها امام خطر داهمهن جهتين : احداهما من قبل قوى البروليتاريا وحملة الافكار الماركسية — اللينينية والاخرى من قبل قوى الاستعمار والنهب الامبريالية الغربية ذات التاريخ الاسود والطويل ، ومن هنا فان ما سمي بالطريق الثالث بين الراسمالية والشيوعية (٤٤) الذي روج له «القطبان» المصريان غدا الحل المثالي الذي عكس تطلعات البرجوازية الصغيرة التقليدية والمثقفين المترددين الازدواجيين الذين كانوا ينظرون برهبة الى الهجوم الاقتصادي — السياسي — الثقافي الكاسح من جانب الامبريالية و راسماليه المرتبطه من جهة ويفقدون كل يوم ، بيأس مفرط اسلحتهم الفكرية ، خصوصا بالترابط مع النمو المتصاعد للافكار الماركسية اللينينية في اوساط الجماهير .

هكذا نرى انه خلال عقدين من تجديد الحياة الفكرية بعد عهد الدكتاتورية، اضطر الفكر الديني التقدمي (لنفس معناه الذي اوضحناه) بصفته رائدا فكريا مستقلا وقويا الى حد ما — ويملك اساسه الطبقي الخاص على رغم ما يتلقاه من تاثير من التيارات الفكرية الاخرى (وهو ما اشير اليه فيما سبق) — ان يمر ، تحت تاثير التقدم العلمي وبدل التحولات الاقتصادية — السياسية واستجابة لنمو قوى الانتاج في البلاد وظهور الافكار الاجتماعية الحديثة ، بعملية صعبة ومعقدة من التكيف مع الظروف »،والمازق الفكري الذي كان يواجهه المهندس بازركان في ١٩٦٠ خير دليل على الازمة الفكرية التي يمر بها هذا التيار . وبوسعنا ان نصوغ ذلك في عبارة اخرى : مع ان هذا التكيف مع الظروف يحصل تحت ضغط كبير علمي وسياسي واجتماعي — الى

الحد الذي تسمح به الاطر الضيقة للمبادىء الفكرية والمثالية المتضعضعة للدين — ، لكن محتواه — محتوي التكيف — يظل متخلفا عن الاستجابة لمطالب العصر الثورية بمسافات لما له من محتوى مخالف للعلم (٤٥) وقواعد طبقية زائلة (العاملان اللذان يشكلان تحصيل حاصل لبعضهما) . فمثلا ، في الاربعينات ، اي بالضبط في اوضاع كانت هزيمة سلطة الدكتاتورية التي دامت عقدين من الزمن ، تستلزم اشكالا نضالية تقدمية ومنظمة ، كانت مساعي هذه الفئة من المثقفين الدينيين تبذل في اثبات علمية الاحكام الدينية البسيطة حول « المطهرات في الاسلام » .

في تلك السنوات ، انبهر هؤلاء المثقفون بالحضارة الصناعية الاوروبية واغرتهم الثقافة البرجوازية الغربية بشكل تسوا معه حتى النضال بوجه الظلم والاستغلال الاقطاعي في بلادهم بدافع من تطلعاتهم البرجوازية الذاتية نفسها .

[ان التاريخ شهد مرات ومرات ، تحول هذه الاراء الوسطية الى اراء مرتبطة بالنظام الراسمالي او تحول هذه المنظمات والحكومات — المنظمات والحكومات التي تنزعمها البرجوازية الصغيرة — الى الات في يد الراسمالية. ومن الامثلة على ذلك ، تحول الاشتراكية — الاسلامية البرجوازية الصغيرة في مصر بقيادة عبد الناصر الى برجوازية والانظمة العربية البعثية وحتى الحكومة الحالية في الجزائر التي تمثل نوعا من العلاقات الراسمالية الحكومية (راسمالية الدولة) . ونفس المصير ينتظر جميع الاحزاب والحكومات الاشتراكية — الديمقراطية في الغرب التي تمثل جميعا بالضرورة نوعا من العلاقات الانتاجية البرجوازية وتستسلم بسهولة للبرجوازية الكبيرة .]

ان المثقفين المذكورين لا هم ذوي افق توسعية او روح سلطوية كالتي يتسم بها برجوازي وطني ما حتى تستطيع المضي قدما مع النضالات الوطنية، على الاقل اوكما راينا في النضالات الوطنية العارمة لتاميم النفط ، كان قادة الحركة هم مثقفون برجوازيون لا ينتمون الى التيار الديني مثل مصدق ، الدكتور فاطمي ، المهندس رضوى ، زيرك زاده .. الخ اما عناصر مثل المهندس بازركان ، فلقد بقيت في المؤخرة دوما) ، ولا هم من الذين يتمتعون بجراة وخشونة من النوع الذي تتسم بهما البرجوازية الصغيرة والتي تستعملها الفئات الوسطية التقليدية في ممارستها النضالية مثل فدائيي الاسلام .

وهكذا عندما تستطيع الامبريالية والفئة الحاكمة الجديدة المرتبطة بها من كبح جماح الحركة الوطنية والمبادرة الى تهيئة مراسم دفن القوى الوطنية وعلى راسها البرجوازية الوطنية ، حينئذ فقط ترفع هذه الفئة ، على مهل ، شعار النضال وفي صيغ واشكال تطغى عليها مبادؤها الفكرية (« الاسلام ، هو المدرسة النضالية والخلاقة » و... الخ) فلا تستطيع هذه الشعارات السياسية المتخلفة حينئذ، ولا الاشكال النضالية الخاضعة للاساليب الاصلاحية التي تروج لها هذه الفئة من الايفاء بمتطلبات المرحلة ، فحسب ، بل تقضي على احسن القابليات الثورية من خلال تخلفها عن برامج السلطة نفسها . وبطبيعة الحال ، تخلفها عن النضال العفوي الذي تشنه الجماهير الشعبية ورفع شعارات سياسية بائدة ومتخلفة وسلوك اساليب بالية في العمل السياسي (٤٦) و (٤٧) .

عندما جوبهت حركة تحرير ايران (نهضت آزادى) باعتبارها الممثل السياسي — الاجتماعي لهذا التيار الذي كان قد وضع اخيرا في برنامجها ، خلال الاوضاع المتغيرة في الستينات النضال القانوني والسلمي المعادي للاستعمار والاقطاع ، وعندما وجدت نفسها في الاوضاع الجديدة المتمثلة في الاحتلال الاقتصادي — السياسي من قبل النظام الاستعماري الراسمالي المرتبط بالولايات المتحدة الامريكية ، للمواقع الاستعمارية الاقطاعية البريطانية ، رات ان جميع اسلحتها السياسية — التنظيمية عديمة الاثر ، شانها في ذلك شان جميع الافكار البرجوازية الصغيرة والبرجوازية التي كانت قد تبنت مثل هذا الطراز الكفاحي (الجبهة الوطنية وغيرها) . وكان هذا تابعا ، بشكل عام ، من التخلف التاريخي الذي تعاني منه والذي يهدد كيانها من الاساس . هذه الايديولوجيات (٤٨) — التي كان الحد الاعلى لنضالها والمدى الاعظم لعملها السياسي التنظيمي لا يتجاوز النضال ضد الاستعمار والاقطاع (هذ اكان ممكنا ، لا في النصف الثاني من القرن العشرين وتعقد الهيكل الداخلي للامبريالية ولا في عصر وعي الشعوب العظيم واكتساب القوى الاشتراكية الضعة على المستوى العالمي) — لم يكن بوسعها ، بطبيعة الحال ، ان تتوصل بشكل كامل الى ادراك جوهر الامبريالية والمضمون المعادي للشعب التي اتسمت به التحولات الجديدة التيكانوراءها مخطط السياسة العالمية للامبريالية فيايران، وتواصل السير في اوضاع هيمنة الراس المال المرتبط على راس الحركة

الكفاحية المزعومة (٤٩) التي تولت حتى الان قيادتها ضد النظام الشبه اقطاعي الشبه استعماري . ذلك لانه ، اذا كان بوسع منظمات البرجوازية الصغيرة المتمثلة في الاحزاب الوطنية الحفاظ على خط كفاحي واضح واساليب تنظيمية شبه ملائمة خلال الاربعينات والخمسينات ضد السلطة الاستعمارية المستندة الى النظام الاقطاعي ، واذا كان المدى الايديولوجي المحدود لهؤلاء قادرا على تحقيق نوع من التطابق المنطقي والمتعاكس الديالكتيكي مع البناء الفوقي السياسي — العسكري — التقاني للنظام الشبه اقطاعي — الشبه مستعمر في ايران ، فان اوضاع الستينات — اي الظروف المتغيرة التي شهدت تحول السلطة شبه اقطاعية — شبه مستعمرة للامبريالية البريطانية الى سلطة مباشرة للراسمالية المرتبطة بالامبريالية الامريكية — قد ادانت بشدة وبشكل تلقائي مثل هذا الاسلوب النضالي والفكري .

لهذه الاسباب ، فان هزيمة واندحار الاحزاب والمنظمات الوطنية في الستينات ، لم تكن من قبيل الصدف قط ، بل انها كان امرا حتميا حتمته نقاط الضعف والنواقص الايديولوجية العديدة التي اتصفت بها — اذ كانت عاجزة عن التصدي للقضايا خارج النطاق الضيق للمصالح والافكار البرجوازية والبرجوازية الصغيرة — من جهة ، وانتقال الراسمالية في ايران الى مراحل جديدة من النمو والتسلط من جهة اخرى — وهذا مما كان يقتضي انتشار الافكار الثورية الحديثة المبنية على اساس الماركسية — اللينينية بمثابة الايديولوجية المناقضة لهذا النظام — . ان انتفاضة ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) بالذات التي كانت تعكس مقاومة وتفكير العناصر المتوسطة والدنيا من البرجوازية الصغيرة التقليدية والحرفيين القاطنين في المدن — على ما حملته في طياتها من اصدا لتوكفاحية — والتي استطاعت ان تستقطب اوساطا واسعة من الطبقات الاجتماعية في المدن وبعضا من الفئات الموجودة في الريف ، اندحرت بسبب افتقارها الى قيادة منظمة ، تلك القيادة التي يمكن ان تتحقق فقط بوجود منظمة ثورية بروليتارية على راس الحركة.

وهكذا فان هزيمة الاحزاب الوطنية في الستينات بصفتها هزيمة ايديولوجية لقيادة البرجوازية الوطنية واوساطها المختلفة ، واندحار انتفاضة ١٥ خرداد بوصفها هزيمة اقسى واعنف واحزم لفئات البرجوازية الصغيرة وعاكسة لنواقصها الفكرية والقيادية العميقة ، ابرزت الضرورة التاريخية الداعية الى وجود قيادة جديدة تستند الى

ايديولوجية البروليتاريا والتحليل العلمي في تضال حازم ومصيري ، في حين كانت التحولات السياسية — الاقتصادية التي كانت على عتبة الحدوث خلال تفس هذه السنوات تهيء المستلزمات الموضوعية والقاعدة الطبقية التامية لبروز وانتشار هذه الفكرة بشكل اساسي .

هذه التحولات ، كانت تستوجب ظهور اشكال تنظيمية جديدة تستطيع الاستجابة الوافية للتطلعات السياسية — الاجتماعية المعتدة والجديدة للمرحلة الزمنية الموجودة .. ولقد وضعت منظمتنا الاقدام على عتبة الوجود كجزء من الاستجابة لنفس هذه الضرورة خلال نفس هذه التحولات ، وفي ظل فترة عصيبة من الاوضاع الاقتصادية — السياسية — الاجتماعية التي تختلف اساسا عما كان موجودا في الفترة التي سبقت الستينات .

لكن ، ماذا كانت ، هذه الظروف الجديدة ، وكيف وكم ، تمكنا نحن من الاستجابة لمثل هذه الضرورات ؟

الفصل الثاني

نشوء اوضاع اجتماعيه جديدة
سيطرة البرجوازية المرتبطة ، نمو البروليتاريا وضرورة اشكال سياسية تنظيمية ايديولوجية جديدة للنضال

أ ــ الظروف الموضوعية للنمو

كما ذكرنا سابقا ، كان تغيير العلاقات الاجتماعية والانتاجية في الستينات ــ الذي كان يحل الاستغلال الراسمالي للعمل محل الاستغلال الاقطاعي ــ كان يفرض سيطرة نظام استعماري جديد على مجتمعنا بقيادة البرجوازية الكمبرادورية ، الامر الذي كان يستلزم اشكالا نضالية خاصة تكون بمثابة رد حاسم على مثل هذا النظام . لذا ، فاذا كان ممكنا حتى الستينات لـ « ايديولوجية البروليتاريا » وبالتالي لـ « مثقفي البروليتاريا » ان توجد في بلادنا ليس بسبب تواجد ظروف مادية مساعدة لنشوء ونمو الطبقة العاملة (هيمنة الانتاج البضاعي على اشكال الانتاج الاخرى) ، بل **بشكل رئيسي** تحت تاثير الثقافة الثورية العالمية والنضالات الثورية في سائر مناطق العالم وعلى راسها ايديولوجية البروليتاريا وغير ذلك من الاشكال البنيانية الفوقية لنفوذ الثقافة الماركسية (٥٠) ، فان الوضع في منعطف هذا التحول الاساسي ، لم يعد باقيا على نفس هذا المنوال ، كانت **المقومات المادية** لمثل هذا التفكير هي الاخرى تقضي مراحل نموها . وهكذا فان ثقافة البروليتاريا والمثقف البروليتاري اللذان كانا قد طويا حتى الان ، ضمن الارضية الذهنية الملائمة في ايران ، طريقا مليئا بالمصاعب والمتاعب المختلفة على مدى ستين سنة ، اصبحا يكتسبان الموضوعية التاريخية (٥١) .

واضطرت البرجوازية الحاكمة في ايران خلال نموها ان تنمي عناصر تناقضها في احضانها بالذات ، ففي النظام الانتاجي البرجوازي الجديد ، لم يعد العمال ، بعد ، تنس الكتل البشرية الهادئة المفتقرة الى التنظيم والوعي الطبقي ، كما كانوا في فترة الاستغلال الاقطاعي ، بل كانوا يتحولون ، بالتدريج ، الى اقوى طبقة والى قوة اجتماعية **لا** تطالها قوة اخرى في الاصالة ، بوسعها ان تلعب دورا حاسما **في اي** نضال ضد النظام الحاكم . كما ان تناقضات النظام الحاكم الجديد ، لم

تعد نفس تناقضات نظام شبه مستعمر ــ شبه اقطاعي ، بل كانت من النوع الذي يشاهد اساسا في اي نظام مستند على الانتاج البرجوازي والذي ينشأ بطبيعته من البنية الفاسدة لهذا النظام نفسه. لذا فان منظمات كانت مؤهلة لقيادة نضال ظافر ضد النظام الحاكم ، وتكتيكات ونظريات تستند على ايديولوجية البروليتاريا (اي نقيض النظام القائم) كانت بوسعها ان تنير درب الشعب الثوري ضد البرجوازية الايرانية المرتبطة **الى النهاية** ، اي تستند على الافكار الماركسية ــ اللينينية والنظرة المادية الديالكتيكية الى العالم. ومن هنا ، فان التطور اللاحق لمثل هذا التفكير ، لم يعد يرتكز بعد على العمل الثقافي ، والنقاشات والتقدم النظري او اكتساب التاثير البنياني الفوقي من الثقافة النضالية العالمية ، بل ان بروز ضرورة النزول النشط لهذا التفكير الى ميدان العمل الفعلي في تحليل الظروف وتغيير الاوضاع الاجتماعية الجديدة ، هو الذي يهيء الظروف الاساسية لهذا التطور.

وعلى ضوء ذلك ، كانت ظروف النشوء و **النمو** (٥١) متاحة ، من الناحية العملية ، فقط لتلك التنظيمات النضالية التي استطاعت ان تطعم كفاحها بالمبادىء الاولية لايديولوجية البروليتاريا كنقيض لافكار نظام الاستغلال القائم ، من خلال ادراكها للجوهر المعادي للشعب الذي تتسم به الراسمالية في ايران (والخصائص التابعة عن ارتباطيتها)، ومن خلال استيعابها للمفهوم العلمي والطبقي للاستغلال واستنادها المبدئي الى مصالح الطبقات الكادحة من الشعب وعلى راسها الطبقة العاملة .

غير انه ، على رغم النجاحات التي كانت منظمتنا قد احرزتها ، وعلى رغم تخطيها لكثير من العقبات والموانع الرجعية ــ المثالية الموجودة في الاحزاب البرجوازية والافكار البرجوازية الصغيرة الرائجة في اوساط الحركة الوطنية ، فانها لم تكن قد اصبحت ، البتة ، قادرة على تقديم الجواب الكافي والشافي للتطلعات الايديولوجية للحركة الثورية الحديثة الطراز في ايران ، تلك الحركة التي كان ممكنا ان تقاد بشكل صحيح فقط في اطار الافكار الماركسية اللينينية وفلسفتها . وعلى رغم كل التجدد الذي ادخلته منظمتنا في الافكار والاراء الدينية ، وعلى رغم جميع المساعي التي بذلتها في سبيل احياء وتجديد محتواها التاريخي والتوفيق بين المبادىء والتقاليد العتيدة التي اتت بها مع المكاسب العلمية والاجتماعية التقدمية المحرزة ، وعلى رغم جميع النماذج

الثورية في الثقافة الثورية العالمية والمكاسب السياسية والاجتماعية للفلسفة العلمية التي ادخلتها في الدين (٥٢) ، ظل الاخير عاجزا عن تقديم اجوبة مقنعة للاسئلة الكثيرة التي تطرحها الحركة الثورية ، وذلك لارتكازه على المثالية ، ولان هذه المثالية بالذات كانت ، في النهاية ، مرآة عاكسة لمصالح وافكار اوساط من المثقفين الدينيين والبرجوازيين الصغار المقتربين من هاوية الاندحار .

ان قبول جزء فقط من « ايديولوجية البروليتاريا » (ان كان هذا المصطلح قابلا للقبول) ، والاكتفاء بادخال اشياء محددة من الفلسفة والتفكير العلميين ومن التجارب والنظريات الماركسية — اللينينية (٥٢) في ايديولوجية مثالية في الاصل ، لم يكن ، البتة ، غير قرار غير مخلص من الضرورات الحتمية الفارضة لكفاح ثوري — خصوصا اذا كان ذلك يستغرق وقتا اطول — ذلك لان ايديولوجية البروليتاريا هي ، بشكل مطلق ، جزء لا يتجزأ ، وان اية تجزئة لها لن تكون غير استنتاج برجوازي صغير عنها .

لكننا لو القينا نظرة على الظروف المتغيرة في ذلك الوقت والتي كانت تدشن بداية التحول من مرحلة انتاجية الى اخرى ، ولو علمنا بأن نشوء ونمو الطبقة العاملة يعتمدان على اجتيازها حالة الكمية الى الكيفية ، وضرورة المرور بمرحلة انتقالية — حيث يتحول تركيب العناصر البرجوازية الصغيرة القاطنة في المدن والايلة نحو الانحطاط والفلاحين المتحولين الى عمال والعمال غير الصناعيين والبروليتاريا الرثة وغيرهم الذين دفعتهم البرجوازية نحو البروليتاريا يتحولون من تركيب غير متجانس ، الى تركيب متجانس ثم منظم من الطبقة العاملة (بمعناها البروليتاري) — وعند ذاك نستنتج بأن الادراك الاولي للايديولوجية البروليتارية الذي كان — بلا شك — انجازا عظيما في حد ذاته نسبة الى مواقف المنظمات السابقة ، وفي المراحل الاولى لتشكيل المنظمات الجديدة التي هي ، لاصالتها ، الممثلة السياسية — الايديولوجية لمثل هذه التيارات الاساسية ، كان من شأنه ان يشكل نقطة انطلاق انفتاح فكري من هذا القبيل والتحرك نحو الفهم الشامل لمعطياته الفكرية . ومع ان نقطة الانطلاق هذه ، يفصلها فاصل عميق مع اراء وافكار منظمات واحزاب البرجوازية الصغيرة في اوائل الستينات ، فانها لو لم تتحرك ، ولو لم تواصل المسير ، ولو لم تحرز الفهم الكامل والمطلق لايديولوجية البروليتاريا على اساس المادية

الديالكتيكية ، لما كان مصيرها افضل في اي حال من الاحوال من المصير الذي آلت اليه جميع الاحزاب والمجموعات التي كانت قد سبقتها هذا المصير ، ما كان ممكنا ان يكون غير الاندحار والفناء ، او الاستسلام والمساومة مع العدو .

ب — الظروف الذهنية للنمو

لقد وفر ضيق الافق الفكري والنواقص الايديولوجية التي عانت منها القوى الوطنية المناضلة (الجبهة الوطنية ، حركة تحرير ايران و ... الخ) والتي ظهرت بشكل بارز في ضعف هذه القوى امام الاوضاع الجديدة التي استجدت — اي في مقاومة التكتيكات الجديدة التي ابتكرها العدو الجديد (البرجوازية الحاكمة) — وفر ارضية مناسبة لنشوء ونمو نظريات اكثر تطورا بوسعها تقديم الرد الشافي للقضايا المعقدة في الحركة التحررية . وواقع الحال كان يسمح بالنشوء والنمو والتقدم فقط لنظرية او تفكير يقدم الحل المقبول للمشاكل العملية والنظرية التي تعاني منها الحركة في خضم بحر عظيم من اليأس والضياع والشرود ، او « اليسارية » و « اليمينية » — خصوصا بعد هزيمة ١٥ خرداد (٥ حزيران ٦٣) — ان هذه الضرورة الملحة التي تم التوصل اليها في اواخر ايام « حركة تحرير ايران » من قبل فئة من الشباب الاعضاء من هذه المنظمات والذين كانوا اقل تماسا وصلة بالافكار البرجوازية الصغيرة والاساليب الاصلاحية التي اتسمت بها هذه الاحزاب (وذلك بدليل انهم كانوا مستعدين لترك هذه العلاقات بحزم وربط مصالحهم بمصالح الكادحين ، على رغم التعلق الشديد لقادة ذلك اليوم بحياتهم ومصالحهم البرجوازية) كانت قد ادركت بشكل او باخر (٥٣) فتصدى لحلها بعد هزيمة هذه الاحزاب واندحار اسسها الفكرية ، نفر من اخلص واصدق العناصر الثورية الباقية من هذه الاحزاب .

وهكذا فان منظمتنا وبعد ان تأثرت بهذه الظروف الموضوعية وبعد ادراك ضرورة تصفية وتصحيح الاسس الايديولوجية للحركة التحررية ، تمكنت من الظهور والنمو والتطور بكل خصائصها السياسية والايديولوجية . لكن هذه المنظمة ، منظمتنا ، لم يكن ممكنا ، بطبيعة الحال ، ان تبقى بعيدة عن التأثيرات السلبية والايجابية للنضالات السابقة . انها كانت المحصول المباشر والنتيجة المنطقية لنضالات شعبنا في الستينات ، لكنها كانت ، مفعمة بالتصميم على سحق الواقع المرير

من خلال استيعاب المهام السياسية والايديولوجية الجديدة وما كان بامكانها ان تنتزه ، وهي تطوي مراحلها الاولى ، عن تأثيرات الافكار السياسية والايديولوجية المثالية التي اتسمت بها تلك الاحزاب . وكان الكثير من رفاقنا ينتمون الى القواعد السابقة لـ «حركة تحرير ايران» لذلك كانوا يحملون شيئا من مخلفاتهم الفكرية والعقائد الدينية والمثالية الشائعة في هذه المنظمة ، رغم انهم كانوا قد قطعوا الكثير من صلاتهم الطبقية السابقة (٥٤) ، لذلك فانه من خلال ادراك المهام التي اشير اليها سابقا (بشكل نسبي ، طبعا) ما كان ممكنا ان تحظى الاطر السياسية ـ الايديولوجية لهذه الاحزاب وبقبولنا ، هذا من جهة ، ومن الجهة الاخرى ، لم تكن قد طوينا ومررنا بعد بالتجارب والتطبيقات اللازمة التي تؤهلنا لقطع جميع صلاتنا الفكرية بالمثالية ، لذلك فان افكارنا وعملنا احتفظا ببعض الصلات بالاراء القديمة والاساليب البالية للاحزاب السابقة (والتي هي انعكاسات مباشرة للواقع الطبقي لهذه الاحزاب) .

وفي خلال هذه الظروف ، وانطلاقا من وجهات النظر التي اسلفنا عنها ، شرعت منظمتنا في العمل السري الثوري .. ومنذ ذلك الوقت ، الى يومنا هذا ، نكون قد طوينا مراحل متعددة ، يمكن حصرها في خمسة فترات زمنية :

الفترة الاولى : تنحصر بين السنوات ١٩٦٥ـ١٩٦٨ ،

الفترة الثانية : تنحصر بين السنوات اوائل ١٩٦٨ ـ اوائل صيف ١٩٧٠ ،

الفترة الثالثة : تنحصر بين السنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧١ والضربة التي تلقيناها في ٢٣ آبان (وكذلك الضربة الاولى) وذلك باعتقال عدد كبير من قيادييتا وكوادرنا ،

الفترة الرابعة : من ضربة آب ٧١ الى ربيع ١٩٧٣ ،

الفترة الخامسة : من ربيع ١٩٧٣ وحتى الان .

ان هذه الفترات لا تمثل نقط المراحل المختلفة من نشاطنا السياسي ـ التنظيمي او العملي ، بل تعمل كمرآة عاكسة لمختلف المراحل التي مر بها نضوجنا الفكري والايديولوجي ، ولذا فان الاهتداء الى واقعيات هذا التحول الشامل فكريا وايديولوجيا ، يمكن ان يتحقق فقط من خلال دراسة هذه المراحل باكملها .

الفصل الثالث

دراسة مختلف المراحل السياسية ـ التنظيمية والايديولوجية التي مرت بها منظمتنا

الفترة الاولى

السنوات ١٩٦٥ ـ ١٩٦٨
فترة الاعداد والتعرف المبدئي على اساليب العمل السياسي السري

تتسم هذه الفترة التي تتميز بداياتها بانتقارنا الشديد الى التجربة سياسيا وتنظيميا وبفراغ سياسي وضياع استراتيجي ناجمين عن تتابع سريع في التطورات والقمع الدموي لانتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣ ، قبل كل شيء ، بالاستعدادات الذاتية ـ اي التعرف على اساليب العمل السري والثقافة الثورية العالمية ، والانكباب على دراسة وتحليل الاسلام كايديولوجية ودراسة مجمل النضالات السابقة . كان افراد منظمتنا يؤمنون ، من حيث الايديولوجيا ، بالعقيدة الدينية الاسلامية ، ويعزون اسباب اخفاق نضالات الستينات ـ خصوصا تلك التي تميزت بالطابع الديني ـ الى الاستنتاجات الخاطئة او المبتورة عن الاسلام من قبل قيادة هذه النضالات . في حين لو كانوا قد ادركوا عمق ثورية الاسلام وديناميكيته الذاتية المرنة لتقبل وقائع العصر ، لكان بوسعهم ايصال النضال الى نتيجته الظافرة ! كنا نصنع من الاسلام او الدين مفهوما مجردا ومنفصلا عن الحياة المادية والاجتماعية ونتصور بانه اذا كان الاخرون قد اخفقوا في تكييفه مع التطلعات الثورية اليومية وما استطاعوا التوصل الى جوهره المتطور ، فاننا نحمل مهمة التصدي لذلك . لكن تحقيق هذا الهدف ، في نظرنا ، كان يستلزم التعرف على الثقافة والتجربة الثوريتين على المستوى العالمي والتسلح بالبصيرة العلمية (٥٥) (حسب المفهوم الذي كنا قد كوناه لانفسنا عنها) ، اي نفس المهمة التي كانت القيادة الدينية لنضالات السنوات السابقة ، قد اغفلت الايفاء بها !

مع ان تحولا مثل هذا نحو ثقافة العصر وتجاربه الثورية (التي كانت ، في الواقع نفس النضالات الثورية لشعوب البلدان الاخرى المناضلة تحت لواء الماركسية ـ اللينينية) ، كان بعيدا عن الماركسية ـ اللينينية بالذات وفهمها فهما صحيحا بمسافة غير قصيرة ، لكنه كان ـ في نفس الوقت ـ دليلا على اتجاه وحركة جديدين في الثقافة والتفكير

الدينيين التقليديين ، الامر الذي يعد — الى حد ما — ظاهرة صحيحة (٥٦) بل وتقدمية ايضا ، ذلك لان الماركسية — اللينينية ، بل وحتى كلمة الشيوعية ، الى ذلك الحين ، لم تكن اخطر فحسب من ناقوس الموت واصابع عزرائيل بالنسبة للرجعيين الدينيين وكثير من الخونة المتسترين وراء مختلف الواجهات الذين دابوا (وحتى الان) على نهب الشعب والتواطؤ مع الفئة الحاكمة تحت شعارات الدين — وواقع الحال هو كذلك ! — بل ان جميع المنظرين الدينيين التقدميين الذين كانوا يدعون النضال ضد الطبقة الحاكمة الفاسدة والعميلة ، وجميع الفئات السياسية الدينية التي كانت قد برزت الى الوجود خلال العقود الاخيرة ، لم تتصدى قط حتى للمطالعة او الدراسة السطحية لهذه الافكار . لقد كانوا يعبرون عن معارضة عمياء وغريزية ضد الماركسية اللينينية ، بتأثير الدعاية الامبريالية على النطاق العالمي والدعاية المعادية للشيوعية التي يطلقها النظام العميل في ايران وكذلك انطلاقا من مصالحهم الطبقية التي كانت تعكس مصالح وافكار البرجوازية الليبرالية ، وفي افضل الاحوال ، الديمقراطيين من فئات البرجوازية الصغيرة . لكن المسألة لم تكن ترجع الى معارضة حقة من المثقفين البرجوازيين الصغار او الاعتراض الحتمي للماركسية — اللينينية من جانب البرجوازية ، بل ان مثل هذه المنظمات والمجموعات كانت قد اكتسبت نفوذا لا يستهان به في اوساط مختلفة من سكان المدن وخصوصا الشباب والمثقفين (وهذا يرجع ، على وجه الخصوص ، الى ان هؤلاء كانوا يستغلون نضالهم ضد السلطة في سبيل كسب الاعتبار والمقام بين افراد الشعب وتقوية مواقعهم الشخصية بينهم ، وكان العداء الشديد الذي يكنه الشعب نحو السلطة الحاكمة عاملا في اتاحة المجال لهم لاساءة الاستفادة من هذه المواقع) . كما ان النفوذ الذي اكتسبه هؤلاء مرده الى غياب منظمة وقيادة ثورية ماركسية — لينينية لسنوات طوال ... هذا اضافة الى ان الدعاية المسمومة التي شنها هؤلاء بشدة ضد الشيوعيين وتواطؤهم مع نظام الشاه العميل في عدائه المرير للشيوعيين قد تركا تأثيرات سلبية في المجتمع لا يجوز التقليل من شأنها . ومن هنا فان اتجاه منظمتنا نحو دراسة الماركسية — اللينينية وارتشاف معانيها ، الامر الذي اشرنا اليه سابقا ، كان خطوة عملية وايجابية نحو سحق العقد الدينية المتطرفة وافشال الدعايات المغرضة المسمومة التي كانت تعتبر اي تقارب مع

الشيوعيين — او الماركسية — اللينينية — ضرب من ضروب الكفر والزندقة والذنوب التي لا تغتفر ، مع ان هذا التحول لا يعد قبولا كاملا لهذه الافكار .

بطبيعة الحال ، لم يكن من شأن هذا السلوك الازدواجي ان يظل تقدميا الى النهاية ، بل كان قابلا للتحول ، في الظروف اللاحقة ، الى شيء مضاد لنفسه ، اي الى عامل رجعي يسد الطريق امام مسيرة النمو وانتشار الماركسية — اللينينية . لذا فان تقدمية التحرك الايديولوجي للمنظمة ، تقف على نفس الاوضاع والادوار التي كان يمكن لمثاليتنا الكفاحية والاكثر واقعية ان تتولاها في النضال ضد المثالية المساومة والغارقة في الرجعية التي عاشت في اوائل السبعينات . وقد يكون هذا جزءا من نفس المعنى التاريخي المنطوي على ظهور الفكر الديني الجديد الذي كانت منظمتنا تعتبر ممثلته وموجدته .

على اي حال ، تستند المفاهيم التي كان الاعتقاد بها يميز التفكير الديني الموجود في منظمتنا عن التفكير الديني الشائع في المجتمع — بما في ذلك اكثر فروعه تقدمية — وتضعه ، في الظاهر ، في مرتبة اعلى ضمن الاستنتاج العلمي والتقدمي السياسي الاجتماعي ، على الاسس التالية :

١ — الايمان بمبدأ التطور الشامل العالمي

ان الايمان بهذا المبدأ في الاستنتابات السياسية — التنظيمية ، من قبل المنظمة كان ذا تأثير بالغ ، ولقد ورد في مقال بعنوان « ما هو النضال » (من المقالات الداخلية الاولى التي تناولت استراتيجية المنظمة في تلك المرحلة ١٩٦٥) ما يلي :

« ... عموما ، نحن نعرف النضال من وجهة نظرنا على الوجه التالي : النضال هو رفع اي عائق من امام تطور البشرية ، والعائق القوي الان هو الامبريالية . ان التطور غير ممكن ما دامت الامبريالية متسلطة ، ولهذا السبب بالذات فاننا نعرف النضال في العصر الحاضر بانعتاق الشعوب من براثن الامبريالية ... »

وهكذا ، فان السند الايديولوجي **لاعمق** هدف سياسي للمنظمة يستند على قبول مبدأ التطور ، اولا ، ويحدد العدو الرئيسي ، اي الامبريالية ، على ضوء مثل هذا المفهوم الاساسي ، ثانيا (٥٧) .

٢ — استيعاب علمية النضال .

يذكر نفس المقال في مكان اخر حول هذه المسألة :

« ... النضال فن ، ويجب اعتباره احد اعقد الفنون البشرية ، لانه يتعامل مع المجتمعات البشرية ... ان علم النضال هو علم تحرر الشعوب من براثن الامبريالية ... » (٥٨)

ومن هنا، فان الاعتراف بهذا المبدأ يقتضي التسلح بمبادىء المعرفة العلمية ودراسة تاريخ النضال والتجارب الثورية للشعوب الاخرى .. وتشخيص العدو (الامبريالية) ، وان استيعاب هذه الحقائق ، يحمل في طياته النتائج التالية للمنظمة :

ا ــ حل مسألة التنظيم، اي حل مسألة التنظيم السري ــ السياسي واستعمال القوانين المتقدمة في قيادة وضبط منظمة ثورية على ضوء تجارب المنظمات والاحزاب الثورية الماركسية (المركزية الديمقراطية ، النقد والنقد الذاتي ، ضرورة تشجيع الصراع الداخلي والنضال ضد النزعات الذاتية) ، اي حل مسألة لم يسبق ان تصدت لها اية منظمة او حزب ديني سابق (النموذج البارز هو طريقة العمل في حركة تحرير ايران) .

ب ــ استيعاب ضرورة دراسة المصادر الماركسية والتعرف على الثقافة الثورية العالمية .

ج ــ استيعاب ضرورة التحليل الديالكتيكي للمجتمع ، والتاريخ واستعمال مبادىء المعرفة العلمية في فهم وتحليل القضايا والظواهر المختلفة (طبعا في حدود نفس المعنى او المفهوم المثالي المحدود الذي سنوضحه فيما بعد) .

٣ ــ استيعاب مسألة الاستغلال ، والحياة المادية للانسان والدور الخلاق الذي يلعبه في التاريخ ... الخ .

[سنتحدث في مكان اخر ، عن عمق درجة فهمنا في ذلك الزمان لمسألة الاستغلال ــ بمفهومه الواقعي العلمي ــ والحياة المادية للانسان . لكن الاهتمام الاصولي الذي يعار لهذه المسألة ــ على تنصه وسطحيته ــ من شأنه ان يهيء لحل كثير من المشاكل والمعضلات التي تعاني منها الحركة ــ خصوصا اذا كانت هذه الحركة من النوع الذي تشكل في خضم النضالات الدينية] . حول هذه المسألة نقرأ في نفس المقال :

« ... البشر خلقوا ، في الاساس ، محتاجين وتشكل الحاجات الطبيعية الدوافع الاصلية للتطور . ان الامبريالية تقف ضد تحقيق

اماني البشرية من خلال استغلال المجتمعات ويستحيل فهم المجتمع دون معرفة العلاقات المتحكمة في المجتمعات والفهم الصحيح لعملية الاستغلال والحرمان ... »

(كتب هذا المقال قبل عشرة سنوات ، اي في سنة ١٩٦٥ ، وان نظرة الى كيفية طرحه لقضية الاستغلال ، تكفي لمعرفة تناوله الناقص للغاية وغير العلمي لهذه القضية) .

٤ ــ استيعاب ضرورة الاهتداء بالنظرية الثورية وبيان استراتيجية وتكتيك النضال

اتخذ هذا المفهوم الذي كان يستند على الاغلب ، على التجارب والاستنتاجات الابتدائية لمنظمتنا عن الكفاحات السابقة ــ لكن بشكل صحيح نسبيا ــ شكلا اكثر علمية وعصرية من الناحية النظرية ، ومن هنا فان المقولة النظرية اللينينية القائلة بأن « لا حركة ثورية بدون نظرية ثورية » ، اصبحت موضع اهتمام المنظمة التي اتخذت منها مادة رئيسية في برنامج عملها ، على الرغم من ان المقولة لم تستوعب على شكل قانون نضالي عام ومن خلال معناها ومضمونها الماركسي العميق، بل فهمت فقط بمعناها ومضمونها السطحي . في المقال « ما هو النضال » وتحت عنوان « ما العمل اليوم ؟ » نقرأ :

« ... اننا نعتقد بأن جميع ما اكتنف النضالات السابقة من نواقص مردها الافتقار الى ثقافة علمية صحيحة ، لذا فاننا نعتبر اي برنامج لاعداد الذات في هذه المرحلة من التاريخ ، عملا تقدميا وثوريا على شرط الا يستمر العمل به لمدة غير محدودة اذ يصبح عندها عملا رجعيا ومضرا ومعيقا على وجه الخصوص .. اننا لا نقر لانفسنا اية نقطة انطلاق غير ذلك (الدراسة واعداد الذات نحو وضع الهيكل النظري للعمل) ... »

من خلال قبول هذه المبادىء والمقدمات ، كنا نتصور بانه ليست هناك اية تناقضات غير قابلة للحل بين القبول بوجود الله ، بين الاعتقاد بشيء غيبي ــ المتجسد في خالق الاشياء وصاحب الارادة الفورية التنفيذ « كن فيكون » ــ والمفهوم العلمي للاستغلال ، اي قبول مبدأ التطور الديالكتيكي للعالم وضرورة الفهم العلمي للظواهر والتاريخ ! كما ان التناقضات التي كانت تبرز امامنا بين هذه المفاهيم من الوهلة الاولى ، لم تكن ، في راينا ، ذات جوانب اساسية (في الواقع ، لم تكن تملك الاستعداد الكافي لتشخيص هذه التناقضات) ، وكنا ننسبها الى

عدم فهم الماركسيين لجوهر الاسلام الحقيقي من جهة ، والى الفهم المتعصب وغير العلمي لتجارب العصر الثورية من جانب الفئات الدينية ، ومن جملته تطرهم المنطرف من الماركسية ــ اللينينية .. كنا نتصور ، من خلال هذه التحليلات ، بأن الانحرافات السياسية والاخطاء التنظيمية لـ« حركة تحرير ايران » والجبهة الوطنية والافراد والمجموعات الدينية وغير الدينية المناضلة تعود بالدرجة الاولى ، الى ضعف اساليب هذه الجهات اي نقص التشخيص والدراسة والتجربة الثورية لديهم . ولهذا السبب ما كان بوسعنا حينئذ ان ندرك العلاقة بين **ايديولوجية** وتفكير فرد (او منظمة) **وحياته الاجتماعية وموقعه الطبقي** وكذلك العلاقة بين السلوك السياسي واساليب العمل التنظيمية ، ووجهات النظر الايديولوجية الاساسية . ان « عدم الفهم » هذا ، بطبيعة الحال ، كان يستند الى خلفيات معينة في اسلوب تفكيرنا ووجهات نظرنا الايديولوجية الاساسية التي افتقدنا البصيرة اللازمة ــ في المرحلة الجديدة وخلال عملية التطبيق الثوري في منظمتنا ــ لفهم التناقضات العميقة التي تفصل بين المعاني الحقيقية لتلقي هذه المبادىء (المبادىء التي اسلفنا ذكرها هنا) والاعتقادات الدينية وهذا مما كان يؤدي الى الفهم الناقص وغير العلمي والمثالي من قبلنا لهذه المبادىء ، ولنأخذ مسألة الاستغلال على سبيل المثال :

استنتاجان متناقضان ، علمي وغير علمي لمسألة الاستغلال
ان الفهم العلمي للاستغلال لا يمكن ان يتحقق من دون فهم المادية الديالكتيكية

وفقا للتعليمات والتوجيهات التي كانت تصدر من المنظمة ، ووفقا لجميع مثلنا الثورية ، كنا نؤمن ايمانا راسخا بأن نضالنا الثوري يجب ان ينتهي اخيرا الى الالغاء الكامل لاستغلال الانسان للانسان . كنا قد امنا باخلاص بأن مصدر جميع المظالم والمفاسد الاجتماعية ، ومنشأ جميع النواقص والتعاسات المتحكمة بمجتمعنا هو سلطة الطبقة الحاكمة الاستغلالية على الطبقات الكادحة ... وكنا نطالع الى جانب ذلك ، نظريات ماركس حول مسألة فائض القيمة في المجتمع الرأسمالي ونكن لها التأييد والقبول (سنرى فيما بعد ان التأييد والقبول المذكورين افتقرا الى الاساس العلمي اللازم واستندا الى العاطفة الى حد بعيد

وبالتالي كانا غير علميين ، شأننا في ذلك شأن كثير من الفئات والمجموعات الثورية غير الماركسية) متصورين بأن التفكير الاسلامي لم يكن يعارض باي شكل من الاشكال ازالة الاستغلال والقضاء على الطبقات فحسب ولا يشكل عائقا امام تحقيق عالم لا طبقات فيه ، ليس هذا فحسب بل انما يعالج من خلال وضعه لمجالات اوسع من التطور الاخلاقي والمعنوي امام الانسان محدودية النظرة المادية للماركسية!!في نفس هذا العالم الذي لا طبقات فيه !! غير اننا في الحقيقة لم نكن ندرك ادراكا صحيحا ، المفهوم الواقعي والعلمي للاستغلال الذي يفهم فقط بالاستناد الى اساس مادي وفي حقبة تاريخية معينة ، ولا المعنى الحقيقي للعالم الذي لا وجود للطبقات فيه ...

هذه ، بطبيعة الحال ، كانت حقائق مستندة على وقائع ثورية لعصرنا ، اي على الافكار الماركسية اللينينية وعلى النضالات الثورية للجماهير الرازحة تحت نير الظلم ضد الرأسمالية العالمية ، مصاصة الدماء . لكن هذه الحقائق لم تكن قابلة للفهم والتطبيق ، بالطبع فقط لتوفر حسن النية والمشاعر الطيبة والانسانية . وقد ابتعدنا عن فهم التناقض الذاتي لهذه المفاهيم (الفكر الديني والفكر العلمي) بحيث اننا كنا نرفع حتى في سنة ١٩٧١ ، من اجل ابراز اهدافنا السياسية ــ الاجتماعية الطويلة الامد ، شعار « المجتمع الموحد اللاطبقي » ، الذي يعكس في مضمونه جميع التناقضات المذكورة سلفا بكل دقة . ان هذا الشعار الذي حظي اخيرا بترحيب كبير من جانب المثقفين اليساريين الدينيين والمجموعات النضالية العفوية كان دليل ازدواجية صريحة في معتقداتنا الايديولوجية وعلامة على عدم ادراكنا للتناقض الموجود بين اجزاء هذه الايديولوجية. وبوسعنا ان نكشف اعماق هذا التناقض بكثر.

ان التوحيد ، في معناه الديني ، الذي كنا نحن ايضا نفهمه في اطاره (لا معناه العام والفلسفي) (٥٩) يعني الاعتقاد بمبدأ كون المنشأ الاصلي للعالم الذي نعيش فيه هو قوة غير مادية وذات عالم بكل شيء وقادر مطلق وهو خالق البشر وموجد الكون والفساد وجميع التغييرات والتطورات . ويخضع العالم وكل ما يرتبط به الى ارادته الفائقة المتجسدة في عبارة « كن فيكون » ولا يخرج اي شيء عن نطاق علمه وقدرته .. غير ان هذه القوة اللامادية ، وهذا الروح الشامل وهذا الشعور الاول ، واحد ، لا شريك له ولا نظير . هذا هو معنى

التوحيد في القاموس الديني ، وهو شيء مشترك يجمع بين الاسلام واي دين اخر مؤمن بالتوحيد .

ومن البديهي ان لا يترك توحيداً مثل هذا ، مجالا للدور الحاسم الذي تلعبه التحولات الداخلية للظواهر المختلفة ذلك لانه يحدد المسار النهائي ومصير جميع الظواهر من خلال العمل المباشر والارادة القاهرة التي هي فوق جميع الظواهر (ومن هنا يتضح ضرورة طرح مسألة الحياة الاخرى) . ومن الطبيعي ان لا يكون هناك اي نوع من نقاط الالتقاء بين مثل هذا المصير والمجتمع اللاطبقي الذي يدعو اليه ماركس بل وان لا يكون هناك اي تقارب بينهما ، ذلك لان المسألة لا تتوقف على توفر حسن النية ! او الكلمات المنمقة والعبارات الرنيقة ، بل تتوقف على التحليل العلمي للقضايا والظواهر ويستند مفهوم ماركس للمجتمع اللاطبقي ، بدقة ، على سلسلة من الاحكام المادية والاستنتاجات العلمية والنظرية المستندة ، هي الاخرى ، على نشوء الطبقات الاجتماعية من بطن مشاعية بدائية ، ثم نمو وتطور قوى الانتاج على مدى القرون واشتداد الصراع الطبقي بين الطبقات الاجتماعية المتصارعة الامر الذي ادى الى نشوء اشكال جديدة واكثر جدة من العلاقات الانتاجية بدا بمجتمع العبودية وصولا الى المجتمع الراسمالي ثم التحول الكيفي والحتمي نحو المجتمع الاشتراكي والدخول في المراحل والخطوات التمهيدية نحو المجتمع الشيوعي ، ومن شان هذه العملية لوحدها الغاء الاستغلال وتحقيق المجتمع العالمي الذي لا وجود للطبقات فيه .

ان هذه الاستنتاجات تستند ، ، بشكل دقيق ، على الفهم المادي للتاريخ (والعالم ايضا) بل ولا يمكن التوصل الى مثلها دون الاستناد على مثل ذلك المنهاج ، وعلى ضوء هذا الفهم ، يعتبر نمو وتطور القوى الاجتماعية حصيلة للتناقضات الاساسية المتفاقمة في هذه المجتمعات وحصيلة للنضال الطبقي الدائر في رحمها . اما محرك التحولات الاجتماعية فليس الفرد المختار (ما فوق الانسان او ما دون الله منزلا) ولا هو بالايديولوجيات والافكار السماوية النازلة على سكان الارض ، اي الايديولوجيات التي هي فوق تصور وادراك الانسان والافكار الغريبة على حياته الاقتصادية والاجتماعية ، بل انما هو الضرورات الموضوعية الاساسية (المستقلة عن الارادة الفردية لبني البشر) والمرتبطة بشكل عام بمسألة الانتاج ، لذلك فان لهذه التحولات

بخلاف منطق التوحيد الديني ، مصدرا اجتماعيا داخليا ولا يؤثر عليه اية ارادة قاهرة ، او عقل واسع او احساس مطلق ... خارج هذا العالم . وعلى نفس المنوال فان سائر النظريات العلمية والثورية السياسية — الاقتصادية (مثل القوانين الاقتصادية التي تحكم المجتمع الراسمالي ، تناقضه الرئيسي وازماته الذاتية ، قانون فائض القيمة ، صور استغلال البرجوازية للطبقة العاملة كما وكيفا ، القوانين المتعلقة بالمسار المتصاعد للتناقضات الداخلية للنظام الراسمالي التي تؤدي ، في اخر الامر ، الى فناء هذا النظام وتولد حكم البروليتاريا اي نشوء مقومات زوال الطبقات ، الدولة .. والغاء الاستغلال) ، ليست مقولات او احكاما نزلت ، على حين غرة ، من السماء ، ومن اجبر بالقول بالقبول والايمان بها ، كان يؤيد بالقول قيام المجتمع اللاطبقي والالغاء الكامل للاستغلال مثلا ، وادرك مفهوما في الواقع وغدا مستعدا للعمل نحو تحقيقها ! (او اصبح مؤهلا لذلك) . وكما اسلفنا القول ، فان هذه المقولات لا يمكن فهمها والايمان بها من دون فهم هذه الاسس والايمان بهذه المقدمات (٦٠) ثم فهمها فهما عميقا ، وذلك لانها مسبوقة بسلسلة من الاحكام المادية وتستند على الفلسفة العلمية والمادية الديالكتيكية . صحيح ان السعي لتحقيق مجتمع لا وجود للطبقات فيه ، ولا مجال لاستغلال الانسان للانسان ، ولا اثر للظلم والفساد فيه ، انما هو طموح انساني ، لكن استيعاب هذه المفاهيم والايمان بها ان لم يستند على المقومات العلمية وان لم ينر العلم الطريق نحو تحقيقها (والسراج المنير هنا هو الماركسية اللينينية وحدها ، لانها تستند على المادية الديالكتيكية) ، فان المسألة لن تغدو غير آمال عريضة كالتي راودت « طوباوي » القرن الثامن عشر واوائل القرن التاسع عشر (الاشتراكيين الطوباويين) والتي شهدنا مصيرها الاسود في المزائم التاريخية للنظريات الانسانية الخيالية اللاعلمية التي روج لها كل من آفون وفوريه وسان سيمون وغيرهم .

ومن هنا ، فان الاستنتاج الذي كنا نخرج به عن مسألة الاستغلال ونظرية فائض القيمة او الصراع الطبقي وبالتالي المجتمع اللاطبقي (ورغم اننا كنا درسنا البعض من هذه النظريات وناقشناها مرات ومرات) ، ما كان ممكنا ان يكون استنتاجا علميا ماركسيا نابعا من الفهم العميق للمادية الديالكتيكية — اي مصالح البروليتاريا الاكثر جوهرية — ولان هذا الاستنتاج يستند بالاساس على المعتقدات المثالية ،

فقد كان مفعما بشكل عميق بالمشاعر البرجوازية الصغيرة الامر الذي حال دونها ودون عكس طابع علمي للمفاهيم التي اسلفنا عنها . ولنفس هذه الاسباب ، فان شعارنا المبني على « المجتمع الموحد اللاطبقي » الذي رفعناه في سنة ١٩٧١ ، لم يكن هو الاخر ، **الشعار الصحيح الصائب الذي يجدر بالشعب النضال من اجل تحقيقه** ، على رغم الآمال الخيرة والانسانية التي كان يفهم منها ، ذلك لانه لا يكفي للوصول الى هدف ثوري ، فقط حسن النية والايمان العاطفي والشفهي به ، وحتى العمل في نفس هذه الحدود ، بل يجب التسلح بالفكر العلمي الثاقب . نعم ، لم يكن هذا الشعار صحيحا لانه كان يخلط ما بين شيئين متناقضين في الاساس ، بين فلسفتين ، بين تفكرين واسلوبين في العمل — يناقض كل منهما الاخر بشدة — . وكان يسحب ستار الغفلة على الاختلاف الصارخ والتناقض الفاحش بينهما ويخرق ، لهذا السبب ، الحد الفاصل بين الحقيقة والباطل ، وكان يطرح ، اضافة الى ذلك ، مفاهيم (العالم الذي لا طبقات فيه) من خلال منطلق المثالية الباطل والمناقض للعلم (التوحيد الديني) ، تلك المفاهيم التي لها اساسها المادي ولا يمكن فهمها وتحقيقها الا من خلال هذه الاسس ، وهذا مما كان يؤدي الى افساد المعاني الحقيقية لهذه المفاهيم وافراغها من محتواها الاصلي تحويلها الى اشياء خالية من اي معنى ومقولات محرفة مناسبة للتحريفات المخالفة للعلم . ولم يكن هذا الشعار ينبع من الصدق ، لسبب واضح ، وهو انه لم يكن عمليا ... ان المجتمع الموحد يميزه شيء سطحي واحد (هو الاعتقاد بالله واحد) — وهذا المميز البسطحي يستند الى منطلق مثالي — اذ يشكل آفاته العملية جمعا من المؤمنين الاخيار والقديسين المنزهين عن اي نوع من الخطايا والذنوب والمعاصي .. وهذا منطق يفتقر ، كما هو واضح ، الى اي سند علمي ، وتتعارض هذه النظرة المثالية وهذه الآفاق العملية بشكل علني مع الوقائع المادية لاي مجتمع من المجتمعات ومع واقع التاثير الحاسم الذي تتركه العوامل الاساسية في الحركات الاجتماعية ، ومع واقع التناقضات الداخلية المحتدمة داخل اي مجتمع من المجتمعات ومع واقع انبثاق التناقضات الداخلية للانسان من مناشيء مادية وطبقية ... الخ . انه شعار ، لا يمثل غير سراب امام الاعين البشرية الحائرة في حين وفي مقابل ذلك ، فان المجتمع اللاطبقي هو تجريد علمي محدد ناتج عن تحليل علمي للواقع الموجود في المجتمعات

والصراع الطبقي الجاري فيها .

وهكذا ، فانه لا يمكن طرح هاتين النظرتين ، هذين المثلين وهذين الشعارين ، اللذان يستند احدهما على الافكار الخيالية الواسعة والاحلام والآمال المثالية التي تراود الطبقات المتوسطة ، والثاني على التحليل والدراسة العلمية للوقائع الاجتماعية المحددة وترتكز على التجارب الموضوعية والتاريخية لنضالات الشعوب المتحررة من العبودية والمسيرة المتصاعدة نحو الظفر للقوى الثورية والانحياز المتصاعد لهذه الشعوب نحو الاشتراكية العلمية (فيتنام ، الصين) ، معا وكشعار واحد .

ان ذكر هذه الامثلة كان يحظى بالاهمية ، لانها بينت كيف وضع الحجر الاساسي لفكر المنظمة وايديولوجيتها بمضمون غير متجانس — بل متناقض — وكيف ان الجانب السلبي من هذا التناقض ترك آثاره السلبية والخاطئة على حياتنا السياسية التنظيمية وحتى السنوات الاخيرة ... على اي حال ، كانت المنظمة تتابع اعمال التثقيف والاعداد على ضوء مثل هذه المعتقدات .

بروز التناقضات الايديولوجية في المنهج التثقيفي للمنظمة

بعد ثلاثة سنوات من العمل وعلى الرغم من المطالعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية المكثفة للغاية ، وتحليل سلسلة من الاستنتاجات المتعلقة بالنضالات السابقة ، ووضع بعض الضوابط لمواصلة العمل السري التنظيمي (٦١) بالرغم من كل ذلك كانت قيادة المنظمة تعلن في تحليل لها حول حصيلة ثلاثة سنوات من العمل بانها لم تتوصل بعد الى احدى اهم الاهداف المرحلية ، الا وهي كسب الرؤية العلمية والقابلية على التحليل العلمي من جانب الكوادر .

ولم يكن هناك اي شك بان هذا الاخفاق كان هو عين الواقع ولم يكن هناك اي شك حول هذه المسألة لوجود صور صارخة تدل على عدم الكفاءة السياسية للكوادر وعدم قابليتهم على تحليل الاوضاع الاجتماعية السائدة تحليلا علميا ، وضعفهم في تنفيذ المسؤوليات التنظيمية ... لذلك فالمسألة لم تكن تتوقف على الاعتراف باخفاقنا في تحقيق مثل هذا الهدف ضمن النهج المرحلي ، بل كانت المسألة الاساسية

تتركز في معرفة السبب الاصلي للاخفاق . هل كان ذلك يعود الى عدم كفاءة الرفاق انفسهم او سلبيتهم نحو التثقيف واكتساب التجارب ؟ ام ان نواقص الوسائل والاساليب التثقيفية وضعف الامكانيات التنظيمية هي التي ادت الى مثل هذا الاخفاق ؟ ام ان السبب الرئيسي كان يكمن في شيء آخر ، في محتوى التثقيف نفسه وبالتالي في محتوى الايديولوجية المتسلطة على المنظمة ؟

وانه لما يثير الاسى ، ان التقرير المذكور لا يتطرق الى هذه الناحية قطعا ولا يسلط الضوء الكاشف على السبب الرئيسي للاخفاق ويكتفي فقط ببعض التوصيات التربوية والتنظيمية وتغيير بعض المواد التثقيفية، وهذا مما ادى الى عدم اجراء اي تحليل مركز لهذه المسألة وبالتالي عدم الاهتداء الى الدليل العاجل للوصول الى المكمن الاصلي لاسباب الاخفاق — اي المحتوى والمضمون الاساسيين للتربية السياسية والتنظيمية في المنظمة حيث تمثلك المثالية جذورا راسخة ومحددة — وفي هذا الوقت بالذات ، بدات امواج جديدة من الضغط تندفع باتجاه التقارب الفكري ، وتكوين الصلات العملية مع العناصر او المجموعات الماركسية اللينينية وذلك بمبادرة من بعض الكوادر الشابة في المنظمة ، الذين كانوا يمثلون (بشكل عفوي) اتجاهات اجتماعية حية وبشكل انشط من غيرهم . لكن هذا التحرك الذي كان قد انتشر بسرعة لما كان يتمخض عنه من نتائج مفيدة ، وبشكل مباشر ، في حل القضايا والمشكلات السياسية — التنظيمية التي كانت تجابه المنظمة ، جوبه بمقاومة بعض العناصر القيادية المسيطرة ، من طرف، وارتبط بحدوث حادث طارىء اخفق الرفاق في تحليله وربطه ودراسته دراسة جيدة وصائبة (وهذا الخطأ هو الاخر كان ذا صلة وثيقة بوجهات النظر الايديولوجية لهؤلاء الرفاق) من طرف آخر ، الامر الذي الحق ضررا كبيرا به واخره عن انجاز مهامه . الحادث كان ، اعتزال احد العناصر القيادية العليا للمنظمة عن النشاط الثوري وارتمائه في احضان الحياة البرجوازية الصغيرة . ان هذا الحادث الذي كان فجائيا وعجيبا لدينا في ذلك الحين(٦٢) ، وخصوصا لان هذا الشخص لم يكن يحمل افكارا دينية قوية ، اعطى ذلك النفر في قيادة المنظمة الذين كانوا يعتبرون اية افكار خارج نطاق الدين ، نوعا من الانعطاف الخاطىء والمضر بالحركة الثورية الايرانية ، اعطاهم مبررات كافية للتفكير في اتخاذ اجراءات تؤدي الى حسر الموجة الجديدة واعتبارها عاملا

مضعضعا للفكر الديني . . . وهكذا فان تحليل اسباب سقوط وانحراف هذا الفرد، يشير اكثر ما يشير الى افتقاره الى الايمان العميق الديني وميوله اللا دينية ، ويبين بانه خلال نشاطه في المنظمة لم يكتف فقط بعدم الرغبة بمطالعة وتمحيص النصوص والمقالات الدينية الخاصة بالمنظمة ، او القرآن ، بل لم يتناول بالمطالعة المقال الايديولوجي الاساسي (الخاص بالمنظمة في ذلك الوقت) الذي كان قد هيء من قبل احد القياديين الاخرين في المنظمة ،ومن خلال ذلك ، كانت القيادة والفئة المتمسكة بالدين ذات النفوذ فيها ، يؤكدون على ضرورة العودة مرة ثانية الى عمل اعمق حول المبادىء الاسلامية و « صياغة الايديولوجية الثورية للاسلام » بحيث يمكنه حل المعضلات وازالة الميول المعادية للثورة او عدم الاعتناق بالدين . . . التي قد تتولد لدى المناضلين .

بطبيعة الحال ، لم يكن هناك شك في عمق النواقص الايديولوجية ونقاط الضعف العميقة في الدوافع الثورية ، التي كان يعاني منها هذا الفرد . الامر الذي ساقه ، بالذات ، الى انتخاب حياة سخفة برجوازية صغيرة . . . لكن مصدر ومضمون هذه النواقص ونقاط الضعف لم يكونا، بالتأكيد ، نفس الشيء الذي كنا نصوره حينئذ في الافتقار الى الايمان وضعف الاعتقاد الديني . ان نقاط الضعف هذه كانت تنبع من علاقاته الطبقية وجوهر دوافعه المعادي للجماهير ، الفردي والانتهازي الذي يبين مغزى التحاقه بالحركة ، واستنادا الى ذلك ، فان نواقص هذا الفرد وضعفه الايديولوجي كانا ، على وجه الدقة ، ينبعان من واقعه الطبقي ومن مصالح شخصية مناقضة لمصالح الحركة والمنظمة ، ولنفس السبب،فان نقاط الضعف هذه،التي لم تكن تعود الى ضعف في الايمان والمعرفة بالدين ، لم تكن قابلة للحل ، ايضا ، بحقن روح الايمان والعقيدة الدينية في حاملها، ذلك لانه ، اذا كان صحيحا بان الايديولوجية (اية ايديولوجية)ليست شيئا مجردا ومنفصلا عن الحياة،وعن العلاقات الاجتماعية والطبقية السائدة ، واذا كان صحيحا ان التثقيف الايديولوجي لا يعني اساسا ، حفظ القضايا ووجهات النظر عن ظهر قلب وحتى استيعابها ، بل يعني التغيير في نمط الحياة وبالتالي نمط التفكير والنظر الى القضايا ، فانه ما لم يتم تغيير في نمط حياة الفرد وتصرفه الاجتماعيين تغييرا مناسبا ، وما لم يشن نضال حاسم وحازم ضد دوافعه الفردي المنحرفة وفهمه الخاطىء للقضايا السياسية —

الاجتماعية واساليبه التنظيمية الخاطئة ، كيف يمكن النظر الى مطالعة للنص الديني الفلاني ، بالبحوث المختلفة حول قوة الايمان وروح الفداء ...على انها نوع من التثقيف الايديولوجي ؟ وهل تعني «الايديولوجية» التي لا تمت الى الظروف الاجتماعية وقاعدتها المادية بصلة ، اي شيء من الناحية المبدئية ؟

على اي حال ، لم يحقق هـذا الحادث فقط ، وقضايـا ووقائـع اخرى ذات علاقة بالمنظمة هذه المسالة واخفاق في تنفيذ المنهج التثقيفي، على سبيل المثال في توضيح معنى « الايديولوجيـة » لنا كشيء فوقي صرف مرتبط بالحياة المادية والطبقية ، لا شيء مطلق ومتافيزيقي ، ولم يخفق فقط في استرعاء انتباهنا الى اساس ومحتوى التثقيف الايديولوجي للمنظمة بدلا من انشغالنا بالاسباب الفرعية والثانوية ، بل ان الدعائم المتالية الايلة نحو التضعضع والنخور ، اكتسبت التوطد والقوة بتاثير حركة جديدة استمدت قوتها واستنادها من القمة ، واصبح لهذه الدعائم مبرر نظري ثم صب بمرور الوقت ، في النصوص والمقالات والبحوث ايضا . هذا حدث ، من الناحية العملية ، منذ اوائل سنة ١٩٦٩ .

الفترة الثانية
اوائل سنة ١٩٦٨ الى اوائل صيف ١٩٧٠

(نشوء حركة ثقافية حديثة الطراز ، فترة نمو وتوسع المنظمة ، تدوين الايديولوجية الاسلامية الثورية)
(التحضير للبدء بالعمل المسلح)

تتميز هذه الفترة بنوع من الانتعاش في اوساط المثقفين اذ بـدات هذه الاوساط بالتعرف على مضض رويدا رويدا على القوانين المعقـدة للعمل التضالي في ظل الظروف الارهابية الدكتاتورية التي اتسمت بها سنوات الستينات . ولدى اقتران هذا الانتعاش الذي هو ، قبل كل شيء ، نتيجة مباشرة لاشتداد وطأة دكتاتورية البرجوازية الحاكمة في ايران وانكشاف الجوهر المعادي للشعب للبرامج الاصلاحية التـي يطرحها النظام الحاكم بل وحتى الهزيمة الشنعاء لكثير من شعاراتهـا السابقة ايضا ، تقول لدى اقترانه وتقاربه مـع الاوضاع العالمـة للمنطقة المتسمة بالحدة وخصوصا اكتسابه التاثير الكبير من النضال الثوري للمنظمات الفلسطينية ضد الامبريالية والصهيونية (ان نضال القوى الثورية الفسطينية الذي بدأ بالتصاعد بعد حرب حزيران ٦٧ ، كان يترك مع اشتداده وتوسعه آثارا اعمق واوسع في بلادنا ويتـرك تاثيرات ثورية كبيرة على الفئات الوسطى والدنيا في المدينة ومن بينهم المثقفين والطلبة ، فيتحول الى قوة منطلقة من عقالها ضد النظام الحاكم في المجتمع كان من شانها ان تتحول الى الاحتياطي الاول للكفاح الثوري المطليعي).

ان انعكاس هذه الاوضاع في مجتمعنا يظهر اولا في نمو كمي سريع وبارز (ازداد عدد اعضاء المنظمة في فترة اقل من سنة ونصف السنة — اي من ابتداء سنة ١٩٦٩ الى اواسط سنة ١٩٧٠ تقريبا — الـى الضعف نسبة الى السنوات الثلاث المنصرمة) ، وثانيا في تشخيـص نضوج الظروف اللازمة للعمل المسلح وبالتالي ضرورة وضع برنامج ستراتيجي محدد .

وفي مستهل نفس هذا العام (سنة ١٩٦٩) رسمت ، خلال جلسات متتالية لقيادة المنظمة والتي انعقـدت في مدينـة تبريـز ، المخطط الاساسي للعمل في الفترة اللاحقة اي بدء الكفاح المسلـح (علـى

شكل عمليات مسلحة في المدن ، في بداية الامر) والمرحلة التحضيرية ، اي بدء تهيئة مستلزمات الكفاح المسلح الشامل ، ولقد وضع المخطط موضع الدراسة والبحث من جانب العديد من حلقات الكوادر لمدة عدة اشهر ، ثم جرت صياغة الاستنتاجات المستقاة من هذه البحوث في اوائل سنة ١٩٧٠ بشكل منظم ومنسق (برنامج التدريب العملي للكوادر وارسال بعض العناصر المهيئة الى فلسطين لتلقى التدريب العسكري هناك والقضايا المتعلقة باعتقال بعض الرفاق في دبي التي ادت الى اول عمل عسكري تنفذه المنظمة في تشرين الثاني (نوفمبر ١٩٧٠) ، اي مخطط اطلاق سراح الرفاق الاسرى ، مخطط السيطرة المسلحة على الطائرة المقلة للرفاق المذكورين وتغيير اتجاهها الى العراق) .

وهكذا ، فانه في وقت كانت المنظمة تتوسع في جميع الاتجاهات وتجد امامها امكانيات كامنة وفعلية كبيرة ، وفي وقت كانت جد بع الادلة ومن بينها دراساتنا الستراتيجية بالذات ، تشير الى وجوب المبادرة الى العمل فورا ، لكن وجود النواقص والعقبات الموروثة من اخفاق برنامج التثقيف والتدريب للمرحلة السابقة والتي عرقلت اكتساب الكوادر للخبرة اللازمة والقابلية الضرورية للعمل التنظيمي السياسي ، جعلت من المبادرة الى اي عمل ، في **الظاهر** ، متوقفا على رفع هذه النواقص .

المسألة هنا لم تكن ، بطبيعة الحال ، مقتصرة على معالجة مشكلة تربوية نضالية بسيطة او انتخاب هذا الاسلوب التثقيفي او ذاك ، او مطالعة هذا الكتاب او ذاك التحليل السياسي و ... ان فشل واثبات عدم صواب مسيرة ثلاثة سنوات من العمل التثقيفي والتربية النضالية — على رغم جميع المكاسب التي كانت قد تحققت على اصعدة التعرف على اساليب العمل السري وازدياد عدد المنتمين الى المنظمة .. الخ — ان افتقار الكوادر ، بعد ، الى القابلية السياسية اللازمة ، وقابلية التحليل والاستنتاج المناسبة عن الاوضاع وعدم وصول التعليمات والتوجيهات السياسية والتنظيمية الصادرة من المسؤولين الى غاياتها المنشودة . . كان ، بلا شك ، ينبع من مكامن عميقة الجذور لم يكن بالامكان كشفها في اطار النقص في الصيغ التنفيذية او النقص في الاساليب ذات المدى القصير (بالرغم من ان اسلوب العمل ، هو الاخر ، ينبع من المواقف المبدئية) . ان بروز هذه المسألة (اخفاق البرنامج التعليمي

النضالي) كان يستوجب ، بشكل واضح ، التعمق والتفكير في محتوى ومضمون التعليمات ذاتها . وبطبيعة الحال ، اسسها الايديولوجية الاساسية ، وكان من المسلم به ان يكون هناك تفاوت كيفي واضح بين مثل هذا التصدي للمسألة والشكل الاخر من التصدي لها وكان له ان يمارس تأثيرات حاسمة في مواصلة العمل السياسي — التنظيمي الذي كنا نمارسه ذلك لانه اذا كانت منظمتنا في السنوات ٦٤—١٩٦٥ استمرارا منطقيا وديالكتيكيا لنضالات كانت قيادتها — خصوصا في غياب منظمة ثورية ماركسية — في يد احزاب وقوى برجوازية صغيرة ، وبالتالي ، اذا كان وجود سمات لايديولوجية هذه الطبقات في افكارنا ومعتقداتنا قابلا لشكل من التبرير ، فالان وبعد ثلاثة سنوات من العمل الثوري السري ، وبعد انكشاف الكثير من نقاط الضعف والنواقص التي كان من الممكن ، لاي تأمل مخلص ، ان يكشف عن منشاها الايديولوجي الواحد ، خصوصا بعد اجتياز مرحلة الانتقال الاجتماعي واكتمال الاستقطابات الطبقية الجديدة في المجتمع ، ما هو هذا الشيء الذي كان بامكانه ان يمنعنا من ادراك حقائق فرضت جدواها وصوابها علينا بشدة بعد سنوات قليلة فقط ! لماذا اكتفت قيادة المنظمة في موقف مثل هذا ، فقط باجراءات اصلاحية وتغيير وتعديل في النصوص التربوية للوقوف بوجه الاخفاق التربوي النضالي في حين كانت حركة ثورية كاملة هي التي تفرض ضرورتها !

من الافضل ان نوضح المسألة اكثر .

كيفية اتخاذنا الموقف من الماركسية

كان رفاقنا الاوائل عموما ، قد خبروا النضال في خضم النضالات الدينية ــ الوطنية او الطلابية التي تميزت بها فترة مما بعد سنوات ٥٩ ــ ١٩٦٠ وكان لبعضهم معرفة اولية فقط للافكار الماركسية اللينينية واسس الفلسفة العلمية في حين كان البعض الاخر يفتقر حتى الى هذه المعرفة الاولية ايضا ، ومن هنا فلم يكن لاي منهم اي نوع من التجربة التنظيمية ــ السياسية الخاصة بالعمل السري التابعة من الايديولوجية الماركسية ــ اللينينية .. بل كانت تجاربهم تنحصر فقط بالاعمال والافكار التي كانت تميز نضالات السنوات بين ٦٠ ــ ٦٣ وكان هذا الواقع يبدو طبيعيا للغاية على العموم ، لو اخذنا بنظر الاعتبار الجزر المرحلي للفكر الماركسي بعد خيانة قيادة حزب توده وانتقال قيادة نضالات الستينات الى يد البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة . لكن المسالة الاساسية كانت تكمن في ان هزيمة هذه النضالات والاستنتاجات التاريخية الاولية المستخلصة من احداث هذه الفترة (سنة ٦٠ــ٦٣ وما بعدها) ، كانت تكشف عن انه من دون دراسة واستعمال القوانين العلمية في النضال الثوري ، لا يمكن ان يتحقق هناك اي تقدم او نصر . وما كان ممكنا الوصول الى هذه القوانين ، في اي حال من الاحوال ، دون دراسة واستعمال الافكار الماركسية ــ اللينينية ، تلك الافكار التي كانت قد كشفت النقاب ، لاول مرة في التاريخ من خلال التناول العلمي للتاريخ والمجتمع ، اتجاه تحولات وقوانين التغييرات الاجتماعية . ومن هنا كانت الدراسات الماركسية ــ اللينينية وخصوصا ما يتعلق منها بالثورة الصينية ، تجد لنفسها رويدا رويدا ، مكانا خاصا في منظمتنا (كما اسلفنا عنه) . وكلما كان مدى هذه المطالعات والتجارب السياسية ــ التنظيمية الغنية للافكار الماركسية اللينينية تتوسع في منظمتنا ، كانت امكاناتنا وقابليتنا للتحليل وحل المعضلات تتوسع بحيث ان ميولا ماركسية ــ لينينية معينة كانت تظهر لدى بعض رفاقنا شيئا فشيئا . وكان هذا الواقع يسترعي الانتباه ، على وجه الخصوص ، من حيث ان الثقافة الدينية ، على رغم استئصال كل تلك الذيول الرجعية والخرافية .. الخ فيها (حد الامكان !) لم يكن بوسعها ان تصبح دليلا في العمل السياسي ــ التنظيمي اليومي وحلالا للمعضلات المعقدة التي تبرز امامنا وبتعقيد اكثر كل يوم . طبعا ، لم يكن هذا الموضوع يفصح عنه بهذه الصراحة حينئذ ، لكننا كنا جميعا نجتمع في الشعور

بأن الدين ، حتى في مثل هذه الاوضاع ، لا يمكن ان يقدمنا الى الامام حتى لو سنتيما واحدا من دون تعلم الماركسية ــ اللينينية .

وهكذا فان قيادة المنظمة قررت ان تدخل في المنهج التثقيفي ، مقابل مطالعة النصوص الماركسية ، مساله تقوية الجانب الديني لدى الكوادر لمحو الاثار اللادينية ! التي تتضمنها الماركسية ، اي ان الكادر في الوقت الذي يستفيد من ما يسمى بالفوائد الايجابية للتربية الماركسية (التجربه السياسية التنظيمية ...) عليه ان يحذر من نتائجها السلبية (فقدان الايمان بالدين ..) وذلك من خلال عملية انتقاد منظمة ومتواصله (ذلك الانتقاد الذي سترى انه ينبع ، بشكل محدد وحتمي ، من موقف برجوازي صغير) !!

كان هذا الامر ، بطبيعة الحال، خطوة الى الوراء في مضمار التطور الفكري للمنظمة ، لكنه نفذ ، مع الاسف (٦٢) ، وتعثرت بهذا الحركة الطبيعية ، والحتمية بطبيعة الحال ، التي كانت منظمتنا قد بادرت اليها نحو اتخاذ موقف ثوري سليم ، باتجاه الفهم الصادق المخلص للحقيقة ، ويعتبر حادث سقوط (اعتزال) احد الافراد القياديين في المنظمة عن النضال (الامر الذي اشير اليه فيما قبل) تاييدا اخر لهذا القول .

وهكذا بدات ، جنبا الى جنب مع توسع المطالعات الماركسية ــ اللينينية في منظمتنا ، اجراءات ومواقف ضدها برزت في كثير من المقالات والبحوث والاراء المثالية الرثاثة . ورسم مرة اخرى برنامج جديد كـ « دراسة وتدوين ايديولوجية الاسلام الثورية » وادخل في منهاج العمل مرة اخرى اجراء دراسات واسعة حول تاريخ الاسلام وحول المحتوى الايديولوجي للنضالات السابقة وخصوصا تلك النضالات التي تدخل في سياق ايديولوجية الاسلام (التشيع ..) والتي يعتبر الدين الاسلامي مرشدا لها (مثل النضالات التي قادها وشكل قواها الشيعة، العلويين ، الانتحاريون ، انتفاضة الدستور ، انتفاضة الاحراش ١٩٠٠ م .. الخ حيث لعب الدين فيها على الظاهر دورا هاما) وكذلك دراسة معاني آيات القرآن واستيعاب مفاهيمها الديناميكية وتدوين التفاسير ، والعمل المركز على « نهج البلاغة » وسائر النصوص الاسلامية المهمة ... وكانت في المنهج ، الى جانب هذه المقررات ، مقررات تقضي بمطالعة ودراسة بعض النصوص الماركسية ايضا ،

خصوصا وكنا نؤمن مبدئيا بأن الاسلام لا يواكب المكتشفات العلميـــة للبشرية فقط ، بل ان الاسلام الحقيقي والثوري يمكن استيعابه فقط اذ تتسلح بالعلم العصري ومن ضمنه علـــم معرفة المجتمـــع وتطوره (الماركسية — اللينينية) .

لم تنتج هذه البرامج التي استغرق تنفيذها سنة كاملة من العمل المكثف من قبل المنظمة سوى سلسلة من الكتب والمقالات الايديولوجية من ابرزها « كتاب المعرفة » و « كتاب التطور » و « طريق الانبياء » . يبحث الاول مبادىء التشخيص الديناميكية وطريقة التحليل «الواقعي» للقضايا . بينما يتناول الثاني قانون التطور العالمي وتطابقه مع الاراء الدينية الاصيلة ، والخصائص المميزة للانسان ، ويحاول كتاب « طريق الانبياء » ان يثبت بأن طريق البشر (العلم وحتى الفلسفة العلمية) لا يتناقض مع طريق الانبياء ومضمون رسالاتهم وعقائدهم وان طريـــق المعرفة البشرية الملتوي لا يبتعد عن طريق الانبياء واضافة الى ذلك ان الانسان ، في خاتمة مساعيه ، يلتقي في نقطة نبيلة للغاية مع طريـــق الانبياء ، فيتوحد الطريقان . هذا اضافة الى ما كان يروج له مـــن ان طريق الانسان ذاته ، قد اكتسب سرعة وابتعد عن الانحرافات فقـــط تحت التأثير المعجل لبعثة الانبياء ... (ستتطرق ولو بشكل مكثف جدا الى محتوى المقالات الثلاث في المكان المناسب) ... ولكن في مثل هذه الاوضاع ، ماذا كان استنتاجنا من الماركسية ؟

الماركسية ، في راينا ، (في ذلك الوقت) كانت تنقسم الى شقين ، احدهما اساسها الفلسفي المستند الى المادية والقسم الثاني تجاربهـــا السياسية — الاجتماعية والعلمية التي كنا نعتبرها حصيلة المساهمة في عملية طويلة من النضال الجماهيري وقيادة النضالات الطبقية على مدى القرن الاخير باكمله . وهكذا فاننا كنا نجزىء الماركسية ، عـــن غفلة ، ونتصور بأن استيعاب المفاهيم السياسية — الاجتماعيـــة والتجريبية للماركسية وكذلك قبول وفهم الديالكتيك كاسلوب للتشخيص العلمي ، يعتبر ممكنا من دون الايمان العميـــق بالماديـــة . ليـــس هذا فقط ، بل كنا نتصور بأن قبول المادية كأساس فلسفي لهذه المدرسة قد حدد تحليله للعالم فقط بالعالم المادي ! وانه لا يشمل العالم غيـــر المادي ! وكنا نسمح لانفسنا ، من هنا ، ان نسند هـــذه المقـــولات والمكاسب العملية والنظرية (المكاسب الثورية للماركسية) التي اثبت التاريخ

والعلم صحتها وصوابها الى منطلقات اخرى غير المادية، اي المنطلقات التي تنطوي على الايمان بالارادة الحاكمـــة لكـــل الارض ، وتحرر ! الماركسية من النطاق الضيق والمحدود الذي تشغله المادة !

وكنا ، بطبيعة الحال ، نؤمن في نفس الوقت بأن عملا مبدعا ! مثل هذا يمكن ان يتحقق فقط خلال عملية تطبيق ثورية . ومن هنا ، فاننا كنا ندين بشدة بعض المدعين بلا عمل الذين كانوا يوجهون الانتقادات بشكل لا مسؤول الى الماركسية من خلال الاف الارتباطات التي كانـــت تشدهم الى الحياة البرجوازية الصغيرة ، ورغم تمرغهم الى الاعناق في وحل المساومة والتهادن مع البرجوازية الحاكمـــة ، ومـــن دون ان يشاركوا قدر شعرة في التغيير الثوري للعالم . كنا نؤمن بأن بيـــان الراي حول الماركسية وحتى حول الاسلام يحق فقط لذلك الشخص الذي شارك بالذات وباخلاص في عملية التغيير الثوري للمجتمع . ومـــن هنا ، فاننا كنا نضع حدا فاصلا وواضحا بين موقفنا الانتقادي مـــن الماركسية وموقف الرجعيين، او من يسمون بالمثقفين الدينيين الثرثارين وسائر منظري البرجوازية والبرجوازية الصغيرة . ان الاستنتاجـــات السخيفة (البطنية) التي كان يستخلصها مثل هؤلاء الافراد عـــن المادية ودعاياتهم المبنية على ان « المادية » تعني عبادة المادة وتنطوي على بناء حياة اتانية قذرة كحياة الاغنام والدواب وتؤدي الى جعـــل الحياة مرعى يرعى فيه بنو البشر ، ولا تتجاوز في افضل الاحوال شكلا من اشكال النكايا التي توزع الارزاق على الخليقة ... الخ ، لم تكن في راينا (وكان هذا هو الواقع) سوى انعكاسا لنفس المعيشة المغرقة في الماديات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التي يعيشها هـــؤلاء انفسهم ! المادية ، في ذهن مثل هؤلاء الافراد ، كانت تعني نفـــس « المادية » البرجوازية القذرة ، تعني نفس المنفعية والوصولية الضيقة الافق التي تستند اليها حياتهم بأسرها ، اذا فكيف كان لهم ان يفهموها على حقيقتها ويوجهوا الانتقادات اليها ؟ لكن انتقادنا للمادية ، لم يكن بسبب لا اخلاقيتها (٦٤) ولا بسبب « ماديتها » المناقضة للمعنوية ولا لكونها مرعى يرعى فيها بنو البشر ، بل بسبب تصورنا الخاطـــىء لها على ان « العالم » الذي تفسره المادية يكون عالما محدودا ! في حين كنا نعتقد بوجود حياة اخرى خارجة عن نطاق تحليل وتفسير الفلسفة المادية !! (٦٥) . طبعا ، اثبتت لنا التجربة والعمل الثوري بأن انتقادنا

وحتى انتقاد مثل هؤلاء الافراد يلتقيان في نقطة واحدة وهي عدم الفهم العميق والعلمي لمفهوم المادية العظيم الواسع الشامل للعالم كله . انهم كانوا يعجزون عن فهم الواقع لارتباطهم الصريح الواضح للغاية بالحياة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة واما نحن فاننا كنا نعجز عنه لوجود صلات معقدة فكرية وسطحية (٦٦) مـــع الافكار القديمـــة والايديولوجيات غير البروليتاريـــة . ولنفس هـــذا السبـــب ، فـــان استنتاجاتهم عن المادية كانت تافهة وواهية ولا تصلح لغيرهم ولغيـــر الحياة التي كانوا يعيشونها ، بحيث انهم ما كانوا يستطيعون قـــط التراجع عن هذه المواقف المتطرفة ، في حين كان بوسعنا ، وبشكـــل حتمي ، ان نتوصل الى فهم حقيقة مادية العالم خلال المساهمة فـــي التطبيق الثوري على صعيد المجتمع .

على اي حال ، مع ان دخولنا الى مجال الماركسية ـــ اللينينيـــة الواسع ، كان يتضمن كثيرا من الخلفيات الذهنية اللاعلمية والشوائب الفكرية القديمة ، وعلى رغم المساعي الكثيرة التي كانت تبذل من اجل ادخال المفاهيم العلمية والثورية التي تتضمنها الماركسية في اطار الافكار المثالية المحدودة الضيقة الدينية ، الامر الذي كان يحرف الاولـــى ويشوه حقيقتها ، لكن الزمن والمراحل المختلفة من التطبيـــق الثوري كانا كفيلين بتقديم ادلة واضحة على نقاط ضعفنا ومواضـــع الخلـــل الموجودة في الفكر والعقيدة الدينية والتي كانـــت تصبـــح اكثر بروزا وحدة مع ترسخ الايمان بالدايلكتيك . (هـــذا الدايلكتيـــك ، لم يكـــن بطبيعة الحال ، بعد دايلكتيكا ماركسيا خلافا لما كنا نتصوره في ذلـــك الحين ، بل كان دايلكتيكا مثاليا ونتيجة لتجزئة المفهوم العام للماديـــة الدايلكتيكة الذي لا يمكن تجزأته قطعا) ، هذه النتائج وان غدت مهملة لفترة من الزمن ، لكنها اصبحت فيما بعد ، موضع الاهتمام الكلي .ماذا كانت هذه النتائج ؟ هنا سنشير الى جانبين محددين منه ، الجانب الاول مسالة الوحي ، والجانب الثاني مسالة المعرفة .

مسالة الوحي وانكار الدور الحاسم للجماهير في صنع التاريخ

كانت احدى اهم هذه القضايا ، هي مسالة الوحي ودور الانبيـــاء في التاريخ ، ذلك الدور الذي يدعي الدين ، في الواقع ، بانـــه فـــوق التاريخ وخارج عن الضرورات الاجتماعية ـــ الاقتصادية والتاريخيـــة لكل حقبة من الحقب التاريخية المتعـــددة . بمعنى اخـــر ، ان الانبياء ليسوا محصول الحاجات الاجتماعية ـــ الاقتصادية ولا هم استجابـــة لضرورات تطور هذه الحاجات ، بل هم صفوة اختيروا من قبل قـــوة غيبية تفوق كل القوى الطبيعية والاجتماعية وولوا لانجاز مهام معينة في نفس الوقت الذي يدركون ويعيشون في ظروفهم الاجتماعية الخاصة وتستند جميع اسس ومنطلقات الدين (اي دين) على قبول هذا المبدا، اي قبول مبدا الوحي والرسالة الالهية للانبياء . وان اي تعرض لهـــذه الاسس ، من شانه فسخ بنيان الدين وضعضعة اركانـــه الشامخة ! طبعا ، اذا كان لاي من الادعياء الجدد لاثبات الدين من خلال العلم .. منظريه يسارا ام يمينا ، قيد شعرة من الضمير والانصاف العلميين ، لما سمحوا لانفسهم بالادعاء بان المسالة (مسالة الوحي) قابلة للاثبات من خلال العلم ، بل ان مبادرتهم الى اثبات عدم مناقضة الدين للعلـــم تاتي فقط بعد ايمانهم المبدئي بذلك .

وكنا نحن ايضا ، بغض النظر عن بعض المعارضات ، نعاني من مثل هذا التناقض (مع ان هذا الواقع كان يغطي بغطاء الاغفـــال) . فمن جهة ، كان الفهم العلمي للتاريخ يوحي لنا بأن التحولات والتطورات الاجتماعية تستند الى اسس راسخة وتنشأ من التناقضات الموجودة بين قوى الانتاج والعلاقات الانتاجية ، وتتعين ايديولوجية ونظرة ايـــة طبقة ، بالتالي ، كشيء فوقي تبعا لمواقعها الاجتماعية والانتاجية .. كذلك فان الاختلافات الايديولوجية او السياسية انما هي اشكال معينة من الخلافات الطبقية والصراع الطبقي ... الخ . ان مثل هذا التحليل للتاريخ الذي كان ، بطبيعة الحال ، يستند الى مبررات وبراهين علميه قوية وكان من شانه ان يفسر كثيرا من الاحداث السابقـــة والحالية بشكل جيد ويؤهلنا لحل المسائل اليومية السياسية والتنظيمية للحركة (وهذه كانت اهم ميزة له) ، كان في نفس الحال نافيا للدور الاستثنائي والغريب للانبياء . ومن طرف اخر ، عدم التسليم بمسالـــة الوحي ورسالة الانبياء الالهية وعدم التسليم بدورهم الاستثنائـــي والفـــوق التاريخي ، كان بمثابة انكار جميع الاعتقادات والميول الدينـــية ذات

الجذور فينا . لكننا ، دون ان نتخذ موقفا حاسما وحازما ازاء مثـل هذا التناقض العميق ، مررنا منه مرور الكرام !! بطرح سؤال يقـع خلف التناقض ، وهذا السؤال كان نقطة الانطلاق في حركة مضمونهـا انه بعد القبول الايماني ! للوحي ، يجب اثبات ان مضمون ومحتـوى هذا الوحي ، اي الدين ، لا يتناقض مع العلم . وهكذا ، طرح هـذا السؤال : هل ان طريق الانبياء ــ الذي يمثل الايديولوجية والفكـر الديني ــ يتناقض مع طريـق البشر الـذي يعكس المخترعـات العلميـة والقوانيـن الاجتماعيـة الثابتـة ام لا ؟ ومـن الواضح ان هذا السؤال يخفي في ذاته ذلك التناقض الذاتي الموجودبين الدين والعلم . وكان يكفي ، ان تترك التعصبات والاحكام المسبقة جانبا لفترة قصيرة من الزمن ، حتى يتضح بان افكار ونزعـات الانبـياء لا تتطابق مع التفكير العلمي ، ليس ذلك فحسب ، بل انهما قد ابتعدا عن بعضهما بعدا شاسعا بفضل تطور وتوسع المعرفة البشريـة ، وان اسس الدين تسير نحو التضعضع والانهيار يوما بعد يوم تبعا لتقـدم العلم في اوساط الجماهير الرازحة تحت نير الاضطهاد وتحررها مـن قيود الاستغلال الاقتصادي والاوهام الخرافية للطبقات الحاكمـة ! ولهذا السبب ، ماذا كان بوسع طرح هذا السؤال ان يعطي من نتائج افضل نسبة الى السؤال الاول ؟ لقد كنا من خلال القفز على السؤال الاول والقـبول الضمني لمسالة الوحي ، نجبر انفسنا بشكـل ذاتي ان نبرهن ، بأي شكل من الاشكال ، بان جواب السؤال الثاني هو النفي . وهكذا بادرنا من خلال تفسير وتحليل العديد من ايـات القرآن (وغض النظر ، في الواقع ، عن العديد من الايات الاخـرى المتناقضة) والاستناد الى الادلة التاريخية حول النضالات الاجتماعية التي دار تحت ستار الدين .. الخ بادرنا ان نثبت ، بأي شكل كان ، بان طريق البشر (العلم) لا يبتعد فقط عن طريق الانبياء بل ان هـذا الطريق يقترب !! بشكل متناسب مع التقدم العلمي والمكاسب الثورية للجماهير ، مع طريق الانبياء ــ التي رسمت خطوطها الاصلية مسبقا ــ وهكذا اعلنا بأن الانبياء لم يقفوا ضد حركة تطور التاريخ وان وجودهم ليس فقط ظاهرة اجتماعية طبيعية (ومن النوع التقدمي ايضا) بـل انهم لعبوا دورا معجلا في المسار التطوري للتاريخ بدليل الدور النبوي الذي لعبوه !

وهكذا كنا نتوصل الى نقيض الدايلكتيك بعد المرور بمرحـلة مـن الايمان الباطل به . اي انه في الوقت الذي كنا نقبل من حيث المبدأ بان التاريخ هو حصيلة الصراع الطبقي ، حصيلة صراع الطبقات الرازحة تحت وطأة الاضطهاد ضد الطبقات المضطهدة (بكسر الهاء) وهـو الوجـه العـاكس لحركـة التناقضـات الداخليـة للمجتمعـات (التناقض بين قوى الانتاج والعلاقات الاجتماعية) في نفس الوقـت كنا نضطر ان نتوصل ، من خلال المرور بسلسلة مـن الاستنتاجات الملتوية ، الى نتيجة متناقضة مفادها ان التاريخ يستمد حركته من عامل خارجي ، أي من الوحي بل وانه (الوحي) قد ترك فيه حتـى بعـض التاثيرات المعجلة لمسيرته باستمرار !!

وكان ما يثير الانتباه ، هو اننا كنـا مضطرين الى ان نصـور الماركسية كآلة في يد الدين وتغطي نواقصه وتقاط ضعفه نورا بتعابير وتفسيرات ماركسية في قوالب واطر آيات واحكام !! كل ذلـك لكي نوفـق بيـن الفهـم العلمـي للتاريـخ ودور الانبيـاء وتخفـي الاختـلاف الموجـود بيـن المفهوميـن ، اي بعبـارة اخرى ، لكي نؤول الفهم العلمي للتاريخ الى الدين ، وكنا نضطر ان نتوصل ، حينئذ ، الى الاستنتاج مؤداه ان الايديولوجية والفكر اللذين هما حصيلة الظروف التاريخية الاجتماعية والاقتصادية لالف وثلاثمائـة سنة خلت ، من شأنه ان يقدم المعالجة اللازمة لقضايا النضال في الوقت الراهن !! لكن الحقيقة هي انه ، ما كان بوسعنا قط ، بل ولم يكـن بوسعنا ، ان نحقق هذا ، فالتحولات الاجتماعية والتقدم العلمي كانـا قد ابتعدا عن الاراء الاجتماعية والفلسفة المثالية للدين وان الاخير كان قد فقد استعداد الانسجام مع الظروف الثورية الراهنة (سواء اكان ذلك من الناحية الاجتماعية أو من الناحية العملية) بحيث كان ، على رغم جميع المساعي الحثيثة ، في الواقع ، المبذولة من قبلنا لاحيائه وتجديد مفاهيمه ، بعيدا بمسافات شاسعة عن قابلية رؤية القضايا ووجهـات النظر العلمية والاجتماعية الثابتة للعصر . ان هذا البعـد وسرعـة التحـولات والتقدم الاجتماعـي والسياسي والاقتصادي نسبـة الى ركود نواة الفكر الديني كان في ازدياد بحيث ان مساعينا التجديدية ، كانت تذهب ادراج الرياح بسبب افتقار نواة الفكـر الديني الـى الاستعداد والقابلية على التحرك . وكان اي استنتاج ، اي فكر ، اية

تجربة ، تستند على الدين وتحاول ان تبرر نفسها في مثل هذا القالب، تصيبها الدخول في لائحة الاشياء القديمة ، بل كان يخرج على شـــكل مخلوق ، تخال انه خلق لا لشيء الا لكي يموت .

(ان العملية المتكررة دوما ، وعديمة النتيجة ، لاحياء الفكر الديني في المجتمع التي بدات بمساعي السيد جمال الدين الافغانـــي ، الى المجددين الدينيين الاكثر تقدما من امثال الدكتور علي شريعتي ، هـي نماذج اخرى واضحة للغاية تبين عدم استعداد وقابلية ذاتيـــة لهذا الفكر ، ذلك الفكر الذي لقدمه التاريخي ، لا يقـوى على اي استنتاج جديد وتقدمي عنه مهما لبس بأحدث انواع التعبيرات العلمية والمتضمنة آخر الابداعات البارعة في مجال التوفيق الصوري الجبري بينه وبيـن العلم ، لا يقوى على البقاء لاكثر من فترة زمنية قصيرة للغاية).

وهكذا ، فان التفكير الديني كان كعباءة قديمة ، لكنها مزركشة بانواع الرسوم ، والتقوش والاشكال الغنية المبدعة ، عمل الزمان على تخريب نسوجها ولم يبق منها سوى آثار باهتة وغير مثيرة للانتباه . ان مثل هذا الاثر البديع لافكار واعمال اناس عاشوا في قرون مضت وكذلـك آثار فنية وفكرية وادبية واخلاقية اخرى للبشر في القرون السابقـة ، كان يصح ان تصبح فقط موضوعا مناسبا للبحـــوث الاستقصائية والتحقيقية للمؤرخين وخبراء الاساطير ... الخ ، في حين كنا نفكـر في ترميم انسجتها التالفة والربط بين اجزاء هيكلها المسحوق ثم تنفـخ الروح في جسدها الميت.. وكانت النتيجة معلومة وواضحة، فكان مقابل اي نوع من الترميم والترقيع ، تظهر عشرات التمزقات والشقـوق ، ولا يقدر المرء ان يفرغ من واحدة منها ، حتى تظهر امامه مئات اخرى .

وكمثال على ذلك، لم تكن النتائج السلبية والمنافية للعلم المتأتية من قبول مسألة الوحي تنحصر في اضطرارنا الى التسليم بظاهرة غامضة وهمية بشكل عاطفي ومن دون اي استدلال علمي . بل الاهم من ذلك الاثـر السيء والمعادي للثورة الذي كانت مثل هذه الاعتقادات تتركـه فورا على تفاعلنا الثوري اليومي . ومن احدى النماذج البارزة لذلك الموقف السلبي للعاية والمثير للاسى الذي يتضمنه الدين نحو الجماهير الرازحة تحت نير الاضطهاد والطبقات الكادحة . جميع الكتب الدينية ومنهـا القرآن تعج بالقصص والامثلة والاحكام التي تجعل فقط من الانبيـاء وعدد معدود من الاولياء ، والائمة والقديسين والواعين لائقا للانسانية

الحقة والقبول لدى الذات الالهية ، وتتحدث عن الجماهير الشعبيـة الواسعة بانهم عامة ، جهلة ، آثمون .. الخ . يجب ان يقادوا فقط من قبل هذا العدد المعدود وكقطعان الغنم ودون ان يبدوا عن انفسهم حراكا او رد فعل .. الخ ، وفي ظل وجود الانبياء واحكامهم وشرائعهم فقط يتم تطور واصلاح المجتمع اما بقية بني البشر فليسوا سوى آلات صماء ساكتة فقط (على صعيد الخير والتطور) ، بل ان عناصر الشر والفساد والغدر كامنة في وجودهم وداخل نفوسهم الجامحة الفاسدة ، بحيث انه عند ما يغيب نبي عن محفلهم ، مثلا ، يسلك المجتمع طريق الانحـراف والسقوط والى ان يظهر نبي آخر ، لا يستطيع ان يقدم خطوة الـــى الامام نحو اصلاح نفسه وتطوره الذاتي . ان قصة بنـــي اسرائيل وخلاص هذا القوم من نير الاستعباد الفرعوني والدور الحاسم الـذي لعبه موسى ومعجزاته في انقاذهم ومنها شق نهر النيل بأشـــارة منه وعبور بني اسرائيل من الشق ثم ابتلاع فرعون وجيشه .. ثم تحـول **هذا القوم** الى عبدة العجل بعد خلاصهم وبعد ان تركهم موسى اربعين يوما وتنحى الى الجبل للعبادة .. وكذلك القصة الخرافية لفناء قـوم لوط بناء على دعاء من نبي ذلك الزمان (لوط) واستجابة الخالق لدعائه وذلك لوصول هذا القوم مرحلة لا رجوع لهم الى الصلاح بعدها ، او قصة سفينة نوح وذلك المطر المدرار المشهور الذي ادى الى فناء المجتمع البشري باستثناء عدد محدود اختارهم نوح بنفسه (٦٧)، تلك هي جملة القصص التي توضح نظرة الدين الى الجماهير والى دورهم في التاريخ في قالب علاقة « الراعي والقطيع » التي تربط النبي بابناء الشعـب . ان مجموعة القصص والاحكام ، من هذا القبيل ، التي يعج بها القرآن تبين بأن ادخال العنصر الخارجي في تحليل التحولات الاجتماعية ، قبول مسألة الوحي وقبول الدور الاستثنائي والالهي للانبياء ، يتوافق مـع الحط من قدر الجماهير الى مستوى القطعان التي لا حول لها ولا قوة ولا عقل ولا ارادة ، يتوافق مع انكار دور الجماهير في صنع تاريخهـا بايديها ، يتوافق بايلاء الاهمية الى دور الشخصيات الغير اعتيادية ، بدور الافراد والمجموعات الاجتماعية المعدودة (القديسين، اولياء الله، اولى الالباب ...) ، واستنادا الى وجهة النظر هذه ، ما يصيب ابناء الشعب من المتاعب والتعاسات والبؤس والاخفاقات ، يعزى الـــى نفوسهم الجامحة وارواحهم الشريرة بالذات ... الخ وما اصابهم من تقدم ونصر وسعادة ما هو الا عطاء من الله واستجابة لادعية الانبيـاء

والاولياء (٦٨) (ما اصابك من حسنة فمن الله ما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك رسولا ...) . هذا نموذج صغير ، وجزء يسير ، من كثير النتائج السلبية والمدمرة التي كانت المثالية الدينية تطرحها امامنا من خلال نظرتها الخاصة الى التاريخ .

اسلوب المعرفة الازدواجية (التوفيقية) والتناقضات الناجمة عنه في مجرى العمل الثوري

كنا على علم بان اسلوب التفكير المثالي ، بمعناه المطلق ، امر غير صائب بل ويعتبر معاديا للثورة ايضا وبان المثالية في كل الاحوال ، ومهما اتخذت من اشكال وصور ، انما تصب في حساب الطبقات المستغلة والرجعية ، لكننا عند المبادرة الى التحرك باتجاه ادخال اسلوب التشخيص العلمي في اعمالنا وتحليلاتنا — ذلك الاسلوب الذي كان يستند بالتاكيد على الفلسفة المادية وليس المثالية — وفي ايديولوجيتنا التابعة من منبع مثالي (الايمان بالعامل غير المادي المتحكم في العالم والمتقدم على وجوده المادي) (٦٩) كنا نجد انفسنا مجبرين على :

اولا : المبادرة من دون وعي الى تحريف الحقائق والتعاريف المعترف بها حول الفلسفة العلمية ،

ثانيا : اخفاء المثالية المتشبثة في اعماق افكارنا الدينية ، تحت حجب مختلفة ومتعددة ، وبشكل محكم ، من المصطلحات والتعابير والتبريرات ذات الرنة العلمية .

وهكذا ، عوضا عن ان نضع كل شيء في مكانه الصحيح ، كنا نغرق انفسنا في متاهات لا طائل من ورائها ، فمثلا كان علينا ان نقر بان الفلسفة التي تقف **قبالة** الفلسفة المثالية المعرفة **وبالتناقض** منها هي الفلسفة المادية ، لكننا كنا نختار عبارات عشوائية ولا معنى لها مثل « الواقعية » بدلا من الفلسفة المادية . وبهذا كنا نغطي جوهر المثالية المتجذرة في تفكيرنا الديني بعبارة « الواقعية » الفارغة من طرف ، ونتهرب من الاقرار بان الفلسفة المادية للمعرفة هي التي تقابل المعرفة المثالية وتقف بالتناقض منه ، من طرف آخر . ولم نكن نسمي المبادىء الدايلكتيكية باسمها الحقيقي هذا ، بل كنا نسميها بعبارات غامضة وغير متعارف عليها مثل مبادىء التشخيص الديناميكية (مقابل مبادىء

التشخيص الستاتيكية) .

ففي كتاب « المعرفة » (الكتاب الاول) هناك نماذج بارزة تدل على مثل هذا الموقف غير المخلص ازاء قضايا الفلسفة العلمية والمفاهيم المعروفة في مجال اسلوب التشخيص الدايلكتيكي . ويجب القول بان محتوى ومضامين هذه البحوث لم تكن تتطابق قط مع حقيقة وجودها ، بل انها كانت لونوعها تحت تأثير الفكر الديني ولجوهر موقفها الفردي السطحي وغير الطبقي من الظواهر الاجتماعية ... الخ ، تفتقر الى الاصالة التامة (يراجع فصل التشخيص العادي والعلمي في كتاب المعرفة او الفصل الخاص بالتناقض في نفس الكراس ، حيث يتناول التناقض الاصلي للانسان بالبحث، او الفصل السادس حيث يعتبر طريقة الاستقراء بانها طريقة علمية للتشخيص!). وفي تعريف ورد في نفس هذا الكراس حول المثاليين، يحددهم في فريقين، احدهما ينكر واقع وجود عالم آخر خارج الوجود الانساني (المثاليين المعروفين بالذاتيين)، والاخر يؤمن بوجود عالم خارجي مستقل ، لكن غير قابل للتشخيص والمعرفة (اللاادرية) ، في حين ان هذا تعريف مجزأ ومبتور جدا للمثالية ، فانصارها لا ينقسمون الى هاتين الفئتين الكبيرتين فقط ، بل ان التقسيم يجري على اساس الجواب الذي يقدم الى اهم سؤال في الفلسفة ، أي العلاقة بين الروح ، الشعور ، الارادة ... الخ من جهة، والمادة من جهة اخرى ، وعلى هذا الاساس ينقسم الفلاسفة الى فئتين متميزتين : الماديون والمثاليون (يلاحظون سخف وبؤس الواقعية اذ لا ذكر له في هذا التعريف) فعليه يسمى جميع الافراد الذين يؤمنون بتقدم المادة على الشعور والروح وعلى اي رد فعل حركي للمادة او مايتبعها او ما يتأثر بها، بالماديين، ويسمى جميع الذين يعتبرون الشعور، الفكر، الروح ، الارادة والذات الالهية ايضا ، متقدما على الوجود المادي ، بالمثاليين .

ان هاتين الفلسفتين تعكسان ، نظرتين مختلفتين الى العالم ، تترك كل منهما آثارها على جميع اشكال التفكير ، والعقائد السياسية والاجتماعية ، وتمثلك كلتا النظرتين ، على وجه التمييز ، قواعد طبقية واجتماعية خاصة بهما اتخذت وتتخذ على طول التاريخ اشكالا مختلفة لنفسها حسب شكل الانتاج ، ودرجة تطور القوى المنتجة وعلاقات الطبقات الاجتماعية المتعارضة مع بعضها .

على اي حال ، كان التعريف الذي وصفناه نحن للمثالية يحصرها في دائرة محدودة للغاية . ومع ذلك ، وفي الوقت الذي كنا ما نزال في مواقف مثالية تماما (مثالية من نوع اكثر تعقيدا ، تبيح لنا التصور باستقلالية العالم الخارجي عن ذهن البشر وامكانية معرفة هذا العالم الخارجي لكنها اما ان تسكت عن مصدره او تنسبه الى الارادة والروح والشعور المطلق الذي سلف ذكره) ، في نفس الوقت كنا نتبري لتوجيه النقد الى هذه الدائرة المحدودة . ان هذا النقد الموجه الى الايديولوجيات البالية للطبقات الرجعية الحاكمة ، او بعض مراتب الطبقات الشعبية والمائلة نحو الانحطاط ، مع كونه تقدميا لكنه لم يكن ممكنا ان ينطلق ، بالطبع ، من مواقف بروليتارية ، اي المواقف المادية الدايلكتيكية . فلقد كان مثل هذا النقد المبتور ، يحوي بالذات على عناصر محددة من الايديولوجية الوسطية ، اي كان يحوي على المميز الاصلي لايديولوجية البرجوازية الصغيرة ، ولهذا السبب كان يكشف تناقضاته الداخلية في مجرى العمل الثوري ، اي في مجرى النضال اليومي ضد النظام الاستغلالي الحاكم . واذا كانت لهذه التناقضات ان تبرز في السنوات ١٩٦٥ — ١٩٦٩ فقط في اذهان اكثر رفاق المنظمة ذكاء وفطنة ، فانها اصبحت تفرض نفسها فيما بعد سنة ١٩٧٠ ، اي في الفترة التي كان تصاعد تتابع التحولات الجارية في رحم المجتمع يضع امام المعنيين قضايا جديدة تتطلب مواقف سياسية — ستراتيجية اكثر حزما ، خصوصا بعد الضربة المعيدة الى الوعي التي وجهت الى المنظمة في منتصف سنة ١٩٧١ التي استوجبت النزول النشط الى ساحة العمل ولم يكن بوسع احد ان يقف ازاءها مكتوف الايدي باستثناء الفئات المنسمة بافظع اشكال التخلف وضيق الافق داخل المنظمة .

كان هذا من المثالين اللذين يوضحان اكثر الجوانب المتعارضة مع بعضها في النظرة التاريخية والفلسفية التي اتسمت بها ايديولوجيتنا، نموذجين صغيرين للغاية للتناقضات والازمات التي اخذت تبرز امامنا شيئا فشيئا وبشكل يتناسب طرديا مع تقدمنا في العمل الثوري ، ولقد جوبهت المساعي الجديدة نحو بعث وتجديد الفكر الاسلامي التي بدات مع انتشار كتاب « المعرفة » و « التطور » وشملت حتى « طريق

الانبياء » ، خصوصا في اوائل سنة ١٩٦٩ ، جوبهت بازمات ونقاط اختناق جديدة . ففي هذا الوقت ثبت انه من الصعب تحليل القضايا الاجتماعية والسياسية باستعمال معايير واسس الايديولوجية الدينية، ومن هنا كان الطلب الى مطالعة ودراسة النصوص الماركسيه والاستفادة منها ، يطرح نفسه بالحاح متزايد في كل لحظة ، من طرف، ومن الطرف الاخر، لم تكن القيادة الموجودة اي الجناح الحاكم منها، على استعداد ، او ما كانت تقدر ، ان تبحث عن جذور المشاكل والغموض والنواقص المتزايدة وغير قابلة للانتهاء في المجال السياسي الستراتيجي، في ايديولوجيتها المتميزة بالضعف والمحدودية ، لذا طرح اقتراح يقضي بايقاف عمل « صياغة الايديولوجية » في هذه المرحلة وايقاف تطويره واكماله على المساهمة في مجرى العمل، ومن هنا وضع في المنهج اتخاذ الترتيبات العملية للبدء بالكفاح المسلح .

ان الاساس المبدئي للنظرية التي تقول بان تطور وتنقية اية فكرة يتوقف على الاشتراك في التطبيق الثوري ، صحيح في الاساس غير ان التطبيق الواسع والزاخر بالتجارب الذي كنا قد مارسناه منذ سنة ١٩٦٥ فيما بعد ، وخزين التجارب القيمة للغاية التي كانت قد تجمعت لدينا من تجارب نضالات السنوات السابقة ، كان يستوجب البدء ، في نفس اللحظة ، بمرحلة جديدة من تصفية وتصحيح الاسس الايديولوجية للمنظمة من خلال جمع وتحليل الاراء السياسية — التنظيمية التي سادت في المنظمة ونواقصها ونقاط ضعفها ، ولم يكن لهذا الامر ان يتعارض قط مع بدء الكفاح المسلح ايضا . ان تأجيل التقدم النظري والايديولوجي للمنظمة الى مرحلة عمل قطعي ، في وقت تتوفر العناصر اللازمة لاستيعاب مثل هذا التقدم ، لا يمكن ان يعتبر سوى نوعا من التمسح بأذيال البراكماتية الضيقة الافق والرعب البرجوازي الصغير من دحض مبادىء العقائد السابقة — الذي كان من الممكن ان ينشأ من اي استنتاج نظري جديد — ، ذلك لان فهم المرحلة القادمة للعمل ايضا ، لم يكن من الممكن طبعا ان يكون بعيدا عن الاخطاء المبدئية والنواقص الموجودة في داخل تفكيرنا ، بنفس الكيفية ، التي لم نكن قد استطعنا ان نتصدى لاعطاء الجواب اللازم لمثل هذه الضرورة الملحة على رغم توفر الظروف المناسبة والمرور بمراحل عملية محددة وبنفس الصورة التي طغت ، بالتالي ، من اوائل سنة ١٩٧٠ —

الى آب ١٩٧١ اعصار مرحلة عصيبة نجمت من التناقضات الداخليـة للمنظمة ، التي لم يتم التصدي لحلها . لقد كان هذا الاعصار نتيجـة مباشرة للاحجام عن حل التناقض الرئيسي الذي عانت منه المنظمـــة (تصحيح اسسها الايديولوجية) ، وبالتالي الوقوع الحتمي في اسوا انواع الجزئيات السياسية ــ التنظيمية التي ظهرت علـــى شكـل انتقادات كثيرة ومملة لا طائل من ورائها واشاعة الاضطـراب بشكل متوالي في الحلقات الدراسية التثقيفية وتبديل المسؤولين ، واللجوء الى اساليب غير ضرورية لتنفيذ المركزية ، والمبادرة الى التهيئة العفويـة للاعضاء للبدء بمرحلة العمل المسلح ، الافراط في الاعمال النظريـــة او العملية او التفريط بهما بشكل مقلق للغاية ... الخ .

في هذه الفترة بالذات (ربيع سنة ٧٠) اتصلنا لاول مرة بمنظمة فتح الفلسطينية ، واستقرت اول وحدة تنظيمية لنا في معسكرات فتح في اوائل صيف تلك السنة .

نهاية المجلد الاول

الفترة الثالثة

اعوام ٧٠ و٧١ والضربة الاولى التي تلقتها المنظمـــة في ٢٣ آب ١٩٧١

الهوامش

١ ــ ان هـــذه العناصر الرجعيـــةالمشتركةفي بطن النظام الراسمالي في ايران هي :

أ ــ ان تحكم البرجوازية في ايران لم يتحقق باعتباره فترة انفصال تقدمي ضـــد الاقطاع بل تحقق نتيجة لاتفاق هذه القوىوبتوجيه وتحت تأثير الامبريالية الامريكية الحاسم في ايران، فهي، اي البرجوازيةمرتبطة بالف سلسلة بالاقتصاد الامبريالي المتسلط ولهذا لا تستطيع ان تلعب الدورالتقدمي لنظام راسمالي اعتيادي ايضا . ان النمو الاقتصادي في مثل هـذه الدول(مثل ايران) هو نمو ناقص وحيد الجانب وغير طبيعي،ذلك لان هذاالنمولا يتحقق كاستجابة لضرورات اقتصادية داخلية ، بل استجابة لمتطلبات الاقتصاد الامبريالـي المتسلط . ومن هنا فان حركة القـــوى المنتجة التي تحقق عادة ، تكاملا ملفتـــاللنظر في المرحلة الراسمالية ، تصل الـى المازق بسرعة فيمثل هذه الانظمة المرتبطةوتمسك الازمات الراسمالية الذاتية بقوة اكبر وفي وقت اقل بتلابيبها وتصبح قابليةهذه الانظمة على تلقي الاضرار السياسية اكثر بسبب افتقارها الى قاعدة اقتصاديةطبيعية وقوية . وقبل ان تدخل هـــذه الانظمة مرحلة الشباب تهرم ... وعلـىسبيل المثال : اذا كانت اولى الازمـــات الاقتصادية ، وبالتالي السياسية الاقتصادية احتاجت الى ١٠٠ او ١٥٠سنة من الوقت لكي تستطيع البروز في دولة راسمالية مثلانجلترا واذا كانت هذه الراسمالية البريطانية امتدت ١٥٠ سنة اخرى بسببالسياسة الامبريالية التي اتبعتها بريطانيا الى ان وصلت الى هذه المرحلة البائسةمن الهلاك والاضمحلال ، فان نظاما مثل ايران لا يحتاج ، في احسن الاحوال ،للوصول الى هذه المرحلة الى اكثر من ١٠ او ٢٠ او ٣٠ سنة (كحد اقصى) ، فوقت لم تمض بعد اكثر من ١٠ او ١٥ سنة على تحكم النظام الراسماليالايراني.

ب ــ وجود الدكتاتورية التي تطـرح نفسها كعامل ضروري وحيوي لاستمرارية النظام الرجعي في ايران، من جهة، والتيتشكل بحد ذاتها عاملا مساعدا في تعميق التناقضات الاجتماعية وتساعد التفعالاتالثورية واستفحال الاوضاع المتازمـــة الناجمة عن كفاح القوى التقدمية فـــيالمجتمع والازمات الداخلية للراسماليـــة نفسها ، من جهة اخرى .

٢ ــ ان نظرة الى اوضاع سائر الدولالتي ترزحتحت نير الامبريالية فيالمنطقةتبين الاختلاف الموجود بين اوضاع ايران واوضاع هذه الدول . فلقد اوكل الى النظام الايراني ، سواء من الناحية الاقتصادية او من الناحية العسكرية (وبطبيعة الحال من الناحية السياسية ايضا) دور بارزيتسم بالتسلط في المنطقة. ويجب انتنتزع، بطبيعة الحال ، ازاء هذه القوة الرجعيةنمو القوى الثوري في ايران وتعبئتهـــا

والغليان الحتمي للحركة الجماهيرية ايضا التي هي ليست بموضع مقارنة مع وضع القوى الثورية والظروف الذاتية المتواجدة في هذه البلدان .

٣ ــ لم تأتنا هذه النصائح والمواعظ فقط من لدن الافراد والفئات الدينية ، بل ازيعضا من مجموعات ونشات «اليسار» ايضا حذرتنا من الاقدام على هذا العمل ، لكن تحت ذرائع واسباب اخرى اختلفت بعضها تبعا لنا الفئة الاولى . ان المواقف الرئيسية للفئة الثانية كانت تتمتع بالاهمية على الخصوص من حيث انهم لم يستعيروا انخاذنا للمواقف الفكرية الصريحة والثابتة واوصوا لنا بالاشكال « المزدوجة » . لقد كان هؤلاء قد تبنوا هذا الحكم الماركسي اللينيني المبدأ الذي يقضي « بجواز التحدث عن اي تكتيك سياسي فقط بعد التحديد الصريح والثابت للحدود الطبقية» وهكذا كانوا يشترحون علينا نوعا اخر من المساومة في المبادىء .

٤ ــ سنقدم ايضاحات وافية حول عملية التغييرات هذه في الاجزاء اللاحقة في الجزء الخاص بفترة نشاط المنظمة كما بين ٧٣ الى ٧٥ م.

٥ ــ خلال سنتين متواصلتين من « النضال الايديولوجي » تعرض ما يقارب الـ ٥٠ بالمائة من الكوادر الى التصفية بينما جمد نشاط عدد كبير من الكوادر المسؤولة في مراكز المسؤولية لحين حصولهم على الصلاحيات اللازمة .

٦ ــ الاساليب المتبعة بهذا الصدد كانت كما يلي: اسلوب المناقشة والاقناع ، لتوضيح القضايا المختلفة والتثقيف المستمر ، اضافة الى تقييم النقد الذاتي للفرد نفسه او الانتقادات الموجهة الى فترة العمل السابقة للمنظمة التي كانت تجري اما بمساعدة المسؤول او من قبل الفرد نفسه ، كشف اسباب وجذور هذه النواقص واكتشاف طرق المعالجة ، نقد المثالية السياسية ــ التنظيمية والفلسفية التي اكتنفت عمل المنظمة للفترة السابقة وابراز اثارها السلبية على مواضيع خاصة ، العيش في فترات من الحياة والعمل الجماهيري الشاق اضافة الى تحليلات محددة عن الوضع المعيشي لابناء الشعب ، المالهم والامهم ، القضايا والاراء الاقتصادية او السياسية او الايديولوجية التي تخصهم وغير ذلك .

٧ ــ اسم الخائن رقم ١ ، هو مجيد شريف واقفي ، من خريجي قسم الكهرباء في الجامعة الصناعية . قبل عضوا في المنظمة في اوائل سنة ١٩٦٩، لكنه امتزل النشاط الجماعي لانعزاليته الفردية منذ البداية ، لذا لم يحرز اي تقدم في

العمل التنظيمي ومع انه احرز تقدما كبيرا في مجال النشاط التثقيفي (والذي كان يتضمن النشاط والنزعات الفردية في مثل هذا النظام التنظيمي) ، لكنه لم يحرز اي تقدم في مجال العمل التنظيمي بحيث تقرر ابعاده عن النشاط التنظيمي المحض ، وبعد حصوله على عمل ضمن مجال اختصاصه الدراسي ، كرس للنشاطات خلف الجبهوية لتهيئة المعدات واللوازم ، فقد حصل في سنة ١٩٧٠ وبعد حصوله على الشهادة الجامعية على وظيفة في شركة الكهرباء الاقليمية حيث عمل الى تشرين الاول ١٩٧١ حتى علم البوليس السري بأمره . وبعد مضي فترة امدها سنة واحدة من العمل العسكري في صفوف المنظمة ، اتخذ موقفا سلبيا وعهدت اليه مهمة خالية من المسؤولية من الناحية العملية ، وبعد قضائه فترة انتقالية من اوائل سنة ١٩٧٣ ، ابدى استعدادا للعمل الصحيح فعهدت اليه بعض المسؤوليات . وزادت هذه المسؤوليات في صيف ١٩٧٣ . ظل سالكا طوال هذه الفترة لا يبد اي اعتراض حتى بعد أن وجهت حراب النقد اللاذع الى الاعمال الانحرافية الاخرى والى ماضي المنظمة وافراد آخرين ، لكنه بمجرد تعرضه شخصيا الى الحساب وتصفح اوراق سجل اعماله ، اتخذ موقفا سلبيا للغاية سرعان ما تحول الى موقف خياني محض.

فخلال اتخاذه للمواقف السلبية ، كان يقر بكل ضعف بنواقصه الذاتية والانتقادات الموجهة اليه بسببها من طرف، لكن ما كان يبذل اي جهد باتجاه تغيير ذاته واصلاح نقاط ضعفه وانتقاد نفسه، من طرف اخر وبهذا ثبت بأن اعترافه بنواقص الذاتية وقبوله للانتقادات الموجهة اليه بسببها لم يكن بمثابة انتقاد ثوري للذات وكمبادرة نحو التغيير وتصحيح الاخطاء بل كان يشبه ، اكثر من اي شيء اخر ، اعتراف المذنب امام القسيس . ومن هنا ، اي من حيث مهادنته مع نقاط ضعفه ، فانه لم يبد اي استعداد لشن نضال حازم ضد هذه النقاط وبذلك وضع اولى الخطوات على طريق الانحدار والسقوط في الخيانة . وبعد ذلك ، غدا لا يعترف بالانتقادات الموجهة اليه ونقاط الضعف التي بعاتق بنفسها وهي ما كان قد اقترها مرات ومرات قبل ذلك بعد ان انكشف امرها ، ليس ذلك فحسب ، بل غدا يبررها بحجج ومعاذير غير ثورية ويعطي لذلك اسبابا واهية ، الامر الذي كان يتعمد كل يوم بمسافات من النضال الثوري الى ان بلغ به الانحطاط حدا بادر ، من خلال اتخاذ سلوك تآمري انشقاقي تحت واجهة الولاء والاخلاص للمنظمة ، بادر بكل خسة الى الاخلال بعمل المنظمة واحداث التخريب فيه وبعثرة المناضلين من حولها وزرع اليأس في نفوسهم .

اما الخائن رقم ٢ ، فيسمى مرتضى صمدية لباف ، تمكن من الافلات من ايدينا في لحظة تنفيذ حكم الاعدام فيه ، لكنه وقع في قبضة البوليس ، وتشير الظروف

الاحتمالات الى ان العدو ، هو الاخر ،سيحكم عليه بالاعدام ، ذلك لانه على رغم المعلومات الكثيرة التي وضعها تحتتصرفالبوليس وانزلاقه الى حد التعاون الكامل مع العملاء ضد منظمتنا ، لكنه لن يستطيعانقاذ جلده بسبب مساهمته في واحد او اثنين من الاعمال العسكرية ومنهـــــاالمساهمة في الحادث العرضي الذي ادى الى مقتل احد مأموري الدرك الذي كانقد هم بتفتيشه بحثا عن المواد المخدرة التي ظنه من حامليها (لقد تحقق هـــذاالاحتمال فعلا بعد مرور عدة اشهر حيث تم تنفيذ حكم الاعدام بحق هذا الخائن منقبل السلطة العميلة ـــ المترجم)

٨ ـــ ان الانتقاد ، على وجه العموم،يتوقف على الاطار البدئي والفكري للفرد او المنظمة او المجموعة ، ومن هنا فلايمكن قط توجيه النقد الى فرد مؤمـــن بالدين ، على ايمانه بالقوة الغيبيـــةالخلاقية ، او بالجن او بالملائكة ، او ادائه بعض الفرائض دون دليل مادي ملموس ،ذلك لان هذه الاعمال والمعتقد ترتبـــط بالاثار النفسية لنفس هذه المبادىء والمعتقدوهي نتيجة حتمية ومنطقية لها ولا يمكـــن نقدها دون نقد المبادىء المعتقدية بشكلشامل ، لكنه يمكن انتقاد نفس هذا الفرد كان نقول له : لماذا لا يتحمل ، في اطارنفس هذه المعتقدات ، مهاما اخرى ايضا ومن جملتها الجهاد من اجل ازالة الظلموالتمييز والفساد والحرب ومن اجـــل العدالة والمساواة ؟ (مستندا الى نفسالنصوص والاحكام الواردة في الدين) .

٩ ـــ من آخر التحركات الخيانيـــةالهذين الشخصين، سرقة احدى مستودعات الاسلحة التابعة للمنظمة التي بقيت فيحوزتهم . وتفاصيل الموضوع هي انهمـــا تركا محتويات المستودع لدى شخـــصضعيف النفس اسمه سيف الله كاظميان ، حيث ظلت بحوزته الى ان استطاعـــتمجموعات من رفاقنا ، بعـــد التقصي والتحقيق ، رصد وجودها لديه وتقـــرر الاتصال به . كان كاظميان هذا فيما سبق من الساعين في التغلغل ، لكنه كان منذمدة طويلة قد انغمس فيالحياة البرجوازية الصغيرة والعلاقات التجارية لذا ما كانيمالرة موضع ثقة من لدن المنظمة (حتى كان قبوله للتعاون مع هذين الخائنين ،على الرغممن اعلانه عدم المعرفة بهما وبأعمالهما ، دليلا على جوهره المعاديللثورة وتصديقا لما كنا قد ذهبنا اليه حوله) ... وتم الاتفاق خلال الاتصالات التيجرت معه اعادة محتويات المستودع الـــى المنظمة ، لكنه خلال نفس هذا الوقـــت ،اي يوم واحد قبل موعد تسليم المستودع، تعرض للاعتقال نتيجة وشاية « صديـــقالباف » به ، وبعد اعتقاله لم يكتف بتسليم المستودع كاملا الى البوليس (كانت هذهالمحتويات هي التي عرضها بوليس الشاه الخائن للجمهور خلال حملته الدعائيـــةضدنا ، بعد أن اضاف اليها الاكاذيـــب

التقليدية ، اذ ادعى انه استولى علـــىمنشـــرةبنادق ومخزن ذخيرة ... الخ) بل ابدى استعداده الكامل لتعاون معه ، بكلوضاحة ، وكشف له عن الموعد المضروب في اليوم التالي مع أحد رفاقنا المكلفيـــنباستلام المحتويات (الرفيق الشهيد محمد طاهر رحيمي) ، ووقعت خلال ذلك ،احدى زلقاتنا ، بنتيجة اثر تزايد كرماني التي كانت قد كلفت بالاستطلاع المسبقللمحل الذي حدد لاستلام المواد . لقـــد وقف الاهمال من جانب كلا الرفيقين في عدمالتحوط المسبق وراء وقوعهما في شبكة العدو ، اذ كان الاتفاق يقضي بأن تضعالرفيقة منيجه علامة تدل على الخطر او السلامة في مكان يبعد قليلا عن مكـــانالموعد المضروب مع كاظميان ، حتـــى يستطيع الرفيق محمدطاهر رحيمي اتخاذالخطوة التالية المناسبة وفق العلامـــة، لكن الرفيقة منيجه وضعت العلامة في محلقريبجدا من المحل المتفقعليه مع كاظميان وكان المحل الاخير قد احتل احتلالا كثيفامن قبل البوليس (حوالـــي ٢٥٠ منهم) وحوصر حصارا شديدا ، الامر الـــذيسهل اعتقالهما .. وكان الاتفاق يقضي على ان ينفذ الرفيق رحيمي الموعد مـــعكاظميان بعد نصف ساعة من اعلامـــه بسلامة المكان من قبل الرفيقة منيجه، امنالجدير بالذكر ، ان هذين الرفيقيـــن ، قد تم حكمالاعدام بحقهما من قبلالسلطاتالايرانية ، اضافة الى ستة مناضليـــن اخرين من رفاقنا في المنظمة ، وذلك اثرعملية الاونك في نيبنا ـــ للتوضيح مراجعة جريدة ايران الجماهيرالعدد الاول ـــالمترجم)

١٠ ـــ ان تعرضنا بشكل متصاعد الىالحملات الوحشية من لـــدن العدو ، وتوجيهه نارا الحقد واللؤم ضدنا واتهاماتبمختلف الانهايات ليس امرا غير طبيعـــي بل هي ظاهرة ايجابية بحد ذاتها . ان هذاالواقع ، ليقدم دليلا واضحا عـــلى ان مهامنا السياسية ـــ العسكرية ـــ الاعلاميةقد اصابت بمنه الثقب وهو المكان الـــذي صوبنا اليه ، وان طريقنا هو نفـــسالطريق الذي يرى العدو هزيمته ونهايته المحتمة في انتهائه . ان النقطة الجديـــرةبالاهتمام في الحملة الدعائية التي يشنها العدو علينا هي ايضاع مهندسي دعايتهالى الاشارة الـــى الهواتف الماركسية ـــ اللينينية للمنظمة ، فهو بالرغم من علمهبالهواتف الفكرية الجديدة التي تبنيناها من خلال نصوص الوثائـــق والمستمســـكاتوالمعلومات التي حصل عليها ، نفضل ان يطلق علينا هجومه كالسابق من نفـــسالهواتع الايديولوجية القديمة وذلك لاسباب متعددة من جملتها رعبه القاتل من انتشارهذه الافكار ، والتأثيرات التي قد تتركها على المجموعات والعناصر الثورية !

١١ ـــ يلاحظ باننا نتحدث عن المنشـــاالطبقي لا الجوهر الطبقي الحالي لهـــؤلاء الافراد ، وواضح ان المثقف الثـــوري لايبقى برجوازيا صغيرا بالضرورة ، رغـــم

انحداره من منشأ برجوازي صغير ، بل في وسعه ان يغير مواقعه الطبقية السابقة لصالح مواقف الطبقات الكادحة خلال مجرى عملية التطبيق الثوري - وعلى نفس المنوال ، في وسع المضمون الطبقي للاهداف السياسية — الاجتماعية للثورة او المنظمة الثورية ، او الافراد المرتبطين بهذه المنظمات ان يحدد الجوهر الطبقي لهذه المنظمات او الافراد وليس انحداراتهم الطبقية بالضرورة .

١٢ — يراجع مقدمة « حول بيان وحدة المنظمات الثورية في امريكا اللاتينية » ومقدمة كتاب « الانقلاب البروليتاري والتحريفية الخروشيفية » ، من كراسات منظمة مجاهدي الشعب والمدونة في الملاحق ١ و ٢ من نص هذا البيان .

١٣ — جدير بالذكر ان ما نعنيه بـ « الحركة » في كافة اجزاء هذه الرسالة هو « حركة التحرر الوطني الثوري » — المترجم — .

١٤ — كانت النشاطات الحماسية الواسعة خلال ١٩٤٠ الى ١٩٥٤ ذات طابع مهني — اقتصادي من جانب العمال بقيادة الاتحاد المركزي لنقابات العمال والكادحين . غير ان اعضاء هذه الاتحاد الذين كانوا بالذات عناصر مخلصة وواعية للطبقة العاملة والاهداف العمالية ، كانوا خاضعين لتوجيه حزب توده وقيادته التحررية التي لم تخلق في استغلال الامكانيات الثورية لهذه الاوضاع والاستعدادات الواسعة الفعلية والكامنة لدى العمال وتشكيل التنظيم السياسي والحقيقي النابع من الحركة العمالية فحسب ، بل كانت تقف حجر عثرة امام تحرك العمال (كاشتراكها في وزارة ائتلاف السلطة — اليميني الرجعي - المترجم — او كسر اضرابات عمال شركة النفط الشهيرة من خلال ارسال عدد من زعماء حزب توده الى محل الاضراب واقناع العمال بانهاء الاضراب !) وذلك من خلال نشر الافكار السياسية الانحرافية في صفوف العمال وبالتالي تحريف حركتهم (كالوقوف بوجه سياسات مصدق المعادية للامبريالية ومسألة طرح الشعار الرجعي الداعي الى تأميم نفط الجنوب في وجه شعار تأميم الثروة النفطية اذ كان الشعار الاول من شأنه خدمة المخططات الامبريالية بشكل مباشر) .

١٥ — انه لما يستوجب اخذه بنظر الاعتبار ، ان هذا النوع من الوعي السياسي البرجوازي الصغير عندما يدخل في العلاقات الانتاجية الاخرى وفي حياة البروليتاريا ، يخضع الى تأثيرها فوراً وتحاول البروليتاريا ان تكيفه بشكل يتطابق مصالحها والقضايا اليومية لحياتها . ونورد على سبيل المثال حالة يسأل فيها

عامل في احدى الاجتماعات شبه السياسية — شبه الدينية التي يشكل افرادها المحدودين يشكل رئيسي العمال الشباب المنخرطون في العمل حديثا يسأل مسؤول الجلسة الذي كان عالما بسنا ، لكنه متأثرا وكادحا ، : « هل يحق لنا ان نصادر اموال صاحب العمل ؟ وان نأخذ من منتجات المعمل ، مثلا لانفسنا ؟ » . وقبل ان يبادر العالم الشيخ الى الجواب يلقي عليه نفس الشخص سؤالا اخر : « اليست ثروات ورساميل هؤلاء حصيلة كدحنا ، اذا لماذا يجب الا نبادر الى مثل هذا التصرف ؟ » . وهكذا يقضي العامل على تردد العالم فلا يجد مجالا غير الايماء برأسه بعلامة التأييد .

١٦ — يمكن ايجاز الدلائل الاكثر وضوحا على هذا الامر (عدم تنظم وتأخر مستوى الحركة العفوية لهذه الطبقة) في الصور التالية ، اضافة للصور المبينة سلفا :

١ — ان البرجوازية الحاكمة في ايران هي ، في الاساس ، برجوازية بيروقراطية ذات طبيعة سمسارية (كمبرادور) ، اي ان السياسة الانتاجية ونمو وتوسع البلاد الاقتصادي لا يعود الى المتطلبات والحاجات الوطنية الحقيقية والاصيلة ، بل يتبع ، على وجه الدقة ، متطلبات الاقتصاد المتسلط ، ونعني بذلك هنا ، الامبريالية الامريكية . ومن هنا ، فان ذلك يؤدي الى حرف نظام النمو الطبيعي والاصيل لقوى الانتاج ، وعلى سبيل المثال ، في نفس الوقت الذي تمارس فيه البرجوازية الحاكمة نفسها سلطتها المركزة على المجتمع والمتسمة بالابتزاز السياسي والاقتصادي من خلال تقوية القوى غير الانتاجية ، توسيع البيروقراطية وتقوية الجيش والمؤسسات البوليسية .. الخ ، وفي نفس الوقت الذي تعقدت فيه بشدة اجهزتها الحكومية المختلفة (الدولة ، المؤسسات الادارية ، الجيش ، البوليس و ... الخ) التي تهيء لها جميع الوسائل الممكنة لممارسة سلطتها الطبقية (البرجوازية المرتبطة) ، فانها تعرقل بمختلف الاساليب والطرق نمو وتنظم البروليتاريا والمنظمات الطبقية والسياسية المنعلقة بكل ما اوتيت من قوة .

ان البروليتاريا ، تتحرك بالضرورة لا بشكل بنياشي مع نمو وتشكل راس المال ذات الصفة البيروقراطية والسمسارية في هذه الحالة (اي في ايران) ، بل انها تبدأ التحرك بعدها بخطوات وتبادر الى ذلك من نقطة اضعف بكثير من الاشكال الكلاسيكية التي جرت في التطور الرأسمالي . ان هذه الظاهرة ، اي التخلف النسبي لتحرك البروليتاريا ، نقطة المبادرة الى كسب الوعي الطبقي ، التنظم وتشكيل منظماتها المهنية ... الخ من قبلها بالنسبة الى عملية تنظم وتعقد الرأسمالية في مثل هذه المجتمعات ، تملك تعبيرا تاريخيا محددا ايضا . ويكفينا ان

نعلم بأن انتقال ايران وتوجيهها نحـــوالرأسمالية تحقق قبل كل شيء وبشكل رئيسي تحت تأثير مصالح الامبرياليـــةالامريكية . ان هذه الرأسمالية لم تنشأ خلال اية عملية نضالية ديمقراطية ضـــدالقوى الرجعية والعلاقـــات الانتاجيـــة القديمة فقط ، بل انها خلال اتحاد غيرمقدس مع حلفاء الاستعمار القديم ورثت جميع اسلحتهم واساليبهم الدكتاتورية ،واضطهادهم التاريخي السياسي والثقافي واضافت بذلك اليها اشكال الاستغلال الرأسمالي للعمل ايضا الى اساليـــب القمع والاضطهاد التقليدية (الانطباعية)دون ان تنشأ خلال مثل هذا التطور اية امكانات ملائمة وتقدمية للقوى الشعبية .

ب ــ ان البرجوازية الحاكمة الايرانيةبمساعدة تيار النهب الوحشي للثـــروات الدولارات من موارد النفط ، تتمتـــعبامكانيات هائلـــة لاجـــراء المناورات الاقتصادية ــ السياسية المختلفة . وهذاالوضع قد وفر امكانية ترميم وضعهـــا الاقتصادي المتردي من خلال ازدياد مواردالنفط خلال الـ ٦ــ٧ سنوات الاخيرة ، خصوصا في الفتـــرات المتزامنـــة الثلاث(سنوات ٦٨ــ٦٩ و ٧١ الى ٧٣) . فلقد استطاع النظام مواجهة النقص الفظيـــعفي المواد الغذائية الذي حدث في سنة ٧٤ فقط بالاستناد الى الموارد النفطية الهائلةالتي صبت في جيوبه . كما ان البرجوازية الايرانية قد مرت خلال العقد الاخير ، منخلال الاسواق البكر والمعادن الهائلـــة الموجودة في باطن الارض والايدي العاملةالرخيصة ، وكذلك موارد النفط ، مـــرت بعملية نمو ملحوظة للغاية . ومن الطبيعيان تبادر البرجوازية (في مرحلة واحدة) خلال فتـــرة النمو (فترة الازدهـــارالاقتصادي) الى تكريس جزء يسير مـــن مبالغ فائض القيمة الهائلة المتحققة ، مرةاخرى لتثليف الظروف الاستغلاليـــة البالغة الصعوبة ودفع التيارات العارمةمن الحركة العمالية الى الوراء ، لصالح الطبقة العاملة (الاجراءات الترغيبيـــة ،الضمان وزيادة نسبة الارباح ... بلاحظ ان مستوى فائض القيمة في معامل ومصانعايران تتراوح بين ٢٠٠ الى ٤٠٠ بالمائة تبعا للتركيب للبنية العضوية للراس المالودرجة حدة استغلال العمال) . وبالتالي لكي تؤخر لمدة من الزمن بروز الوضـــعالمتأزم الحتمي الناشيء من تصاعد الحركة العمالية (ان هذا الاسلوب ، لا يمكـــناستعماله لمدة طويلة بالطبع ، ذلك لانـــه يؤدي فورا الى تصاعد الاسعار والتضخمالنقدي الامر الذي يزيد فيالطين بلة ويمنح الحركات العمالية قوة واندفاعا اكثـــرويؤدي كذلك الى ركود مصدره التضخم وبالتالي توسع الازمة وانتشارها بيـــنالطبقات الاخرى ايضا) ، ان هذا النمو قد بلغ حدا الان، اصبحت فيه البرجوازيةتواجه نقصا شديدا في الايدي العاملـــة والفنيين - بعبارة اخرى ، هناك اشباعكامل في التشغيل (بغض النظر عن عجز

البرجوازية الايرانية عن التجنيد الكاملالجميع قوى العمل) وان سوق الاستهلاك في احدى اعظم انواع الارقام القياسية ،لا زالت بحاجة الى البضاعة (بجـــب ملاحظة ان عدم توازن النمو والسياســـةالاقتصادية اللاوطنية التي يمارسها النظام الحاكم قد تركا اثارا حتى في طريقـــةاستثمار قوى العمل والاستفادة منها في مناطق ايران المختلفة ايضا ، وهذا ممـــاشكل اخطارا جدية وكبيرةللنظام ، فمثلا في الوقت الذي تعاني الرأسمالية بشدة منقلة الكادر المتخصص ، هناك الكثير مـــن هذه الكوادر تصدات في برك البيروقراطيةالتي تديرها هي ولا تلعب اي دور فـــي الانتاج . او انه في الوقت الذي يشـــنالالوف المؤلفة تحت وطأة البطالة المقنعة المكرسة في الاشكال المختلفة من النشاطاتاللاانتاجية الطفيلية نراها بضطرة الـــى استخدام العمال الاجانب وفي وقت يبلغأجر اتفه انواع العمل ، ولاربعـــة عشر ساعة بتوالية ، في احدى القصباتالتابعة لمدينة مثل « مراغة » مثلا ، اقل من عشرة تومانات ، لا يمكن الحصـــولعلـــى عامل بسيط في بندر عباس حتى ولو عرض اجر قدره عشرة تومانات لكل ساعةمن العمل ... ان هذه الامثلة صـــور للميزات التي تتمتـــع بالازمة القاطـــعةللرأسمالية الايرانية وتدهورها الى الامام بسرعة بالغة) .

وهكذا ، فلا الرأسمالية ولا الطبقة العاملة (بطبيعة الحال إذا مررنا بعدمرحلة ركود وكســاد - ان هذه التجربة التـي لن يطول الانتظار لها بسبب الاوضاع الحالية (التضخم الشديد والنقص في المـــوارد النفطية) ستلقن الطبقة العاملة ، بطبيعة الحال ، دروسا بليغة - انما تعني بالركودوالكساد ذلك الذي يشكل كابوسا قاتلا على الخصوص لانظمة مثل النظام الايراني الذي يعاني بالذات مـــن التضعضـــع السياسي الفاحش وعـــدم الاستقرار الواضح ، وقد يكلف الوقوف بوجهـــه استفحال التضخم وارتفاع الاسعار بشكلمتبع (تسمى المطبوعات سياسة هويدا الاقتصادية ، سياسة الضغـــط علـــى البنزين ، مقابل سياسة الضغط علـــى الكابح في السيارة ، ونقول ان هويدا لم يعتد على الضغط على عقلة التوقف) . وليس بلا سبب ان يتبجح الجناح الحاكممن النظام (زمرة الشاه وهويدا ...) امام بعض التكنوقراطيين وخبراء الاقتصاد بأنقضايا الاقتصاد الايراني ، في الاســاس ، جوهرا سياسيا ولا يمكن وضـــع الحلـــول المناسبة لها الا من خلال اتباع الاســاليب السياسية !

ومهما يكن من امر ، انه واضح فـــيمثل هذه الظروف المتسمة بالنمو والازدهار الاقتصادي بأن امكانات ضخمة تتوفـــرللبرجوازية ، سواء مـــن الناحيـــة الاقتصادية او من الناحية السياســـية ،للوقوف بوجه الحركات العمالية العفوية أو حركات سائر طبقات الشعب ، ولقـــداستغل النظام الايراني الامكانيـــات

المذكورة استغلالا جيدا خلال هذه السنوات. ومن المعلوم ان هذه الامكانيات التي تستند بشكل رئيسي على الموارد النفطية المتزايدة ، ستتحول في مرحلة زمنية معينة وبعد ان تنضب جميع الموارد والموارد الاضافية في جوف الجشع البرجوازية الحاكمة في البلاد ، واسيادها الامبرياليين ستنقلب الى مرض قاتل يفتك بنلابيبها (أزمة التضخم ، الارتباط الاقتصادي الاوثق باليلدان الاخرى وبالاستيراد المتزايد ... وتخلف مجالات الانتاج الاساسية عن التطور بسبب التوزيع الغير متوازن ، وبالتالي ارتفاع الاسعار ، ازدياد الاضرابات وتصاعد الحركات الجماهيرية والعمالية ، تفاقم الكساد والازمة الاجتماعية ــ السياسية). وعلى سبيل المثال ، لولا الموارد الاضافية الناجمة عن ارتفاع السعر الجديد للنفط (في اوكتوبر وديسمبر ١٩٧٣) ، لكان النظام قد وقع بسرعة في أزمة مضاعفة من التضخم والركود ، اشد بكثير مما اصاب البلدان الغربية وذلك بفعل اتجاه الاوضاع السوقية العالمية الى الركود من جهة ، واتجاه النظام نفسه نحو هاوية الازمة الاقتصادية الداخلية من جهة اخرى . لكن هذه الموارد اتخذته في الوقت المناسب واتاحت له الفرصة للوقوف نوعا ما بوجه التصاعد الفاحش في مستوى الاسعار وذلك من خلال استيراد كميات هائلة من المواد الغذائية كما وسمحت له المجال للموافقة على زيادة اجور العمال بنسبة مئوية مثيلة ، والاحتفاظ بالتالي بتحركه الاقتصادي المتعاجل بموازاة هاتين الحركتين . كانت هذه السياسة التي طبقت في مرحلة أولها سنتان (٧٣ــ٧٥) سياسة ناجحة بخصوص الوضع الاقتصادي النامي والازدهر (طبعا من خلال نفس المنظار الذي تنظر به الطبقة الحاكمة الى النمو والازدهار) ، وأما بخصوص الوقوف بوجه الحركة العمالية ، فمع انها لم تقدر على ايقافها بشكل تام (اضرابات سنة ١٩٧٣ واوائل سنة ١٩٧٤) لكنها ضيقت من مجال توسعها وازدياد نفوذها اذ تشير الدلائل الان (صيف ٧٥) مرة اخرى الى تصاعدها وتوسع تأثيرها . أما بخصوص ايقاف التضخم الى منتصف سنة ٧٤ ، فان هذه السياسة (سياسة الابواب المفتوحة) كانت ناجحة نسبيا . غير انه منذ هذا الوقت ، شرع التضخم بالتعاظم ، بشكل موازٍ مع التداول الاكثر للعملات التي جاءت بها الموارد النفطية الهائلة (دون ان تكون لها رصيد انتاجي) بحيث ان مستوى ازدياده بلغ ٣٠ بالمائة تقريبا في منتصف صيف ١٩٧٥ على الرقمين الاجراءات التقشفية الخفيفة التي اتخذها النظام في اوائل سنة ١٩٧٥ . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان النظام تجنب في برنامجه الجديد الخاص بمنع التضخم ، اتخاذ التدابير الاقتصادية اللازمة (الاجراءات التقشفية الشديدة) خوفا من الركود المحتمل وبادر ، بدلا من ذلك ، الى الاساليب السياسية هنا ايضا (الاعتقال ومعاقبة مروجي الغلاء !)

الامر الذي سيترك ، بطبيعة الحال ، وبشكل ذاتي وغير مباشر ، اثار مهمة على عملية الانتاج على المدى البعيد .

ج ــ لقد تمكن الارهاب الدكتاتوري الاسود من صد الحركة العمالية عن اتخاذ اي اتجاه سياسي وكذلك وضع العراقيل الاخرى الكثيرة أمام شرب الوعي الثوري والاشتراكي الى داخل هذه الطبقة ، كما تمكن من ايقاف نمو الحركة الحقوية داخل هذه الطبقة الى حد ما ، ومنعها من رفع صوتها مطالبة بتحقيق مطالبها الآنية واليومية . طبعا ، نشأ الحركة الحقوية لطبقة العاملة ، كما يتضح من اسمها ، اساسا من الاوضاع الاقتصادية ومستوى استغلال الطبقة الحاكمة ، والضغط الاقتصادي ــ السياسي الذي تمارسه البرجوازية على الطبقة العاملة . لذلك تعتبر ضرورة اساسية وتنشأ ، بشكل مستقل عن اية ارادة فردية او عملية واعية ، لكن نظام القمع والكبت البوليسي الشديد يؤخذ بنظر الاعتبار لا بصفته عاملا يوسعه الفضاء على حركة الطبقة العاملة ، بل بوصفه سدا من شأنه ان يؤثر بشكل ملحوظ على توسع مجالها ، واستمرارها او رفع مستواها . واذا كان من الممكن في الظروف الديمقراطية ان يتوسع مجال الاضرابات والاعتراضات الحقوية العمالية بسرعة وان تشمل كل بقعة ممكنة ، فانه في الظروف الدكتاتورية يمكن لكل حركة حقوية للعمال ــ على شرط توفر قوة واعية وذكية قائدة ــ ان تأخذ لنفسها بسرعة ، سرعة اكبر مما هي في الظروف الديمقراطية شكلا سياسيا ومعاديا للحكومة . ومن هنا فان القوى النوعية الموجودة داخل هذه الحركات (الحركات الحقوية الموجودة في ايران) ستكون اقوى بكثير مما هي في حالات مشابهة في البلدان الراسمالية ذات الانظمة الليبرالية .

١٧ ــ هنا لا نقصد نحن تحليل وتفسير الظروف السائدة في ارياف ايران ولا النمدي للوضع الطبقي والاتجاهات السياسية والاقتصادية السائدة بين الفلاحين ولا تقييم محتوى واهداف الحركات الفلاحية بل ان هدفنا كما يبينه العنوان المذكور اعلاه ، هو القاء نظرة عابرة على الاوضاع العامة لهذه الحركة وعلاقتها بكامل الحركة الثورية .

١٨ ــ عندما نتحدث عن المؤمنين بالخط السياسي ، فاننا نقصد هؤلاء المناضلين الذين يستندون على المبادىء الثورية الماركسية اللينينية ويعملون بما يؤمنون به باخلاص ، لذا فلا مجال للتحدث عن تلك الكتلة من الانتهازيين الذين يمررون كسلهم بحجج مثل نظريات « العمل السياسي الهادىء » وغير ذلك من

السفاسف ، وكذلك تحريفي قيادة حزبهنوده السابق الذين لم يتخلوا عن الدعاية لخطهم الاستسلامي التآمري التحريفي تحت عبارات وشعارات طنانة وفارغة. ان العمل السياسي الهادف وتشكيل الحزب لدى هؤلاء السادة ليس سوى « السند المتين » الذي يمكن به جر ثورة الشعب المسلحة الى هاوية الانحراف والقضاء عليها مقابل امتيازات ! من الطبقة الحاكمة — مثل الحصول على المناصب المادية من البرجوازية الليبرالية الايرانية (و نفس العمل الذي سبق وان ارتكبوه في وزارة قوام السلطنة) وليس من قبيل الصدفة ان لا يتجاوز تصورهم للتغيير ضد دكتاتورية الشاه حد تبديل هذه الدكتاتورية بحكومة برجوازية ليبرالية ، وليس من قبيل الصدفة ايضا ان يروجوا لخلاص ايران من الاوضاع الدكتاتورية ، طرحه حل شبيه التقلابي او انقلابي مثل بنغلادش (التي رأينا مصيرها) وافغانستان !

١٩ — هنا ، نبتدع من ذكر الاسباب الفرعية لهذا الوضع ، منها الانكسار المتعمد لبعض المجموعات الدينية المناضلة ، الضغط الفظيع من جانب الدعايات المسمومة التي تروج من قبل الامبريالية ونظام الشاه وكذلك الرجعية الدينية .

٢٠ — سنتناول هذه الفترة الانتقالية وتاثيراتها في تأطير الاراء والافكار والايديولوجيات بتوضيح اكثر في الملحق الثالث لهذا الكتاب .

٢١ — ان كلامنا هذا لا يعني باننا لم نأخذ بعين الاعتبار تأثيرات التجارب الثورية العالمية والتعاليم الكلاسيكية في حقل الماركسية التي كانت ضرورية جدا لايجاد وتعجيل نضوج الظروف الذاتية الملائمة لادراك واستيعاب هذه التجارب التي هي محدودة النطاق ، لكنها موضوعية ، وتللنا من قيمتها - ذلك لانه، لو كان الامر كذلك ، لتشابهت أعمال تابع اعمال التجريبيين ضيقي الافق ، ولما كانت استنتاجات مبدعة للثوريين تمكنوا من خلال عملية النضال ومن منطلق خاص، التوصل الى فهم الحقائق الفلسفية العلمية الشاملة .

٢١/١- كان حيدر خان من الشيوعيين الايرانيين الاوائل وقد لعب دورا نشطا في نضالات الدستور - وهو ايضا من مؤسسي جمعية الاجتماعيين العاميين والمركز الغيبي الذي كان يقود سرا انتفاضة الجماهير في تبريز اثناء نضالات الدستور. (المترجم) .

٢٢ —

حول الثورة الدستورية

لقد اندلعت الثورة الدستورية ضد حكم السلالة القاجارية الاقطاعي المستبد خلال العقد الاول من القرن الحالي وادت الى احلال السلطة الدستورية الملكية محل السلطة الدكتاتورية . وكان العبأ الاكبر من نضالات الشعب الايراني في تلك الفترة والتي استهدفت نظام القاجار وقلعة ذلك النظام اي البلاط وسلطة الشاه المطلقة على عاتق الطبقات المتوسطة والجماهير الكادحة في المدن واحرزت بعض الانتصارات .

وبما ان الحركة الدستورية كانت تحت قيادة تجار السوق وممثلي البرجوازية الصغيرة التقليدية وسيطرتهم ، فانها اخذت تنهار تدريجيا وبدأت عمليات القمع ضد الوطنيين من جديد (ولكن تحت بانطة الدستورية هذه المرة) وعندما بادرت الفئات البينية في الحركة الى مساومة الاقطاعيين وسيطرة على القجرة .

وعقب الانقلاب الذي نفذه كل من سيدضياء الدين الطباطبائي (المعروف بارتباطه بالانكليز) ورضا خان القوزاق (والد الشاه الحالي) في سنة ١٩٢١ بزعامة الانكليز ومن ثم الاطاحة بالسلالة القاجارية وسيطرة العائلة البهلوية على مقاليد السلطة في البلاد (والذي نفذ كليا على يد الانكليز) انتهت حياة الدستورية في ايران نهائيا وسيطر من جديد استبداد اسوء دام عشرين عاما (حتى تيقن الحرب الثانية وانقدام الانكليز على عزل رضاخان وتنصيب نجله على العرش) في ايران وقد عرفت تلك الفترة ، بفترة دكتاتورية العشرين عام السوداء لرضا خان . (المترجم) .

حول حركة الاحراش

استمرت نضالات الاحراش المسلحة في منطقة الاحراش الواقعة في شمال ايران ضد السلطة المركزية وقوات الغزو الاستعمار البريطانية لسبعة اعوام وحققت انتصارات باهرة ... ولقد تشكلت هذه الحركة اثر انتصار ثورة اكتوبر في روسيا واثر الدعم الذي تلقته القوات السوفياتية للحركة وتم تأسيس اللجنة الحمراء بزعامة كوچك خان في سنة ١٩٢١ والتي كانت تضم اتلافا من الشيوعيين والوطنيين ورجال الدين واعلن رسميا عن قيام جمهورية كيلان الاشتراكية . لكن تصاعد التناقضات وبروز خلافات داخل تلك الحركة ، مكن قوات رضا خان استنادا من القوات البريطانية في التحرك نحو الشمال والقضاء عليها . (المترجم) .

٢٣ — الى ذلك الوقت ، كان المثقفون الايرانيون ينتمون ، على العموم ، الى

المجتمعات الدينية المختلفة ، اي الـــى الكتاتيب والمدارس الدينية التي كانـــت تعكس تيارا كاملا من الافكار يسارهـــا ويمينها ، بحيث أن جناحا لا يستهان بـــه من قيادة حركة الدستور كان يبد مثل هذا النوع من المتدينين ، ومن هؤلاء السيـــد محمد الطباطبائي والبهبهاني وسيد جمـــال الاصفهاني الذين كانوا يمثلون اليمين ، ومن بعدهم الشيخ هادي والشيخ محسن نجم آبادي وملك المتكلمين الذين كانـــوا يتميزون بأفكار اكثر تقدمية ... كمـــا ان حركة « الاشتراكية الديمقراطية » التـــي كان يقودها المناضل الشهيد الشيخ محمـــد الخيابانى ، كانت هي الاخرى تتألف مـــن متدينين تقليديين .

٢٤ ــ جاء انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣ نتيجة المخططات المشتركة التي نفذت من قبـــل الدوائر الامبريالية الامريكية والبريطانيـــة وعملاءها المحليين ، الشاه والبلاط البهلوي المتفسخ وادى الى سقوط الحكم الوطنـــي بزعامة الدكتور مصدق واستلام الشـــاه لمقاليد السلطة من جديد . (المترجم) .

٢٥ ــ يراجع نص البراءة التي قدمهـــا الدكتور بهرامي سكرتير عام حزب توده .

٢٦ ــ كما ورد في كتاب « تحليل تاريخ نضالات ايران » ، كان شعار الجبهـــة الوطنية الثانية الداعي الى « مواصلة طريق مصدق » شعارا جامدا وميتا يستند الى تطبيق جامد « للنضـــال البرلماني » الذي قاده مصدق في الاوضاع القائمـــة حينذاك ، الامر الذي لم يكن بوسعه أن يعطي الجواب الشافي لمهام المرحلة . على اي حال ، بغض النظر عن الواقـــع الطبقي للجبهة الوطنية الثانية والرغبـــة الشديدة لدى العناصر اليمينية منهـــا للمساومة مع البرجوازية الكمبرادورية تلك العناصر التي كانت تمتلك مواقـــع هامة جيدة في قيادة الجبهة ، فان ما يكتبه مصـــدق بالذات في رسالتـــه المعروفـــة (نيسان ١٩٦١) الى حسن صدر بصـــدد نشر كتاب « الجزائر والرجال المجاهدون » حيث يقول : « ... وهذا ايضا لا بأس به ، اريد ان اقول بأن هناك شعب ينظر عن كل شيء في سبيل الحرية (المقصـــود هو ثورة الجزائر) ، ولو اراد الشعـــب الايراني ايضا الحرية ، فلا بد له ان يسلك ذات الطريق ... » ، يشير الـــى عمق الهوة التي تفصل قادة الجبهة عن المواصلة الجدلية لطريق مصدق ، وفي وقت كـــان مصدق يوصي بأساليب شبيهة بثورة الجزائر كان قادة الجبهة منهمكين في مغازلة الطبقة الحاكمة والامبريالية الامريكية التي كانت قد تحكمت حديثا بالبلاد ويعقدون الآمال على عودها القارئة ويستسمون باحلام الزعامة والنيابة .

٢٧ ــ على الرغم من ان قادة الحركة لم يعترفوا بادىء ذي بدء بهذا الانشقاق بل نعتوا المجموعة الجبهة الموحدة في وجه العدو واعتبروا انفسهم مؤيدين للشعارات التقدمية التي رفعتها الجبهة (براجـــع برنامج « حركة تحرير » التأسيسي) ، لكن الانشقاق حدث فعلا واتخذت قيادة الجبهة موقفا معارضا له تماما .

٢٨ ــ ان تحليلنا هنا يتركز علـــى المضمون السياسي ــ الفكري لـــ « حركة تحرير ايران » واراءها التي تتوضح على ضوء النشاطات العملية والسياسية التي اضطلعت بها . لذلك عنـــان آراء ومبادىء وخصائص الاشخاص الذين كانوا يمثلون فيها ، على شكلها الفردي لا تحتل اية اهمية لدينا . كما ان بعضهم ليـــس لم ينظر عن النضال فحسب ، بل تحول فيما بعد ، أما الى مناضلين بوائل ومخلصين في حركة الكفاح المسلـــح ، او كمـــروايشجاعة فيود « الاصلاحية » و « النضال القانوني » المهترىء من خلال مساندتهم للكفاح المسح . وهكذا فان انتقادنا الموجه الى المنظمات والاحزاب السابقة ينبغي ان استيعاب ضرورة تعلم مجموعـــة الدروس التاريخية التي تضمنه هزيمة هذه النضالات ايام شعبنا والقوى الثورية في بلادنا ، تلك الدروس التي اصبحت فـــي السنوات اللاحقة مادة في غاية التاثير في ترصين المحتوى السياسي ــ الايديولوجي لحركة شعبنا الثورية الحديثة الطراز .

٢٩ ــ ان سوابق هذا التفكير ترتبط بنضالات السيد جمال الديـــن الافغاني (الحركة الاسلاميـــة) ثم النضالات الارهابية المنظمة التي تخللت سنـــوات ١٩٠٠ والمقاومات السياسية وحتى المسلحة خـــلال فتـــرة الاستبداد القصيرة . ثم سنحت الفرصة لهذا التيار ان يظهر بعد انقضاء فترة دكتاتورية رضا خان على شكل مقاومات او نضالات سياسيـــة اوبرلمانية (مدرس وجماعتـــه) قمعت ــ بطبيعة الحال ــ بعنف بالغ وتشكل المحاولة الفاشلة لاغتيال المرحوم مدرس ثم تنفيذه في المنفى ، نموذجا لهذه الاجراءات القمعية من جانب النظام الدكتاتوري ضد الافكار المذكورة .

٣٠ ــ وكما تدل الوقائع التاريخية ، ظهر في هذه المرحلة ــ بشـــكل عام ــ نوعان مختلفان من اللجان السرية بجسمجميزها من بعضها البعض . النوع الاول الذي كان بشكل خاص تحت نفوذ وقيـــادة الاشتراكيين الديمقراطيين كـــ « مركز فيبي تبريز » (تجمع تبريز السرية) او بعـــض الاوساط السرية في طهران التي نظمـــت محاولة الاغتيال الفاشلة التي استهدفت محمد علي شاه (الذي تنبلة على عربتـــه من قبل حيدر خان) او اعمال تفجير القنابل التي استهدفت اشخاصا آخرين ، بـــل

وحتى اعدام رئيس الوزراء امين السلطان؛ على اختلاف الرويات الرائجة حـــول الحادث) ، والنوع الثاني ، الذي كـان يخضع بشكل خاص لسيطرة عناصـــر من الطبقات المتوسطة العاملة في المدن ورجال الدين التقدميين وغيرهـــم من مثقفي البرجوازية الصغيرة في المدن . ولقـــد انعزلت هذه الفئة ثم اضمحلت وذلك لاتباعها سلوكا ارهابيا اعمى .

٣١ ــ ان الجمود العقائدي الذي تميزتجه الفترة بيـن السنـــوات ١٩٤٠ ــ ١٩٥٠ كان انعكاسا ونتاجا مباشرا لفترة الركود والجمود التي اتسمت بها سنوات الدكتاتورية السوداء ، وهو ما خرج بشكل مرض سار اصاب التيارات الفكريـــة والسياسية واخضعها لتأثيره ، ويعتبر الجمود اليساري الذي اتسم به حزب توده والجمود اليميني الذي اتسم به « فدائيي الاسلام » نموذجين واضحين حول قـوة وتأثير هذا المرض في الافكار والنظـرات السياسية لذلك الزمان . وقد تكون اسوأ وانجع النتائج التي نجمت عن دكتاتورية رضا خان السوداء طوال العقدين مـــن الزمن ، هي ابعاد النـاس عن اعظم واكبر ميراث من المعرفـــة الثورية والتجربة السياسية والتنظيمية الوروثـــة خلال نضالات كبرى كـــثورة المشروطية بالدستور والحركات المسلحة في كيـــلان وآذربيجان وخراسان بحيث رأي الشعـب نفسه وجها لوجه مع فراغ سياسي سنكتيكي ــ تجريبي حتم البدء بكل شـــيء من جديد .

من الناحية التاريخية ، هناك ظواهر مشابهة تركت آثارا سلبية بمنشؤها اسباب بنائية نوعية انعكست في القاعدة . فمثلاكما كان هجوم المغول على ايـران ، او الحروب العدوانية بيـن الامبراطوريتين الاقطاعيتين ، العثمانية والصفوية المتمركزة في القرنـــين التاسع والحادي عشر (الهجري) (التي نشأت عن اسباب قاعدية) عوامل سطحـــية سببت في تأخير نمو القوى المنتجة في ايران (من الناحية التقانية ، يلاحظ توســـع التصوف والصوفية وتأثيرانهما على الحياة الاجتماعية للشعب في كلا القرنين) ، بنفس الطريقة تسببت الدكتاتورية ذات السنوات العشرين ، بدورها ، من خلال احلال القوة الامبريالية محل الاقطاعية التجارية البائدة والهرمة (العائلة التي سبقت البهلوية في ايران ــ المترجم ــ) ، من خلال تحويل النظام المتهلهل الواهن الى نظام مركزي وقوي سياسيا ومن خلال تبديل الجيـوش المحلية والقوى العسكريـــة الاقليمية المتشرذمة ، بقوة عسكرية واحدة وكذلـك تبديل وقوف هذا الامير او ذاك وقوفـــا معاديا للثورة ، بالوقوف المركز المتسم بالكبت الوحشي والتوجيه الامبريالي بوجه الحركات الوطنية ، الى التقليل من شدة التناقضات المتأرجة للانفجار داخل النظام الحاكم (المقاومة الجماهيرية التقانية وقوى

الدولـة الشائنـــة في سنة ١٩١٩ تعتبر نموذجـــا واضحـا للمستـوى الرفيع الذي بلغه الشعب من الوعـــي السياسي وتأثيله العملية في ذلك الحين)؛ وبالتالي تأخير نضوج الشروط الموضوعية الحتمية لاحلال الرجعيـــة الاقطاعيـــة المرتبطة .

٣٢ ــ كانت جماعة فدائيي الاسلام ، في الواقع ممثلة لافكار ومصالح فئة صغيـرة جدا من اكثر فئـات البرجوازية الصغيـرة التقليدية تطرفا ، وانحطت بالتالي داخل نفس انعزالها الثنوي . وكان هذا الانعزال الذي عكس الجمود الشديد والتفكـــير البيني اللذان تميزت بهما ، ، يقف حائلا دون كسب الفئات والمجموعات الاخرى من الشعب نحوها ، الامر الذي ادى بهـا ، بالتالي ، الى الانغماس اكثر فاكثـر في اعماق الجمود ، ويعتبر موقف « بمعادا قمصدق » الذي اتخذه هؤلاء لانفسهم ، وعلى وجه الخصوص الاغتيالات الفردية العمياء والخالية من اي مضمون ثوري او سياسي التي ارتكبها هؤلاء من العوامل المهمـــة في توسيع المسافة التي كانت تفصلهم عن الشعب وحتى عن الفئات الاخرى مـــن البرجوازية الصغيرة في المدن وعلى سبيل المثال ، لا الحصر ، يمكن ان نذكر محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها الشهيـد الدكتور حسين فاطمي (وزيـر خارجية حكومة مصدق والناطق باسمها الذي قتل بتدبير من الشاه الخائن وشقيقته الفاسدة اشرف) ، محاولتي الاغتيال الفاشلـة والناجحة في المحاولة الثالثة ، التي تعرض لها احمد كسروي المؤرخ البارز في القرون الاخيرة (لا لشيء ، سوى لمخالفتـــه للدين) ، واغتيال محمد مسعود الصحفي ذو الاحساس المرهف والمشهور في الفترة التي تلت ايلول ١٩٤١ والذي كان قـد اكتسب ود الجماهير لمقالاته الكرسة ضد البلاط الملكي . اضطر « فدائيي الاسلام » فيما بعد الى الامتناع عـــن « اعلان المسؤولية » عنه ، ثم عزى ابناء الشعب هذا الاغتيال فورا بسائر الجرائم التـــي اشتهر بها البلاط والامراء بسبب الحقـد الذي كانوا (ابناء الشعب) يكنونه نحـو النظام . وكذلك العقائد والاراء البدائيـة للغاية والمغرقة في التخلف التي اشتهروا بها (اي فدائيي الاسلام) (كـ « يجب ان يكون الشاه ابا للشعب » ! على سبيل المثال) هذه الاعمال تعتبر امثلة ودلائـل واضحة للاعمال والاراء الخاطئة التـــي ارتبطت بهذه الفئة .

٣٣ ــ ان الفهم المذكور كان ، فـــي الواقع ، نابعا من تناقض المصالح الطبقية التي كانت تضع البرجوازية الصغيـــرة المتوسطة السوقية وكسبة المـدن امام اتسى الفرص الاقتصادية ــ السياسية والثقافية من جانب السلطـة الجديـــدة للرأسمالية المرتبطة . ولقد اكتسب الفهم الغريزي للاوضاع ، على وجه الدقة ،

(نقول الفهم الغريزي ، لعدم وجود قيادةمنظمة) ، اكسب حركة ١٥ خرداد (٥ حزيران ٦٣) قابلية السير في الاتجاه‌السياسي الاصوب من خلال انخاذ موقف معاد للامبريالية والحكم الملكي (على‌رغم الموقف الاصلاحي الذي اتخذته‌الاحزاب الوطنية في الجبهة الوطنية ، حركة تحريرايران... الخ خلال نفس تلك السنوات). ويجب ان لا ننسى هنا ، طبعا ، نقطة‌مهمة الا وهي عدم وجود وجه للقياس قطعا بين حركة ١٥ خرداد سواء من حيث‌التركيب الطبقي والنفوذ الجماهيري بين مختلف الطبقات الشعبية ، او من‌حيث‌الاهداف السياسية التي نادت بها (معاداة الامبريالية والحكم الملكي) ، وكذلك من‌حيث التأثيرات المهمة للغاية التي تركتها على اتجاه تاريخ نضالات شعبنا ، وبين‌اعمال « ندائي الاسلام » وتأثيرها الاجتماعي المحدود للغاية . ان ما يجمع‌بين هذين الاتجاهين التكريين ، هو المنشأ الابتدائي لاتجاهها‌الفكري ، من حيث انكليهما انطلقا في البداية من قاعدةبرجوازية صغيرة تقليدية ، وما سوى ذلك ، فانتاني حالة حركة ١٥ خرداد نرى اقبالا فوريا وسريعا من لدن فئات الشعب المختلفة‌نحوها ، وهذا يعود الى الخط السياسي الصائب الذي سلكته ، ذلك الاتصال‌السريع الجماهيري الذي ادى الى تصحيح محتوى الحركة السياسية اكثر فاكثروبالتالي الى تصحيح وتسوية وجهات النظر الايديولوجية للبرجوازية الصغيرةالتقليدية التي كانت تشكل منطلق الحركة غير ان جماعة ندائي الاسلام عجزت عن‌تحقيق مثل هذا الوضع الايجابي ، ولم تنطلق مقدمها الفكرية اية تأثيرات ايجابية‌بالمقابل ،لهذا السبب ولا استقبلت ايه اراء حاملة للعوامل التصحيح والتخفيف .

٣٤ ــ من الواضح ان تاريخ نضالات‌شعبنا في العقود الاخيرة لا ينحصر في هذه التيارات الثلاث فقط ، بل هناك تيارات‌سياسية ، وبالتالي فكرية اخرى ، مارست تأثيرات فورية ــ لكن قصيرة المدى ــ وعكست كل منها آراء وتطلعات مجموعة او فئة من الطبقات الاجتماعية (مثل تيارديمقراطيي‌اذربيجان ، او سائر الجنحة حزب توده ، الحزب الاشتراكي للشعب‌الايراني ، جبهة التحرير الوطني الايراني، عصبة الاشتراكيين ...) ، التي لا يسع‌هذا المقال لدراسة تاريخها ، بل ان تحليلا كاملا ومفصلا للتاريخ السياسي‌ــ‌الاجتماعي‌لايران في السنوات الثلاثين الاخيرة هي التي سيوضحها . ان اشارتنا الى هذه‌التيارات الفكرية الثلاث منشؤها فقط عمومية كل منها ، التميز الطبقي الواضح‌بينها ، والاهم من كل ذلك الاثار البعيدة المدى والحاسم التي تركتها على مسارتاريخ ايران .

٣٥ ــ بالنظر للدور المهم الذي لعبه‌المهندس مهدي بازركان في بيان وتدوين وصياغة وجهات النظر هذه ، فان يمكن‌اعتباره ممثلا لهذا التيار ، اذا ما كان ذكر اسمه او الاشارة اليه فيما بعد انما‌تعني الاشارة الى افكاره والاراء التي يحملها ضمن هذا التيار فقط ، وليس‌شخصه بالذات .

٣٦ ــ لم تكن البرجوازية الوطنية في‌ذلك الزمان ، من حيث الحجم ، قوة رئيسية قياسا الى البرجوازية الصغيرة ،لكنها في المقابل تمتعت بقسط اكبر من التأثير والازدهار بالنظر لجوهرها الطبقي‌وروحها التوسعية الطموحة .

٣٧ ــ المراد بـ « اليمين » ليس‌بالضرورة معناه الطبقي ، بل معناه الايديولوجي والسياسي بشكل رئيسي ،اذ انه على الرغم من اتباع هذه الفئة لاساليب بسارية توفوية عسكرية او في‌التطبيقات الاخرى ، كان الوجه الاخر للعملة يعكس ــ في الواقع ــ الاراء‌التوفوية لافرادها ، وكان المحتوى الاساسي لهذه الافكار يجسد نوعا من‌التوفيقاتية اليمينية التي هي في الواقع محافظة فكريا وهذا ما يظهر بجلاء في« الكراس الخاص » المشهور الذي يعكس آراء هذه الفئة .

٣٨ ــ سيد ابو القاسم كاشاني من‌رجال الدين الذي شارك في التضال‌في‌عملية تأميم النفط خلال الاربعينات وابان تسلم‌مصدق الحكم في سنة ١٩٥٠ و ٥١ ولكن ما لبث ان ترك مصدق واتخذ سبيلا معاديا له الى ان وصل به الامر بتأييد الانقلاب الامريكي ١٩٥٣ ضد مصدق.توفي كاشاني‌في عزلته عن الخط الجماهيري الوطني في ١٩٦٠ ــ المترجم ــ .

٣٩ ــ يكتب المهندس بازركان في سنة١٩٦٣ ، اي في قمة الاوضاع التي تنذر بخطر الهجوم الاقتصادي ــ السياسي ــ‌الثقافي الجديد من جانب الامبريالية « في مقال له بعنوان « الحدود بين الدين‌والقضايا الاجتماعية »ــ والعنوان بحد ذاته يشير الى وجود قضايا عويصة تواجه‌المقال كاتب المقال وتتطلب الحل ــ من خلال تفكير صوفي نحو القضايا الاجتماعية، وهذاالتفكير ايضا يوضح المبادىء الفكرية والمنطلقات الطبقية لكاتب المقال .

« ... الى الان ... كان السيد(الاتظامي) والرعية متفقين مع بعض بشكل من الاشكال (طبعا ، اذا كان السيدبمقص الان دم الرعية فذلك امر لا شأن

له به !) وكان كل من الكاسب والتاجر يستورد بضاعة ويبيعها بسعر يتناسب مع وجدانه ومستوى العرض والطلب في المكان (!) ، وخلاصة القول كان يوسع الشعب والمؤمنين ان يمارسوا واجباتهم ومهامهم الدينية والدنيوية حسب اذواقهم ومشاربهم (اي ان الدين شيء فردي ويرتبط بشكل دائم مع الاذواق الفردية لهؤلاء ولا شأن له قط بالقضايا الاجتماعية! ولم يكن للتدخل في السياسة بهذه الصورة الحالية اي معنى او مبرر) ولذا كانت جميع النضالات واعمال الجهاد التي قام بها الشعب منذ اوائل حركة المطالبة بالدستور ثم نضالات الاحرار ١٩٠٠ م والذين كان الكثير منهم من المؤمنين بالدين وينظرون الى النضال من زاوية دينية ، كان عملا لا طائل من ورائه وابتغاء لا مبرر له للدين في الامور الدنيوية الوضيعة !) لكن الاوضاع تغيرت الان تغيرا كبيرا (طبعا شعوره يتغير الاوضاع منذ نقط من حيث الاخطار التي تكمن فيه نحوه ونحو طبقته وينظر اليه من هذا المنظار ، بين ما لم يكن هناك اي تغير في الاوضاع ، حسب زعمه ، عندما كان الاستغلال والاضطهاد الاقطاعي المرتبط بحق سائر الطبقات سحقا) . وتمسك حكومات شرق الدنيا وغربها ، الفاشستية منها او الدكتاتورية او الشيوعية او التي تصل الى دفة الحكم من خلال انتخابات ديمقراطية بزمام شؤون البلاد وامورها جميعا (يلاحظ ترتيب ذكر العبارات والمفاهيم ، فهو يضع الشيوعية في صف واحد مع الفاشية والدكتاتورية ويفصح بذلك عن الخوف القاتل من الشيوعية الذي امسك بتلابيبه . انه يمثل هذا القياس السطحي المتسم بضيق الافق انما يجتر في الواقع نفس الدعايات التي تروج لها الامبريالية والانظمة الرجعية نحو الشيوعية ، ويكشف النقاب من خلال الوصف السلس والمديح البديع للرأسمالية الغربية بكونها حكومات انتخابية ومثلا للديمقراطية ! عن كنه آمالها وتطلعاتها الذاتية وبالتالي جوهره الطبقي، من طرف آخر) والسياسة ايضا ، اما تتبع الافكار والاهداف الوطنية ! او تتبع الاغراض ووجهات النظر الشخصية والطبقية (ان السيد المهندس يعجز عن فهم حقيقة انه منذ ان وجد الانسان والكون ومنذ ان عاش الانسان على شكل مجتمعات طبقية ، كانت السياسة والثقافة والتقاليد.. الخ تتبع المصالح الطبقية ولم تعرف الطبقات الحاكمة في امر غرض وجهات نظرها وايديولوجيتها وثقافتها وسياستها على الطبقات المحكومة ، اي نوع من التعاون والتضامن - نكيف به ان انتبه الى هذا الامر ! هذا ما سيتوضح من خلال متابعة مقاله نقط) انكم اليوم لستم تملكون زمام الامر في متاجركم ونسائكم وبناتكم واولادكم فحسب ، بل لا تملكون زمام انفسكم ايضا .. فلو كان للدين ان يأخذ بزمام السياسة لتقمت السياسة على الدين او اخضعته لسلطانها وقوتها !(الطريف هنا هو ان السيد المهندس يثني من الاعماق فصل الدين عن السياسة ، او بعبارة اوضح ، ان لا يتورط مع الطبقة

الحاكمة ! لكن لا كل ما يتمناه المرء يلقاه، فالوقائع الصلدة التي تحكم الهجوم المركز الذي طبق العدو بشنه من كل جانب على مصالحه وكيانه — وطبقته — قد اطارت الراحة من باله . المسألة ، في الواقع وببساطة الحال ، لا تدور حول تناقض الدين مع السياسة ، بل انما تدور حول تناقض مصالح طبقتين ، وبالتالي حول التناقض بين ايديولوجية واسلوب تفكير الطبقتين ، وانما يطرحه هو باسم التناقض بين الدين والسياسة ليس ، في الواقع ، سوى دليلا من التهم التافهة ، الوحيد الجانب والسطحي لهذا التناقض ، مع ان السيد المهندس ليس قادرا على فهم هذا الموضوع) ولانه عاجز عن ان يعمل شيئا آخر . الحرب ، ليست حرب التقدم او التقهقر او النهادن والتصالح (ذلك السلوك الذي كنتم تشيرون عليه الى الان، انما الان وان كنتم انتم مستعدون للتفاوض والتهادن، فالعدو ليس مستعدا ، انه يبغي ابتلاعكم مرة واحدة) انها الحرب هي حرب الحياة والموت والوجود والفناء (لكن ما الذي تعنم انتم به في الواقع ! الا يكفي كونكم بالذات وكثير من رفاقكم القدامى تدورون في فلك الطبقة الحاكمة وهل لا يكفي انكم بسكوتكم وموقفكم السلبي قد وقفتم في الواقع ، في صف العدو ! هل لا يكفي كل ذلك كادلة واضحة بانكم قد فضلتم في معركة الحياة والموت هذه ، الاستسلام والمساومة على النضال الى النفس الاخير! الا ينبع هذا الموقف بالذات من جوهركم الطبقي والايديولوجي وطرق تفكيركم واتجاهاتكم الخاطئة والمحدودة ! على اي حال ، كانت الطبقة التي تنتمون اليها والتفكير الذي تحملونه منها، محكوم عليهما بالهزيمة في مرحلة زمنية معينة وان لم يشملكم هذا الحكم بالذات ، ولقد اثبت التاريخ صحة وصواب هذا الحكم) ... »

٤٠ — لسنوات عديدة بعد انقلاب ٢٨ مرداد (١٩ آب ١٩٥٣) ، كان التصور السائد بين الجماهير — وهو تصور كان يعكس تطلعاتهم الصادقة — بان مصدق سوف يعود الى دفة الحكم ، لذا كانوا يسمونه دوما رئيس الوزراء القانوني .

٤١ — كما ان الاستجابة التي ابدتها الجماهير للدعوة التي نشرها « الجبهة الوطنية » لاجتماع ١٨ ايار (مايو ١٩٦٢) الجماهيري في ميدان جلالية ، لخير دليل على ما كانت هذه الجماهير تكنه من رغبات جازمة لخلق الاوضاع الديمقراطية في ايران .

٤٢ — المقصود بالتفكير التقدمي الديني هنا هو ذلك التفكير الذي يتميز ، ضمن الاطار العام للدين ، عن التفكير الديني للطبقات الرجعية المعادية للشعب

والانتهازيين والاشراف والمرتبطين بالاستعمار القديم والجديد ، وهو يعكس في كل الاحوال ، تضاؤل مراتب من البرجوازية والبرجوازية الصغيرة التقليدية المعادية للامبريالية .

٤٢ ــ بعد انقلاب مصر حيث تنمي على قاعدة سياسية للاستعمار البريطاني ، توفرت للبرجوازية المصرية امكانيات محدودة للنمو ، في ظل الاوضاع الشبه ديمقراطية التي خلقتها البرجوازية الصغيرة القومية المصرية بقيادة جمال عبدالناصر . [يلاحظ ان المقصود بالاوضاع شبه الديمقراطية هنا ،ليس بمعناها السياسي فقط ، بل يقصد بها جانبها الاقتصادي على الاغلب ، فمثلا ،مع ان الحكومة المصرية لم تكن قد الغت الانتاج الرأسمالي بشكل تام ــ المقصود هو الاتجاه الاساسي نحو الغاء الملكية الخاصة ــ لكنها كانت تحد منه . وعلى سبيل المثال ، ما كان الشخص ان يملك دخلا سنويا يتجاوز ٦٠ الف دولار تقريبا في السنة ، وكان هذا من شأنه ان يضع قيودا خاصة امام النمو الرأسمالي الاحر الذي كان يتضارب في النهاية ، مع الروح التوسعية لراس المال] . على اي حال ،كانت البرجوازية المصرية الناهضة حديثا التي وجدت نفسها محاصرة من قبل الامبريالية والصهيونية والاشكال الاستعمارية الجديدة للرأسمالية الغربية من طرف ، والحدود الموضوعة امامها من قبل البرجوازية الصغيرة اليسارية المصرية بقيادة عبد الناصر ــ الذي كان قد استطاع بنجاح ان يحمل المجتمع المصري (بل المجتمع العربي ايضا) الايمان بشعار الاشتراكية ــ الاسلام ــ العروبة ــ لا تجد امامها سوى استغلال الجناح اليميني للبرجوازية الصغيرة التقليدية بقيادة سيد قطب من خلال مساندتها لها (ذلك الجناح الذي كان يتمتع في نفس الوقت بتأثير من النفوذ التقليدي القوي) فبادر سيد قطب الذي كان يجد نفسه امام موج هائل جارف من الحركة القومية العربية المتألقة من العمال وسيل متزايد من الافكار الاشتراكية ــ بعضها دوافع واساليب اساسية للتخلص من القيد الاستعماري ــ حمله على اتخاذ موقف خاص ، بادر الى تهيئة ونشر مقالات تناولت آراء واستنتاجات جديدة حول الجوانب الاجتماعية للاسلام . لكن الدغمائية اليمينية البرجوازية الصغيرة التي كان سيد قطب يعاني منها لم تسمح له (وما كان بوسعها ان تسمح له) ان يفرق تفريقا كيفيا بين النظرات الفلسفية التي تؤدي بشكل مباشر الى الاشتراكية العلمية والالغاء العلمي للاستغلال (الشيوعية) ، وبين النظرات والافكار الاصلاحية ، المعادية (والمهادنة في نفس الوقت) للاستعمار التي تميزتها البرجوازية الصغيرة اليسارية المصرية (الناصرية) وهكذا انتهى سيد قطب في عملية الصراع العالم ضد وجهات النظر

الاشتراكية التي بمعاداة شعار الاشتراكية ــ الاسلام ــ العروبة التي نادى بها عبد الناصر ايضا ودخل ، بشكل عملي ، في خدمة الرأسمالية العالمية والجناح اليميني من البرجوازية المصرية المرتبطة . ومع انعدام سيد قطب والمبررات التوضيحية التي قدمها عبد الناصر بهذا الخصوص ادى الى ردع البرجوازية الصغيرة اليمينية المصرية بشدة ، لكن البرجوازية المصرية وخصوصا اجنحتها الرائدة في المهادنة لم تقف من النشاط .

ان الجوهر المزدوج (البرجوازية الصغيرة) للحكومة المصرية ــ التي حققت اجنحتها اليمينية والرجعية والمهادنة الغلبة خصوصا بعد موت عبد الناصر وهزيمة حزيران ١٩٦٧ (سحق الجناح اليساري لحزب البرجوازي الصغير المصري بقيادة علي صبري ...) ــ شكل عاملا مهما للغاية في تعبيد الطريق امام نفوذ البرجوازية الصغيرة المساومة المصرية وسلطتها السياسية . ان الموقف الاستسلامي لحكومة السادات الذي يدفع بالمجتمع العربي الى مصالحة سياسية مع الامبريالية وبالتالي مع الصهيونية، انما ينبع بالضبط من الاهداف الاقتصادية والسياسية للرأسمالية الكبيرة المرتبطة المصرية (ان الخلاف بين العراق وسورية والكويت من جهة ، ومصر من الجهة الاخرى النابع من نفس هذا التحليل ، اي من زاوية خلاف البرجوازية الصغيرة الحاكمة في هذه البلدان مع البرجوازية المرتبطة المصرية،جدير بالملاحظة ، ولنفس هذا السبب ، فان هذا التناقض يميل بشدة دوما نحو المساومة] .

٤٤ ــ اذا كانت مسألة « الطريق الثالث » التي تكرر في كل مكان ــ في الاقتصاد ، في السياسة ، في الفلسفة... الخ ــ بأشكال مختلفة كـ « الطريق الثالث بين الرأسمالية والشيوعية » ،« سياسة عدم الانحياز » او « لا مثالية ولا مادية بل واقعية » و ... تكشف في فترة زمنية ما ، فقط ذعر او جهل وغباء بعض مثقفي الطبقة الوسطى او الايديولوجيين الدينيين في الاشتراك بالحقائق او عدم التعرف الصائب على الحقائق ، فانها اليوم وبعد ان مرت بمناطق عديدة من العالم بعشرات التجارب العملية لهذه الطرق الوسطية ، وفي وقت تفتح فيه التفكير العلمي المتنور ، لاعلمية جميع هذه الادعاءات (بل ومعاداتها للعلم) ومحتواها البرجوازي الصغير ، واثبت بأنه لا خير يرتجى من الطريق الثالث سوى كونه شكلا آخر من الرأسمالية بطبيعتها الاستغلالية الكاملة، اثبت ان اتباع سياسة عدم الانحياز امر غير ممكن ولا معنى له ، وان خيالات

اللعب على الحبليـــن المتحـدة مـــــع ادعاءات تسمى « الواقعية » لن تكون غير « المثالية » لكن في ازياء اجمل . نعم ،في مثل هذه الظروف ، ليس تكرار مثـــل هذه الشعارات ، من قبيل الجهل والغباء،بل انما هو تضليل للبسطاء وخيانة بحـد ذاتـــه .

٤) ـــ عندما نتحدث عن مناقشة الدين،للعلم ، لا نقصد تكرار حكـــم صائـب ، وقديم في نفس الوقت ، الذي يشكل مصدرازعاج كبير للمثقفين الدينيين ومنظـــري الطبقة المتوسطة ، فالديانات الاصيلة مثل الاسلام التي نتبع من حركة تقدمية سياسية ـــ اجتماعية (لا الادعاءات التي يروج لها اي فرد صالح او غيـــر صالـح !) ، تستمد تبريرها وصوابها دوما ، بطبيعـــة الحال ، من المقومات العلمية للحقبـــة الزمنية المحددة التي ظهرت فيها ، وهـي تتسم بالعلمية بنفس الدرجة ، لذا نكما ان نظريات اقليدس في الهندسة كانـــت تعتبر التصور البشري الوحيد الممكن حول « الفضاء » وسيرانها الفيزيائية وكما ان منظومة بطليموس كانت تعتبر التصـــور البشري الوحيد الملائم لمعرفة ذلك الزمان،عن اوضاع النجوم والنوابـــع والارض ، فان « الدين » الاصيل الذي يستطيـــع تقديم الحلول للمظلـــمات الاساسيـــة للتحولات الاجتماعية لتلك الحقبة الزمنية ،انما هو علمي بنفس المعنى والمفهوم الذي كانت منظومة بطليموس تعتبر علميـــة،بموجبها .

لكن « العلم » ليست مقولة (كالدين)،حتى تبقى اســـــه وثوابته جامـدة ، فالمبدأ العلمي الصائب والحقيقة العلميـــة،الناتجة عن التجربة ، في هـذا اليوم ، يتحولان غدا الى مبدأ اكبر وحقيقة اعظم .فنظرية الجاذبية العمومية ، التي تـــد تعتبر احدى ام القوانين العلمية عالميا ،استمرت القرنين من الزمان فقط ، الى ان ظهرت حقيقة اكبر من النظرية النسبيـــة،التي كشفت من نواقص ونقائص نسف الاولى وصححتها . ان النظريات المختلفة حـــول استقلالية الاشعة الضوئية ، تموجيتهـــا وقريتها الخ .. التي مرت منذ القـــرن،سنة ، منذ عهد « فرما » و « هوكنس » الى « بلانك » وغيره ، باشكال مـــــن التغيير والتطوير كان كل منها صائبا فـي الحقبة الزمنية المعنية وتمثل اكثـــروجهات النظر علميـــة . هذا هـــو معنى العملية المتطورة باستمرار للمعرفـة البشرية حول العالم التي لا وتوف لها ولا انتهـاء .

من خلال هذه المقدمات يتبين بـــــان« الدين » الذي يستند الـى مبـــادىء جامدة تعود الى ذات التشخيص العلمي المرتبط بزمن ظهوره ـــ طبعا ، التشخيص الذي اثبت التطور العلمي دحضه وتدهـــورجعيته ـــ عاجز عن مواصلة حركتـــه وتطوره وتغيره وحركة وتطور وتغير بدائم،بشكل مواز للعلم . ذلك لان العلم مثـى

ما تناقشت حقائق احدث ومعارف اعمق،حول العالم مع معارفه الاقدم ، يغيـــر مواقفه نورا ، ويعدل وجهة نظره (العلم،بحد ذاته ليس شيئا طبقيا ، لذا نلا مجال لوجود اية مصالح في مثل هذه التغييرات ،على الرغم من ان العلم قد يستغل لمصالح طبقة واحدة او عدة طبقات) ، في حيـــن ان الدين ينتظر الى هذه الخاصية مـــن الاساس وذلك لمضمونه الجزمـــي . النيخلاف ذلك ، كان يجب ان يأتي يـــوم ، يضع فيه اسسه ومنطلقاتـــه في معـــرض الشك وحتى الانكار ، ومثل هذه الفرضيـــة غير واردة في تعريف ومضمون وتطبيقات الدين .

لهذه الاسباب ، اذا كان احد الاديـــان يعتبر ، مثلا قبل الف او الفي عـــام ، تقدميا والايمان به عملا تقدميا بل وحتـــى ثوريا (لكون التشخيص الذي كان يروجه هذا الدين في ذلك الزمان حول العالـم ،علميا حسب المقاييس الشائعة حينئذ فـي مجال المعرفة)، فانه اليوم وفي مثـــل هذه الاوضاع السائدة من تطور المعرفـة البشرية حول العالم وفي مثل هذا المستوى من نمو العلم والوعي الانساني ، عاجـز ان يبدو تقدميا وعاكسا للحقيقة لانه لا يقدم تشخيصا علميا للعالم اليوم مطابقا للعلـم المعمول به في هذا العصر [وقد يكـــون هذا السبب بالذات في قيام الكثيرين مـــن المؤمنين بالدين من العارفين ببعض الحقائق العلمية ، بتظهرون ايمانهم بالدين لا كحقيقة نابعة من فهم الضـــرورات العلميـــة والثورية ، بل كنوع من الميول العاطفيـــة! ـــ حقائق متعلقة بشكل رئيسي بالقضايا المرتبطة بـــ « القلب » لا بـــ « الدماغ » ـــ التي لا تعني ، بعبارة اخرى ، سوى الارتباط بالحياة والانكار والعقائد الايلـة نحو الانحطاط]-

يتضح من خلال ما اسلفنـــا ذكره ،السبب في قدرة نفس هذا التفكير الدينـي في اول ظهوره ـــ اي في الظروف التـــي فيها كانت مبادؤه الاساسية ما زالـــت متطابقة مع مقتضيات التطور الاجتماعي ـــالاقتصادي ، والعلمي ايضا ، للعصر ، على اظهار النشط روح ثورية واتجاه عمل سياسي واجتماعي اكثر تقدمية من جانب وخلق ثقافة وحضارة زاهرة (على صعيدنفس التحولات الاجتماعية التي تمكنت مـن تقديم الحلول لتطلعاتها الايديولوجية)،بحيث اصبح سراجا ينير الطريق امام علم الشرق والغرب وعملها (من هنا ، يمكن فهـــم ظهور العلماء والحكماء في اطار نفس هذه الثقافة) . في حين ، بمرور الزمن وخلال القرون التالية عندما حصلـــت تحـولات اجتماعية جديدة ، وبالتالي ، تقدم اكثـــر علمية من مثل هذا الدين ، طارت تلـــك الروح التقدمية والاتجاه نحو التجـــددوالقابلية على الخلق والابداع منه بحيث لم يبقى منه خلال فترة زمنية اكبر ســـوى قشرة رقيقة من المعتقدات القديمة والبالية، وهيكلا لا روح فيه تتعشعش في داخلـــه اسوأ الخرافات التي يستفـــد اليهـــا الرجعيون والحاقدون التابعون للطبقـــات الحاكمة .

ونمة نقطة مكملة اخرى هي ان الاشارةالى بعض فروع العلم في حقبة زمنيـــه محددة بالارتباط مع الدين ، لا يعني قســـيأي حال الجمع بين «الدين» و « العلم » على صعيد واحد وحتى ان كان تصدنـــابالعلم ، علم تلك الحقبة الزمنية ايضا . ان الدين كفلسفة انما هو في الواقع نوعمن التعميم والتجريد الفلسفيين لعلـــم اسنية الزمنية المعينة (كحد أعلى ، وعلىشرط ان يكون الدين اصيلا) ، وما كان لهذا التجريد ان يصبح علميا (ولم يصبحهكذا ، في الواقع) لوجود الطبقـــات المتصارعة وكون علوم تلك الحقبة الزمنيةناقصة ومحدودة للغاية . ويجدر ذكره ، ان الدين لا يمكن ان يدعي بانه انما نزلالصالح طبقة معينة ، بل يقترح نفسه شيئا نزل من اجل بني البشر اجمعين ! من أيةطبقة او نقة كانوا . ومن هنا ينكشـــف للتمام من على صورته المكرسة لصالـــحالطبقات الرجعية .

٤٦ ــ باستثناء بعـــض الاجنحـــةاليسارية من هذا التيار ، التي كانت قد توصلت بشكل غريزي الى ضرورة اللجوءالى الكفاح المسلح ، فان القسم الاعظم من هذه الاجنحة، المتألفة منالديمقراطيينالثوريين ــ الذين كانوا قد اضطروا الـــى الالتحاق بـــ « حركة تحرير ايران » اوالجبهة الوطنية ، لعدم وجود منظمـــة ثورية ــ التحقوا فيما بعد بشكل نشـــيطبالكفاح المسلح الثوري ، او سانـــدوه بشكل من الاشكال .

٤٧ ــ وعندما كان قادة « حركة تحريرايران » يجرون الى المحاكم العسكريـــة التابعة للشاه الخائن بتهمة القيام باعمـــالمعادية لامن البلاد ومعارضة النظامالقائم، ويحاكمون عليها (تلك التهمة التي لـــمتكن صادقة بشأن بعض العناصر القيادية العليا ! على الاقل) ، كان المهنـــدسبازركان ينبه ، ضمن رد الاتهام والدفاع عن نفسه ، هيئة المحكمة والنظام الحاكمبانه للمرة الاخيرة سيلاقون في هذه المحاكم اشخاصا يقبلون النظام الملكي ويقبلـــونالقيام بنضال قانوني وبرلماني فقط تحتظل الاوضاع القائمة !! بعبارة اخرى ، انهكان يعرف جيدا بانه لن يكون هناك بعد ، من يسلك مثل هذا السلوك المتنـــوعوالاساليب المتخلفة البائدة للنضال ضـــد نظام قادر ومستبد كالذي يحكم البـــلاد .لذلك كان يبدو لنفسه ان من على هيئـــة القضاة ونظام الشاه الخائن ، بانه وحدهومعه زملاؤه قد استعملوا معهم مثل هذه الاساليب السلمية والقانونية على رغمالضغوط الداخلية والخارجية (داخـــل الحركة نفسها والضغـــوط الاجتماعية) ،تويل لهم (اي السلطة وقضاتها) ان « لم يقدروهم حق قدرهم » ، اذ سيلاقـــونشيوعيين حمر ، لم يجدو منذ مائة سنـــة خلت مكانا للملكية والنظام الملكي افضلمن الزبالة !

٤٨ ــ في جميع هذه البحوث نتمســـكبالايديولوجيا ليس فقط المبادىء العقائدية بمعناها الضيق ، بل بالمعنى الذي يشملجميع وجهات النظر واساليب العمـــل وكذلك تحليل الفرد او المنظمة للتطـــوراتالعالمية التي ترتبط جميعا ببعضها برباط منطقي وعضوي .

٤٩ ــ نقول « ما يسمى بالنضال » لانالقيادة التي قادت نضالات اوائلالستينات عجزت عن ان توفي حتى بمهامها الوطنيـــةايضا وان عدم تطبيق هذا القانون فـــي ايران يعود فقط الى ضعف القيـــادةويوضح برنامج « حركة تحرير ايران » كم كان شاسعا اليون الفاصل بيـــن قيـــادةالحركة الوطنية في الستينات وبين مستوى المطالب والتطلعات الشعبية بل وحتـــىبينها وبين برنامج وسياسة النظام الحاكم. ان اشارة موجزة الى بعض ما ورد فـــي« برنامج حركة تحرير ايران » (مرالمنامه نهضت آزادي) الصادرة في ١ يوليـــو١٩٦٢ تبين عمق ضعف القيادة الناسوي.

بغض النظر عن المادة الاولى والثانيةمن البرنامج التي تتضمن مبادىء مبهمة ، عامة ، مستندة على اكثر النظرات الثوريةالصرفة سطحية ولا تتضمن اية اساليب عملية و .. فان المواد الاخرى تسترعيالانتباه وسوف نلقينظرة واحدة الى المادة الرابعة التي تتناول القضايا الاقتصادية(التحليل الكامل لهذا البرنامج وخطابات حسن نزيه والمهندس بازركان التي تبينكيفية تأسيس « حركة تحرير ايـــران » وسياستها واهدافها ، تتضمن نقاط مهمةللغاية حول موقف قيادة المنظمة حيـــال القضايا الاجتماعية والسياسية ومضمـــونأهداف هؤلاء انفسهم ، وسوف ينشر هذا التحليل في الوقت المناسب) .

تتناول الفقرة الاولى من هذه المـــادةعبارات عامة وشعارات ، لا يختلف اي نظام مخرق في الرجعية عن ادخالها فـــيبرامجها مثل : « ضمان الاستقـــــلال الاقتصادي، وبناء النظام النقدي والتجاريوالاجتماعي والتقاني والصحي والزراعـــي والصناعي الصحيح » (!) (اما كيـــفيمكن تحقيق ذلك ، باية طريقة ووفق اية معايير واســس ولاجل تحقيق اية اهداف أمثلك ليس معلوما !) . ان هذه ، فـــي الواقع ، ليـــت سوى شعـــاراتومصطلحات لا تغني ولا تسمن من جوع، لوحدها . لكن واضعـــي البرنامـــج ،استهدفوا حتما غايات واهدافا خاصة من وراتها ــ وهي تتضمن امـــالا لتحقيـــقكل شيء بشكل صحيح ! ــ لكن هـــذا الهدف لا يتضح تماما في هذه الفقرة الا بعدان يطالع المرء الفقـــرات ٢و٣و٤وه ، عندئذ يتضح مـــاذا يعنـــي الســـادةبـــ « الاستقلال الاقتصادي وبنـــاء

النظام النقدي والتجاري والصناعي ...الصحيح؟. العبارات المحصورة بين الاقواس « » منقولة تماما من برنامج« حركة تحرير » الصفحة ٢٨ فما بعد من الكراس المنشور من قبل المنظمة ، المسائل والتعليقات الموضوعة داخل القوس من نوع ( ) فهي تعليقات لنا .

لنرى ما تقوله الفقرات الاخرى أتناول الفقرتان ٢و٣ البرنامج والسياسة المرسومة من قبل «حركة تحرير» للفلاحين والعمال ، اي الاكثرية الساحقة من شعبنا الكادح والشيء الذي يتوقعه المرء من مثل هذا البرنامج هو ان يوضح علاقات هذه الطبقات مع الطبقات المستغلة من الملاكين والرأسماليين ، ولكن لنرى :

« ٢ — ترصين العلاقات المبنية على العدل والتعايش السلمي بين العامل ورب العمل وبين الفلاح وصاحب الارض » .

« ٣ — توسيع اشكال التأمين الاجتماعي ، اعداد وتطبيق مشروع تأمين الفلاحين » . هذه هي كل الهدية التي يقدمها « برنامج حركة تحرير » للفلاحين والعمال الايرانيين الذين كانوا يشكلون اكثر من ٩٠ بالمائة من سكان ايران !

ان نظرة قصيرة تحسب الى كل هذا الافق الواسع والنظرة التاريخية ! تبين كم ان قيادة المنظمة متخلفة حتى عما قدمه نظام الشاه العميل قبل سنة واحدة من ذلك التاريخ والشعارات التي رفعها بعديضعة اشهر لاحقا ! يقول البرنامج بأن العلاقات السائدة بين الفلاح وصاحب الارض ، اي العلاقات التي تربط ٧٥-٨٠ بالمائة من سكان ايران ، بين الملايين من الفلاحين والزارعين الفقراء الكادحين القاطنين في الارياف وحفنة من اصحاب الارض ، يجب ان تستند على التعايش السلمي . اي ان على الملايين من الفلاحين الايرانيين ، على رغم ما تحملوه خلال الآف السنين من استغلال اقطاعي ان يظلوا مخلوقات ذليلة يقتات على دمائهم الملاكون . يجب عليهم ان يصبوا ارباحها بجنونه بعرق جبينهم على مدى الاجيال المتعاقبة في جيوب الناس لم يضربوا على هذه الارض المعطاء ولو معولا واحدا ، رغم انهم دفعوا ثمنها بالآف المرات المضاعفة ، ولم تعب اجسامهم قطرة واحدة من العرق والدم في سبيلها ، عليهم ان يكظموا حقدهم الطبقي حتى يتحقق « التعايش السلمي » الذي يبتدعه قادة« حركة تحرير » هدية لهم ! طبعا العدل الذي يتحدثون عنه ، لا يتجاوز في مداه ومعناه التعايش السلمي الذي يروجون له . العدل من اية وجهة نظر ؟ أمن وجهة النظر التي تعترف رسميا بالاقطاعية والاستغلال ؟ والنظرة التي تكرس ملكية الارض من قبل الاقطاعي وتبرر ، بالتالي ، استغلاله للفلاحين وتعطيه الصفة القانونية والشرعية ؟ معلوم ماذا يعني مثل هذا

العدل : تطع الالسنة التي تنكر الحق الشرعي ! لـ « ملكية » المالك المحترم للارض !

لكن اهمية المسألة لا تنحصر فقط في ان الحركة لا تملك اي برنامج لمصالح الاكثرية الساحقة من الشعب ، وتسعى لاخفاء التناقضات لمصالح استمرار الاستغلال وبقاء الاقطاعية ، كل هذه لا تبين بشكل معمق الازمة ، بل ان المأساة الكبرى هي ان تطرح هذه الاراء بالضبط في وقت يتقدم فيه نظام الشاه الخائن لائحة تقسيم الاراضي الى مجلس النواب ويتحرك بشكل عملي لمأسسة تقدمية معادية للرجعية — تدعى النضال ضد هذا النظام ! — ويرفع شعارات اكثر تقدميه مما ترفعها هي بحيث انه بعد ستة وعشرة أشهر عندما يعلن الشاه بتوجيه من اسياده الامبرياليين ، وفي الاستعراض الشهير الذي اقيم في ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٢ (اي عندما اعلن الشاه عن مبادئ مؤامرة « الثورة البيضاء » — المترجم) شعار « الغاء نظام السادة والرعية » أو « تقسيم الاراضي على الفلاحين » (مهما كان محتوى هذه الشعارات التي لم تكن ، بالتأكيد ، تتعارض مع مصالح البرجوازية المرتبطة الواصلة الى مراكز القوة حديثا ، المهم هو فهم المرحلة) ، لا نجد جميع هذه المنظمات ومنها قيادة« حركة تحرير » وهي تتعثر خلف الطغمة الحاكمة بمسافات بعيدة ، أمامها سوى الخنوع والتأييد الهزيل للعدو !

وبنفس الطريقة ، فعندما يتحدث البرنامج عن العلاقات المستندة الى العدالة والوئام بين العامل ورب العمل ، فالسكوت يغطي بستار من الاغفال والتعمية تاريخيا وموضوعيا للصراع الطبقي الذي لا يقبل المساومة بين رأس المال والعمل (وبين الفلاح والاقطاعي ، الوارد في المثال الذي سبق ذكره) فحسب ، وليس فقط ينقل بنفسه الى مصاف طفل ساذج يسيط من خلال قبوله ثم الدعاية لاسطورة التعايش السلمي بين الذئب والغنم قبل انه ، من خلال اطلاق العبارات الغامضة والرنانة كـ « العدالة » — التي تقبل المناورة في عصرنا هذا بين « عدل » الملك كسرى و « عدل » مظفر ! (الملك كسرى ومظفر الدين شاه هما من الملوك المستبدين في تاريخ ايران وان نحوى عدلهما يشبه تقريبا حب تورد او اسرائيل للسلام — المترجم) — بدلا من الاشارة الى حلول بسيطة حتى للمشاكل اليومية الملموسة ، انما يكشف عن منتهى الغباء السياسي ازاء نظام يزف للعمال ، تقطيعيد الشهر قليلة من صدور البرنامج ، بشرى (وليس وعد) المساهمة في ارباح العامل (مهما كانت هذه البشرى تنطوي على الاغواء والتضليل) .

ان هذا المبدأ ، اي اقامة العلاقات الودية بين العامل ورب العمل وبين الفلاح ومالك الارض ، يدل على شيء اخر في نفس الوقت وهو الموضع الوسطي، بل وعديم الهوية الذي اتخذته « حركة تحرير » لنفسها . انها لا تملك الجرأة والحزم السياسي التي تتصف بها منظمة او حزب وطني برجوازي تام ، تتخذ خلال الدفاع عن رأس المال وتوفير الظروف اللازمة لاستغلال قوى العمل ، موقف النضال ضد الاقطاع المرتبط بالاستعمار وتبني بحزم وعزم اقتصادها وسياستها البرجوازية على اطلال النظام الاقطاعي والنظام الحاكم المرتبط به ، ولا هي تمثل الاقطاع والفئات المرتبطة بالنظام الاستعماري حتى تعكس الحزم المعادي للثورة الذي يشتهران به ! انها فقط شيء معلق بين الارض والسماء . نظام يسعى للجمع بين الذئب والحمل، والتعايش الدجاج ، والماء والنار ، في حظيرة واحدة وتحت سقف واحد ، يستطيلون بحياة يكتنفها التعايش السلمي والعدل السرمدي ، من خلال حقنهم بروح الصفاء والاخلاق ونهيهم عن المنكرات !

اما الفقرة الثالثة اي «توسيع مجال الضمان الاجتماعي واعداد وتنفيذ مشروع ضمان الفلاحين » انما تؤيد في الواقع وقبل كل شيء ودون ان تحتاج الى اي تفصيل اضافي ذلك التخلف السياسي الفظيع ، بل والتاريخي ايضا ، الذي تكشفه « حركة تحرير » عن نفسها . ففي النصف الثاني من القرن العشرين وفي اوضاع تتسم بالمشاكل الاجتماعية التي تخوضها الشعوب وعملية اقامة وتوطيد السلطة الشعبية والقضاء على الامبريالية ،وعملية تشكيل المجالس الحكومية للفلاحين والعمال والقضاء على العلاقات الاستغلالية الرأسمالية واستلام السلطة من قبل البروليتاريا (وليس حتى توزيع الاراضي او المساهمة في ارباح العامل واصلاحات اخرى من هذا النوع التي نفسر حتى الانظمة الرجعية المرتبطة بالامبريالية الى تنفيذها) ، في اوضاع تشات بعد ستين سنة على ثورة الدستور في بلادنا بالذات ، وخمسين سنة على ثورة الاحرار التي خاضها شعبنا ونصف قرن على انتصار اول حكومة اشتراكية في العالم ، في هذه الاوضاع بالذات ، يتحصر البرنامج الاقتصادي « حركة تحرير » ومعاداة للرجعية » في بلاد يشكل الفلاحون الفقراء والعمال المضطهدون ، ٩٠ بالمائة من سكانها ، في « خلق العلاقات المبنية على العدل والوئام بين العامل ورب العمل ، بين الفلاح وصاحب الارض اضافة الى « اعداد وتنفيذ ! مشروع ضمان الفلاحين » ! لقد كان جديرا بقادة هذه الحركة ان يلتوا ، على الاقل ، نظرة الى البرنامج السياسي — الاجتماعي لحركة مثل ثورة الاحرار الذي طرح قبل نصف قرن من الزمان ! بدلا من اعداد مثل

هذا البرنامج الهزيل الفارغ من كل شيء والمفتقر الى جميع مقومات البرنامج السياسي لحركة تقدمية ! الذي لم يتطرق حتى الى واحد من المشاكل والمسائل الاساسية للشعب والى واحدة من الآلام والمآسي التي يعاني منها . فلم يكن قادة الاحرار شيوعيين حتى يخشوهم او ينظروا اليهم بشك وحذر ! عند ذاك فقط كانوا يدركون بأنهم يتخلفون عن الواقع ليس فقط بنصف قرن او ستين عام ، بل بما لا يقل عن قرنين من الزمان .

الفقرة الرابعة : « تخصيص عائدات النفط والاعتمادات والقروض الخارجية لتنفيذ البرامج الزراعية والصناعية والعمرانية وحذف عائدات النفط والاعتمادات والقروض المذكورة من الميزانية العمومية للدولة » .

قد تزعم قيادة الحركة تنفيذ هذه الفقرة احدى ابرز العوامل المؤدية الى النمو الاقتصادي في ايران ، وقد يكون هناك نوع من الاختلاف بين هذا البرنامج والبرامج الاقتصادية التي ينفذها النظام حاليا . فمثلا يذكر هؤلاء (اي اصحاب النظام) في برنامجهم الاقتصادي :« تخصيص عائدات النفط والاعتمادات والقروض الخارجية لانفسنا »، واذا كانت« حركة تحرير » قد توصلت بعد جهد الى هذا الاكتشاف الخطير ! فاننا نمتنع عن تحليل هذه الفقرة وذلك التصور الخاطيء والاستنتاج الرجعي الذي تستخلصونه انتم حول النمو الاقتصادي المعتمد على عائدات النفط والاعتمادات والقروض الخارجية . ذلك لان لهذه المسألة خلفية منفصلة وقصة اخرى فيطن ايديولوجيتكم انتم وواقعكم الطبقي بالذات. لكننا نشير فقط الى نقطة او نقطتين واضحتين للغاية تعود الى سنوات ٥١ ـ ١٩٥٣ واجهتكما عندما كان مصدق على رئاسة الحكم حتى يتكشف بذلك الجوهر المتخلف للغاية الذي ينطوي عليه تفكيركم حول النمو الاقتصادي . فتارة ، عندما تستصوبون تمويل تنفيذ البرامج الزراعية والصناعية والعمرانية (اي التوسع الاقتصادي) من موارد النفط والاعتمادات والقروض الخارجية ، اذا ما الفرق بين اسلوبكم واساليب الانظمة الحاكمة العميلة في ايران ؟ اننا نرى جيدا العمل الذي ادته هذه الانظمة خلال عقود من الزمن والنتائج المتمخضة عنه اي الارتباط الاقتصادي الكامل ، وبالتالي السياسي بعجلة الامبريالية ، فكيف تجرؤون على اقامة اساس النمو الاقتصادي بالضبط على نفس الركائز الذي وصفها «مصدق»، اي من تدعون مواصلة الطريق الذي شقه وسلكه ، بأنها « مكرسة للاسر » ؟ هل ان النمو الاقتصادي السليم الذي تحققتم خلال نفس الحقبة الزمنية القصيرة التي كان مصدق فيها على دفة الحكم ، قد تحقق بالاستناد الى عائدات النفط والاعتمادات والقروض الخارجية ؟ فلقد كانت حكومة مصدق مضروبة بحصار

اقتصادي كامل من لدن الامبرياليين والسهتكن تملك حتى ريالا واحدا من عائدات النفط او الاعتمادات والقروض ، اذاكيف استطاع ان يخلق خلال فترة قصيرة اسلم اقتصاد وطني متنامي ! انكم عندماتنظرون من هذا المنظار الى « التميز الاقتصادي » وعندما تعتبرون اصلاح النظام الاقتصادي عملا فنيا صرفا ، اي فصل عائدات النفط عن الميزانية ! الذي يستند الى تصور ذهني حول الفساد الاداري (اي ان هذا التدبير سيسدالطريق على الاختلاسات والسرقات !) ، وعندما لا يتطرق برنامجكم الاقتصادي الىاخلاق حربات القوى السياسية والاجتماعية بل وحتى ارخاء قيود الاستغلال بهدف تحقيق الحد الادنى من تعبئة الجماهير الشعبية ، عندماتتوهمون مما تعملون ! لنفرض ان عائدات النفط فصلت عن الميزانية ، وخصصت بذلك، مثلا، تلكم المبالغ التي كانت تذهب حتى الان الى جيب هذا الوزير او ذاكالوكيل ، خصصت لبرامج العمران والتنمية الزراعية التي تتحدثون عنها ..هل ان هذا المورد الاضافي ، وان اقترن بجميع الاعتمادات والقروض الخارجية ،سيعالج الوضع السيء للغاية الذي يعيشه الناس وينظم الى بحبوحة العيش الرغيد ! اذا كان هذا الطريق من شانه ان يحل مشاكل الشعب ، فمواردالنفط تضاعفت الان بمئات المرات عما كانت في تلكم السنوات (كانت مواردالنفط في اوائل الستينات بين ١٥٠ـ٣٠٠ مليون دولار بينما بلغت الان ، اكثر من٢٠ مليار دولار) . حتى لو اخذنا الفساد المستشري بين صفوف الطغمة الحاكمة ،وفرضنا ان نصف هذه الموارد ذهبت هباء منثورا في سرقات هؤلاء واعمالهاللصوصية التي يرتكبونها وصرف النصف الاخر على البرامج الزراعية والصناعيةوالعمرانية ، ذانها التي تدعون اليها (وهو ما يجري فعلا ونرى بام اعيننا منهم المستفيدون منه في النهاية) ، اما كان لايران ان تتحول الى الان الى بلد دونهجنة عدن ، بحيث لا يوجد فيه فقير او مريض او جائع !

ولننتقل الى النقرة الخامسة . قد تكونهذه النقرة الفضل كشاف للهوية السياسية والجوهر الطبقي الذي ينطوي عليه تفكيروراء « حركة تحرير » ، الامر الذي كان يكتنفه بعض الغموض الى الان . فبموجبهذه النقرة تعتبر الحركة نفسها ملزمة بـ « خلق الامن المالي والاقتصادي بهدفتشجيع اعادة **الرساميل الخاصة** الموجودة في البنوك الاجنبية الى داخلالبلاد » . ومع ان النقرتين ٢ و ٣ غامضتان وتنطويان على التعارضوالعمومية ، لكن هذه النقرة صريحة وواضحة ولا تعطي اي مجال للملابسةاو الغموض . « خلق الامن المالي والاقتصادي » ! لمن ؟ فالعمالوالفلاحون ، بمصيرهم معلوم ، ويجب ان

يبقوا رازحين تحت نير الراسماليوصاحب الارض ولا حق لهم في الاعتراض وعليهم ان يقبعوا علاقات الوئام والمودةمع اعدائهم الطبقية ! بينما تبذل المساعي بمقابل ذلك ، لاقرار علاقات « العدل » !بينهم . وستجري تعطيتهم بالضمان الاجتماعي ، اذن فما عساهم يريدون ؟ ثم انهم لا يملكون من حطام الدنيا شيئا يحرصون على حراستها وتأمين سلامتها ،حطام دنياهم هو قوة عملهم اياها التي تذهب يوميا وبكل سهولة نهبا ، وهذا امرلا يعترض عليه « برنامج حركة تحرير » لا هذا فحسب ، بل يسعى من اجل تأمينظروف سلمية لاستمراره ! يبقى هناك رجالات وعناصر الطغمة الحاكمة، هؤلاء،وان هم في حاجة ماسة الى صيانة الامن والنظام ، لكنهم يعرفون احسنبكثير من السادة محرري البرنامج كيف يصونون امن الرساميل ومصالحهم،ومصالح اسيادهم . وكما نرونهم فانهم يدافعون عن هذه الرساميل والمصالحبكل الجوارح ، ومن خلال اهراق دم الالوف المؤلفة من ابناء شعبنا الكادحينوالمناضلين ! اذا فلا يبقى هناك سوى حفنة من الراسماليين الذين لا يدخلونضمن الطبقة الحاكمة والبرجوازيين الصغار الذين هربوا رساميلهم الى الخارج امابدافع الخوف من الاسحاق تحت اقدام البرجوازية الكبيرة ، او ،وهذا هو السبب الاهم ، تحت وطأة الخوف من الاجراءات الجماهيرية المحتملةفي كل لحظة ... ان برنامج « حركة تحرير » يحاول ان يمنح ، بحسن نيةاخوية ، هؤلاء الاثرياء الكسالى قليلا ! (كسالى ، لانهم لم يستطيعوا ان ينضموالى النظام الحاكم ، لا نفورا منهم من هذا النظام !) يمنحهم الاطمئنان بالمصيروفر لهم ظروفا ممتازة للغاية ، فيقضي من طرف على الاجراءات الشعبية الحادةوالتمردات والمقاومات الثورية ويجهز من طرف اخر الضغط الدكتاتوري الوارد منجانب البرجوازية الكبيرة المرتبطة بالامبريالية بحيث يحملها على عدمبمشايعتهم واستمرار نشاطهم وضمان مصالحهم .

وما يجدر ذكره هنا هو الطلق المزايدالذي يتصح عنه البرنامج بكل وضوح وصراحة حول مسالة امن الرساميلالفارة من البلاد ، اي مصالح فئة لا تشكل اكثر من نصف بالمائة من مجموعالشعب الايراني بحيث ان هذه المسالة تشكل مادة كاملة من رسالة منظمةسياسية [السبب في اننا ذكرنا كلمة « برنامج » بدلا من « رسالة » عمدةبرات ، يكمن في ان ما يرد تحت عنوان « مبادىء الرسالة والهدف » في رسالة« حركة تحرير » هو سلسلة من البرامج السياسية والاساليب التكتيكية الواجبتطبيقها في حقلي الفعاليات والاهداف ، اكثر من كونه مفاهيم ومبادىء متعلقةبالاهداف فمثلا ، يشكل « السعي من

اجل انتقال حق تقرير مصير العالم من يدالدول الكبرى الى الامـــم المتحدة » او « الاعداد التدريجي والعقلاني للشعـــبنحو المساهمة في القضايـــا العالمـــه » المادتين الثالثة والثالثة من الرســـالة !كذلك يأتي البرنامج الاقتصادي ضمن المادة الرابعة منها ! وكما يلاحظ ، فان الاشكال الحاصلة في وضع عبارة « برنامـــج » محل عبارة « الرسالة » تنجم عن الخلط بين مفهوم **الرسالة والبرنامج السياســي والاجتماعي** الخاص بالحركة من جانـــبمؤسسيها الاصليين ومحرري الرســالـه نفسها] ، بينما يعبر نفس البرنامج عن حرصه على مصالح ما يزيد على تسعين بالمائة من افراد الشعب بعبارات مثـــل« العلاقات المبنية على العدل والوئام بين العامل ورب العمل و للفلاح وصاحـــب الارض » فحسب مخلفا نفسه بذلك فـي غلاف سميك مـــن الغموض والصمت !!وهنا يكمن السر الذي جر ليس « حركـة تحرير » الى ورطة الاضمحلال خـــلال سنتين من الزمان فحسب ، ولم يغـــرق الكثير من القوى الاجتماعية الثوريـــة الاصيلة في دوامة الجزئيات السياسية ، بل تنسى ايضا على القابليات الاجتماعيـة الثورية الكامنة في ظروف ارضخت العدو على الانسحاب ازاءها الى ذلك الحد .

٥٠ ـــ ان نظرة قصيرة الى تاريـــخ ضرب وانتشار الفكر الماركســـي ـــ اللينيني في ايران تبين كيف ان هذا الفكر نشأ بتأثير من الاشتراكية الديمقراطيـــة الروسية والميول الاشتراكية المنتشرة بين العمال الايرانيين المقيمين في باكو الذيـن قاموا قد تأثروا بالاعمال الاعلامية الثورية للاشتراكيين الديمقراطيين الروس وكيـف انعكس في الحركة الديمقراطية البرجوازية ! اي ثورة الدستور ! في ايران .

في سنة ١٩٠٤ بـــادر الاشتراكيـون الديمقراطيون الروس (لجنة القفقاز) الى تأسيس جمعية باسم « همت » مهمتهـــا نشر الثقافة الثورية والدعاية للاشتراكية في صفوف العمال الايرانيين المقيمين فـي باكو ، واستطاعت هذه الجمعية التـــي كانت قد دفعت باول موجة من الافكـــار الاشتراكية الديمقراطية الى حركة العمال الايرانيين المقيمين في الخارج (روسيا) ، ان تضع حجر الاساس (في سنة ١٩٠٥) للحزب الاشتراكي الديمقراطي الايرانـي بالضبط في خضم النضال البرجـــوازي الديمقراطي من اجل الدستور . وكان هذا الحزب يحمل اســـم « الاجتماعيـــين العاميين » ـــ وتقيم قيادته ايضا في باكو ـــ ولقد تركت هذه الحركة في خلال فتـرة زمنية قصيرة تأثيرات مدهشة في مسيرة النضالات الوطنية ـــ لتوفر الاستعـــداد الثوري داخل البلاد ـــ ويرجع الى تأثير هذا الحزب ، في الواقع تشكيـل تنظيم سري باسم « مركز غيبي » في اذربيجان (تبريز) بقيادة علي مسيو ورسول صدقيانـــي

وغيرهما ، بحيث ان منهاج « مركـــزغيبي » هو ترجمة حرفية لمنهاج لجنـــة القفقاز « للحزب الاشتراكي الديمقراطي الروسي » الذي كان يقوده تريمـــان تريمالوف .

في سنة ١٩٠٧ نشر منهاج آخر الكـــترنتدمية باسم منهاج « جمعية المجاهدين » كان يعتبر في الواقع استمرارا وتطورا للنشاط التنظيمي لـــ « مركز غيبي » ... وكان هذا المنهاج هو الاخر مقتبسا بشكل دقيق من المبادىء الثورية للاشتراكيين الديمقراطيين الروس في القفقاز ويؤكد على وجه الخصوص بأن اللجنة المركزيـــة للجمعية تقيم في القفقاز ... وفي الواقع فان لجنة باكو التابعة الى الجمعيـــة هي التي كانت تشرف على اللجان الاخرى للجمعية في مشهد وتبريز وطهران وتفليس (كان حيدر خان قد عمل قبل ذلك بمدة طويلة في نفس هذه اللجنة) . حتى بعد ١٥ سنة من ذلك الوقت ، عندما شكل الحزب الشيوعي الايراني في المؤتمر الاول لحزب « العدالة » في ميناء انزلي (بهلوي) على ساحل بحر قزوين شمالي ايران) ، الذي يدل اسمه الى الحزب الشيوعي الايراني ، انتخب لينين وتريمان تريمالوف كأعضاء في اللجنـــة المركزية للحـــزب الشيوعي الايراني وابلغا بهذا القـــرار برقيا . (تألفت اللجنة المركزية مـــن ١٥ عضوا ، وشغل منصب السكرتير الاول سلطان زاده ، ومنصب السكرتير الثاني والثالث كالمران اتاييف وجعفر بيشه وري على التوالي) .

ان هذه الادلة تبين ذلـــك الـــدور العظيم والمهم والحاسم الذي يجب الاقرار به في مرحلة من المراحل ، للفكر الماركسي ـــ اللينيني العالمي ، وعلـــى وجـــه الخصوص ، للفكر الاشتراكي الديمقراطي الروسي والحركة الاشتراكية الديمقراطية الايرانية .

٥١ ـــ ان التأكيد عـــلى اكتســـاب الموضوعية التاريخية من قبل ايديولوجيـــة البروليتاريا ، لا يعني بأي وجه انكـــار ظروف موضوعية لهذه الايديولوجية بشكل عام ، وذلك لان نشوء الطبقة العاملـــة وايديولوجيتها حدث عالمي ، يشمل فـي المجموع بتأثيره جميع التحولات العالميـــة الحالية منها والقادمة . كما ان القوانين والتجارب الموجودة (كالصين مثلا) اثبتت بوضوح بأن موضوع نشوء ونمو حـــزب الطبقة العاملة او الافكـــار الماركسية ـــ اللينينية في بلد ما ، لا يتوقف فقط وبالضرورة على تحكم البرجوازية في ذلـــك البلد او تشكيل العمال لاكثرية افراد الشعـــب او مسائل اخرى من هذا النوع ، الكلـــه ، في اوضاع تحكم البرجوازية ، وبالتالـــي النمو الحتمي للطبقة العاملة ، فـــان ايديولوجية وحزب الطبقة العاملة هـــا

وهدفها اللذان يوسعهما قيادة النضال الطبقي ضد الامبريالية وضد البرجوازية الحاكمة .

٥٢ — المقصود هو قبول بعض وجهات النظر الماركسية ولو بشكل ناقص طبعا .

٥٣ — تعتبر الرسالة النقدية الموجهة من قبل نسمة من الكوادر الشباب في القواعد من حركة تحرير ايران (نهضت آزادي) الى قيادة الحركة ، والتي طلبوا فيها بالحاح تغيير سلوك الحركة الداخلي والخارجي باتجاه بعث الروح في الاساليب الثورية المناسبة مع روح العصر ، نموذجا لهذا الفهم ، وكان من بين هؤلاء التسعة ، رفيقان من مؤسسي منظمة مجاهدي الشعب .

٥٤ — نقول انهم كانوا قد كسروا كثيرا من القيود الطبقية — وليس كلها — من حيث اننا نؤمن بأن الصلات الفكرية والثقافية هي بالذات اشكال مهمة ومعقدة من العلاقات الطبقية ، وليس من الممكن لمس هذه الاشكال من الارتباطات الطبقية بشكل ظاهر وفي العلاقات الحياتية العادية غير التنظيمية ، بل انها تظهر بشكل بارز داخل العلاقات التنظيمية الداخلية ، في مجرى عمل ثوري منظم — على شرط ان تكون المنظمة والتنظيم مسلحة بالفكر العلمي — . وعلى سبيل المثال ان الشخص ذو التفكير الديني الذي قبل تجاوز جميع المصالح والملذات والعلاقات العادية التي تتسم بها الحياة البرجوازية الصغيرة وقبل حياة الاحتراف الثوري ، لا يحق له الادعاء بهجره لجميع العلاقات البرجوازية الصغيرة ، ما لم يتخل عن معتقداته المثالية التي هي من احدى نتائج الحياة في صفوف هذه الطبقة وتنعكس في كل الاحوال ، المصالح الشخصية المرتبطة بهذه الطبقة . ذلك لان الاهم من هذه التضحيات والاهم من التخلي عن الملذات الاعتيادية التي توفرها الحياة المساومة والاستسلامية للبرجوازية الصغيرة ، الاهم من كل ذلك هو دوافعه واتجاهاته ! ان الدوافع الفوقية واساليب التفكير التي تدخل الى النضال من زاوية الاعتقاد بنوع من عملية البيع والشراء ، او الاخذ والعطاء ، والايديولوجيات التي تنظر الى النضال من نفس هذه الرصد — اي الرصد الضيق لذلك التاجر الذي لا يشغل باله سوى منافعه واضراره الشخصية — ويعطي الوعد لنفسه مقابل هذه التضحيات ! الخلاص من عذاب النار المحرقة والتخلص من عقدة الخوف من « سموم وحميم ... لا كلون من شجر من زقوم ... تشاربون عليه من الحميم ، تشاربون شرب الهيم » والخلود في جنات النعيم الحاوية على الحور والغلمان والملذات والمتع التي لاتوصف .. وخلاصة القول ، الحركة التي نشأ ليس من منطلق فهم الضرورات التاريخية ، بل جراء القبول العاطفي لمخلف

القوى المزعومة وجودها في ما وراء الطبيعة والاوهام الميتافيزيقية ، ومن عقدة الخوف من اشياء غيبية او جراء ارتكاب الذنب الخلقي الذي ارتكب او لم يرتكب ، لا تستطيع ، البتة ، ان تكون ركائز ثابتة وسليمة لعملية نضال طويلة المدى مستمرة في توريتها الى الجماهير الشعبية .

ان مثل هذه الميول والافكار مهما كانت سمك التحليلات والتبريرات ، والادعاءات العلمية ، التي تغطى بها ، لن تستطيعين تقديم الحلول للمتطلبات الايديولوجية لحركة اشتراكية ونضال طبقي ضد البرجوازية لانها تستند على الاسس المثالية الوهمية ، والركائز البالية المبنية على المعتقدات الميتافيزيقية ، ذلك لان مثل هذا النضال يستوجب حصرا وجود ايديولوجية وتفكير يستندان قبل كل شيء على العلم ، ولان الدين (أي دين) ليس سوى تفكير مثاليا في الاساس يقف ضد العلم كنقيض سرمدي .

لنفس هذه الاسباب ، فانه ردا على الادعاء القائل بانه « اذا كان القانون العام الماركسي الذي يقضي بان تفكير وايديولوجية اي فرد (او فئة او طبقة) يتعين على ضوء حياته وموقعه الاجتماعي (الاتجاه السياسي — الاجتماعي لاية منظمة) صحيحا ، اذا فان الاشخاص الذين هجروا الحياة البرجوازية الصغيرة الاعتيادية ، بل وسلكوا حتى طريق النضال الثوري ايضا ، ليس ممكنا ان يظلوا على صلة ، من الناحية الفكرية بهذه الطبقة » ، يجب الاشارة الى الدوافع النضالية لهذا الفرد او الفئة او الطبقة التي لا زالت محتفظة بعلاقاتها العميقة بمصالح وافكار هذه الطبقة ، وهكذا ، فانه حتى حياة الزهد والتعفف التي يتظاهر بها بعض الادعياء على انهاتعني هجرا للعلاقات والروابط .. الخ ، ان لم يكن بمنشؤها نوعا من الاستنتاج الصوفي او القناعة البرجوازية الصغيرة حول العالم ، فانها لن تكون سوى دليلا على هجر ذلك النوع من الحياة التي تحياها تلك الفئة من البرجوازيين الصغار الذين غرقوا الى الذقون في جرائم المساومة والمهادنة مع البرجوازية الحاكمة ! ومن جهة اخرى ان معنى العيش والحياة الاجتماعية في التفكير الماركسي ، لا تنطبق مع المعنى الذي يعطينا اياها قاموس البرجوازية الصغيرة . فمن وجهة نظر الماركسية ، هناك علاقة وثيقة ودقيقة بين هذه الحياة والانتاج ، اي ان الجوهر الطبقي لمعيشة اي فرد (او طبقة) وحياته الاجتماعية يتعين على ضوء الموقع الذي يحتله في عملية الانتاج . من الممكن ان يحصل عامل صناعي ، في مجال الحياة الاعتيادية ، على مورد اكبر مما يحصل عليه كاسب يقطن في المدن ، لكن هذا لا يعني بأن هذا البرجوازي الصغير هو ، في الاساس ، اكثر ثورية من ذلك العامل ، وعلى نفس المنوال ، قد

يستطيع عامل، وقد يرغب فيه بل ويشتاق اليه (وهذا امر طبيعي) ان تتوفر لديه وسائط ومستلزمات حياة سعيدة ومرفهة (كالثلاجة ، منزل .. الخ) ، لكن هذا لن يعني ارتباطا برجوازيا صغيرا من قبيله بالحياة او الوصول الى حياة استهلاكية من النوع الذي تتسم به البرجوازية الصغيرة .

المهم للفرد العامل انه في ظل النظام البرجوازي الحاكم ، لا يملك اية وسيلة انتاجية او اية ملكية انتاجية (وهذا هو ما يحدد اتجاهه الفكري والعقائدي) . انه ، لكي يضمن لنفسه الحياة ، عليه ان يبيع قوة عمله ، انه لا يستطيع ان يكون له موردا اخر ، غير عمله على الاجر اليومي . وفي هذا السوق لبيع وشراء قوة العمل ، البرجوازي الحاكم هو الذي يحدد القيمة ، لذا فهو ، اي العامل ، يضطر ان يشتغل لساعات طوال من العمل اليومي لصالح الرأسمالي ، مقابل لا شيء تقريبا ، اي حصة صغيرة جدا مما انتجته يداه .. لكن ذلك لا يشكل جميع الظروف المادية المحيطة بعمله وحياته الاجتماعية ، لذلك فلا يمكن قياس خصاله ونفسياته بهذا المقياس فقط ، بل الانتاج **الجماعي والصناعي** ، اي الميزتين الرئيسيتين للانتاج البرجوازي ، هما اللذان يتركان اثارا مهمة في تولية الاخلاق والنفسيات البروليتارية (مثل التنظيم والوعي الطبقي .. وكون هذه الطبقة قوة متنامية ... الخ .)

ان جميع هذه القضايا عندما تقترن مع الازمات والتناقضات الداخلية للبرجوازية ــ التي تمارس اشد ضغط على البروليتاريا ، بشكل مباشر ، تضع بمجموعها امام البروليتاريا مهمة تاريخية ، مهمة هي اكثر ثورية من كل المهام المتعلقة بالطبقات الشعبية الاخرى ... هذه المهمة ، التي ترتبط بشكل عضوي مع وجوده الاجتماعي وبالتالي يقابلها على الايديولوجية وسعة نظرته الى القضايا ، هي سحق الماكنة السياسية ــ العسكرية ــ الاقتصادية للبرجوازية واقامة حكم البروليتاريا . اما البرجوازي الصغير ، فمهما اقترنت حياته بالبؤس والحرمان ، مهما كان فقيرا وتعسا ، لكنه يحتل ، من حيث الانتاج ، موقعا يختلف تماما عن الموضع الذي يحتله البروليتاري في هذا المجال (يراجع مقدمة المقال « حول البرجوازية الصغيرة ») ، ويحتل من الناحية التاريخية ايضا موقعا متناقضا ، في الاساس ، مع موقع البروليتاريا . فالبرجوازية الصغيرة تنحدر نحو الاسفل والسقوط لذلك فان تفكيرها ، واهتمامها ينحصران في اطار الحفاظ على الوضع الراهن والنظر الى الماضي ، في حين تصعد البروليتاريا باتجاه النمو وتتطلع دائما نحو المستقبل ، ويتجه اهتمامها الى القضية على مستوى عالمي ... ان من شأن هذا التوضيح حول الحياة الاجتماعية والمعيشية ، ان يسلط الضوء على كلا

الشكلين من الانتاج : البرجوازي الصغير والبروليتاري حول المصاعب والضغوط الناجمة عن الحياة الطبقية . فمثلا ، يحمل البرجوازي الصغير التأمل استنتاجا فرديا ، صوفيا ، متسما بالتنسك والرياضة النفسية المفعمة بروح القناعة الدينية ويتصور بسذاجة انه من خلال الارتياض الفردي وعدم الالتفات الى الدنيا وما فيها ، يصل الى مقام معنوي عظيم ! في حين تشعر البروليتاريا ، كوحدة طبقية مستقلة وناضجة بوطأة الاستغلال البشع والقمع الدموي الذي تستعمله معها الطبقة الحاكمة بشكل مادي وطبيعي وفي كل لحظة من لحظات العمل ، انها غير مضطرة لخلق ظروف الضغط على اساس التصنع ومن خلال سلسلة من التصورات والاعتقادات الميتافيزيقية ، بل انها تتحمل ، في الحقيقة والواقع الملموسين ، مثل هذا الضغط كشيء عضوي تتسم به حياتها اليومية لحظة بلحظة .. وهذا بالنسبة اليها امر واقع لا مناص منه لذا فيغدو من اولى مهماتها ذات العلاقة بمصالحها ، ان تنتفض وثلجأ الى المقاومة في وجه النظام الحاكم السائد ، تنتفض على سلطة البرجوازية الحاكمة التي تمد سلطتها من جسد البروليتاريا وتكرهها وتفرض (اي البروليتاريا) على المجتمع سلطتها الطبقية المطلقة ، اي السلطة الاقتصادية ــ السياسية والايديولوجية العمالية التي ليس من الممكن ان تضم بين صفوفها وفي تركيبها عناصر برجوازية ، وبالتالي عناصر الاستغلال . ان مثل هذه الافكار والاتجاهات لا تنطبق اساسا مع الافكار السياسية والاتجاهات النفسية للبرجوازية الصغيرة ، ومن هنا فان اي تحرك ، متشابه في الظاهر ، سياسي او تاكتيكي مرتبط بهاتين الطبقتين (مثلا كفهم البرجوازية الصغيرة للكفاح المسلح وفهم البروليتاريا له) يتضمن في داخله اختلافا جوهريا يتناسب مع فهم الطبقتين للقضايا المحيطة .

وثمة نقطة اخرى هنا ، تتعلق بعملية انتقال المجموعات او الافراد من المواقف البرجوازية الصغيرة الى المواقف البروليتارية وهذا امر ممكن ، بطبيعة الحال ، سواء من الناحية النظرية او من الناحية العملية ، ذلك لان حدوث مثل هذه الحركة المتجانسة في المجتمع الرأسمالي ، خصوصا في ظل الاوضاع الحادة التي تتولد من الانتقال من مرحلة انتاجية الى مرحلة اخرى (من الانتاج الاقطاعي الى الانتاج البرجوازي) اي اضطراب التركيب الطبقي ، نشوء الاستقطابات الطبقية الجديدة ، بروز التململ الاشد للطبقات والعناصر المرتبطة بها في هذه الظروف .. الخ وهكذا ، فكما ان لهذا الحدث واقعا ماديا في بطن المجتمع ، فان المجموعات او التنظيمات السياسية ذات الافكار الوسطية والايديولوجيات الازدواجية تعكس الاشكال البنائية الفوقية لهذا الواقع خلال فترة زمنية محددة وتأخذ

هذه المجموعات — في ظروف اكثر هدوء ،اي الظروف التي فيها تأخذ الاستقطابات والاطر الطبقية الجديدة شكلا محـــــددالنفسها — موقعها الطبيعي ، وبالتالي ، الايديولوجي الثابت ، وتضطر هـــــذهالمجموعات خلال عملية النضال الاجتماعية المعقدة والطويلة المدى ومن خلال الابعادالمختلفة والمتناقضة التي يتخذها هـــذا النضال نفسه من ناحية عكس مصالـحالطبقات وفي صفوف فئـــات الشعـــب المختلفة ، الى اتخاذ مواقف لصالـح هذهالفئة او الطبقة او تلك ، الامر الـذي يحدد فيالنهاية الجوهر الطبقي الثابت لها.

ومن هنا، فالميول المثالية المسيطرة علىالمجموعات ، التي تمثل دوما ايديولوجية ومصالح الفئات والطبقات غير البروليتارية(وتمثل في ايران الاجنحة والفئـــات المختلفة من البرجوازية الصغيرة بشكلخاص) ، وانما ان تستطيع خلال عملية تطبيق نوري مكثف وطويل الامد ان تتـركموقفها الخاطئة لصالح العقائد الثوريـة العـالمية — اي ايديولوجية البروليتاريا —وهذا يستلزم ، بطبيعة الحال ، اتخـاذ المواقف المخلصـــة للغاية ، ووجـــودالاستعداد الكافي لفهم المصالح الاكثـــر اساسا للفئات الاجتماعيـــة الكادحـــةوالاستجابة لمتطلباتها في كل لحظة وكذلـك تشديد النضال الايديولوجي ، وقيادته ،قيادة سليمة ، داخل المنظمة لصالـــح توطيد المفاهيم الثوريـــة الموجودة فـــيايديولوجية المجموعة توطيدا راسخـــا ودحض المفاهيم الرجعية والمثالية فيها تماالقضاء عليها . وقد يكون خير مثال علـى تجربة المرور بهذه العملية ، هو منظمتاالذات التي استطاعت اخيرا وبعد عشرة سنوات من المـاهية في عملية التطبيـقالثوري داخل المجتمع ، وبعد اربعـــة سنوات من المشاركة المباشرة في الكفـاحالمسلح وفي الصف الطليعي منه ، وبعـد سنتين منالنضال الايديولوجي الحاد داخلالمنظمة ، ان تفضح مواقفها الخاطئـــة والمثالية السابقة وتدينها ، استطاعت انتقضي على موقفها المتذبذب والوسـطـــي طبقيا من خلال الاستناد الى مصالـــحالبروليتاريا ونظرتها العالميـة الشاملة ، وان تفتح مرحلة جديدة من الكفاح المسلحالشعبي .

أو ان الافراد والمجموعات الراضخـةللافكار المثالية ستظل سائرة في فيها — على رغم استمرار مشاركتها العملية فيالكفاح — وهذا يكشف النقاب عـــن اصرارها على مواقفها المتذبذبة والوسطيةالتي تؤدي بالاقتران مع تصاعد نضـال الجماهير الشعبية واشتداد الجانـــبالطبقي من هذا النضال ، الى زيـــادة امكانية نمو الانحراف الكامن اصلا في كيانهذه القوى نفسها — الانحراف الذي يملك دوما جذورا في الاستراتيجيـة السياسيةوالعملية (وجود جذور المساومة المغايرة، الروح الفردية والموقف السطحي حيـالالقضايا المختلفة في افكارها السياسيـة

والتنظيمية الناتجة اصلا من ايديولوجيتهاالمثالية) . فنفس هؤلاء الاشخاص الذين مروا بمرحلة نضال نوري (مع ان هـذهالمرحلة لـم تخلو مـن شوائب الاراء والنظرات الخاطئة لهؤلاء ، التي تركـتحتما اثارها السلبية) ، يقفون بسهولة ، في مرحلة اخرى ، ضد التحرك اللاحـقللثورة ! وهذا الموقف الذي يختلف في البداية مع موقف الثورة المضادة (بينمـايخدم مثل هـــذا الموقف في النهاية) ، ينحصر في خلق سلسلة من الانحرافـــاتالسياسية — التنظيمية الكبيرة علـــى مستوى الحركة ، وتقف بشكل سافـر ،في وجه مصالح الجماهير الكادحة ، ومن البديهي ان تنطلق هذه الانحرافات مـــنمنشأ ايديولوجي (طبقي) ، وكمـــا ان وجود الاختلافات الايديولوجية في ايـــةحركة شعبية امر حتمي ، فان بروزها على السطح ايضا امر حتمي . بعبارة اخرى ،لا تنحصر اسس المثاليـــة واشكـــال الايديولوجيات البرجوازية الصغيرة فيمرحلة معقدة لاحقة من النضال ، في الظهور على شكل صور بسيطة لصالـحبنية على حياة استغلالية ومساومـــة خالصة ، او حتى على الحياة الاعتيادية للبرجوازية الصغيرة في داخل المجتمع ، بل ان مصالح اكثر تعقيدا ، تنشأ هـي الاخرى ، طبعا ، من النوع المبـــذول والمصالح الفردية الخاطئة المغلفة باساليباكثر خفية ، واكثر عمقا ، من عبـــادة الشخصية وصنع الابطـال ، والـــروحالعنوية وارضاء شتى الميول العنويـــة والفردية وحب الزعامة والمغامـــرةالعسكرية ، او المساومات السياسية .. الخ ، هي التي تشكل قاعدة هذه الخلافات(وليس من الممكن ، البتة ، ان تؤدي هذه الانحرافات الى شيء سوى العودةالى احضان البرجوازية والمهادنة معها ، وكما وينقد مرتكبوها حتى تلك التشـــرةالثورية والتي تغطيهم وتتكشف عنهم حجب عدم الارتباط الظاهري بالحياة والعلاقاتالبرجوازية — كالجزائر مثلا —) .

وكم من مرة حدث لافراد او مجموعات،توفرت لهم خلال مجرى النضال الثـوري ظروف مناسبة لفهم الحقائق المادية للعالم،لكنهم بسبب ارتباطهم الوثيق والعميـق بالميول والاتجاهات المثالية الخاطئة التـييحملونها ، لم يكتسبوا الاستعداد اللازم للاذعان للحقيقة — ان هذه الاتجاهـاتالمثالية المتمكنة في الاعتقاد بهذا الدين او تلك العقيدة تحمل في طياتها بعدالـحردية او نزعة ثابتة الجذور لاصحابها —. ومن هنا ، فان مثـــل هؤلاء الافراد اوالفئات ، لا يمكن ان يكونوا حتى ممثلين مخلصين لطبقتهم او الفئة الاجتماعية التيينتمون اليها ، وهناك اختلافات صارخـة تميزهم عناولئك الافراد او تلكالمجموعاتالتي لم تمر بمثل هذه الاوضاع ، ويعبرون بكل صدق عن نضال طبقتهم من خـــلالالمساندة الصريحة والجادة عن المثالية ، ودون السعي لاغراق هـــذه المساندة فيبحر المصطلحات العلمية والتبريـــرات

المتوقعة في لجة الفلسفات الاجتماعيةالبالية ، في حين يتناول الفريق الاول ، على وجه العموم ، عن موقفه التقدميوالثوري **المشروط** فيعملية النضال المادي للامبريالية ، ويوجه اشد الضرباتالانشقاقية ــ الانتهازية الى كيان الحركة.

٥٥ ــ سنقدم توضيحا اكثر حول هذه« البصيرة العلمية » التي كانت تتبع في الواقع ، من نوع من الاستقراء والقياسوتنتهي ، كحد اعلى ، اي في اوج تكاملها، عند الديالكتيكية المثالية (الهيجيلية) .

٥٦ ــ لم يكن بوسع الاتجاه الماطلسي ــ الايديولوجي نحو الاسلام ان يخفي تأثيراته السيئة على مسألة اكتسابالتجارب والدروس من ثورات شعوب العالم ضد الامبريالية ، فنظرة قصيرةالى مضمون البرنامج التثقيفي للمنظمة في تلك الفترة توضح بشكل جيد بأنلاهتمامنا بثورة الجزائر والثورةالفلسطينية وادخال النصوص الكثيرة التي تفوقالاحتياج السياسي حول الثورتين ، في الحقل التثقيفي داخل المنظمة (فمثلا كانكتاب « افضل الجهاد » لمؤلفه عبد الله اوزبكان يؤخذ بالدرس والتحليل ، ككتابستراتيجي ، بحضور المسؤولين القياديين في المنظمة ولاسابيع متتالية خلالاجتماعات طويلة) ، اسبابا عاطفية ــ ايديولوجية ايضا بجانب الدوافعالسياسية ــ الستراتيجية (خصوصا بالنسبة للثورة الفلسطينية) تلك لانهذين المثلين الثوريين ، كانا يسلطان الضوء الكاشف الى حد ما ، على دوربعض الوجوه والجوانب الاسلامية وكذلك اتجاهنا نحو دراسة القضايا الخاصةبالثورة الصينية (وايضا بغض النظر اننا كنا نتلقى تجارب جديدة حول هذهالقضايا) ، وكانت احدى الاسبابالداعية الى ذلك هي ان الكتب والمصادر المذكورة او بالاحرى تلك التي كنا نحن ندرسها) تتناول بسبب الظروف الوطنية الخاصةوالمرحلة النضالية للثورة الصينية (وكذلك التهتانية) المسائل الايديولوجية ــ الفلسفية بالبحث الشامل اقل من غيرها، ويقل فيها الهجوم ، على وجه الخصوص،على ذلك النوع من المثالية الذي كنا ندافع عنه ، في حين كان التثقيف بالنصوصالاساسية الماركسية ــ اللينينية المتعلقة بالصراعاتالنظرية ــ الايديولوجية الدائرةفي الزمن الذي شهد نشوء الماركسية وظهورها الجذرية وتغلبهاعلى اي تفكير غير بروليتاري في اوروبا الصناعية وكذلك النصوص المتعلقة بأولثورة اشتراكية كبرى في العالم بقيادة لينين في الاتحاد السوفياتي ، كان التثقيف بهذهالنصوص يعيد المثال للغاية ، هذا في حين ، كان الواقع يجعل من مطالعة هذهالنصوص اكثر ضرورة والحاحا من انواع المطالعات الاخرى المدرجة في البرنامجبالنظر لتعدد اوجه التشابه في الاوضاع

السياسية ــ الاقتصادية ــ الاجتماعيةالمتواجدة في ايران حاليا مع تلك التي كانت موجودة في روسيا حينئذ ، (فمثلا لميكن الا قلة قليلة من الناس في منظمتنا سبق لهم وان قرأوا التاريخ الحديثللثورة الروسية ، او الاشتراكية العلمية والاشتراكية الطوباوية (لانجلز) ...الخ ، ناهيك عن دراسة هذه الكتب او نقد نصوصها على مستوى المنظمة ! لوانه في العديد من الحلقات الدراسية الستراتيجية حتى في سنوات ٧٠ــ٧١ كانكتاب « ما العمل » للينين يقرأ جنبا الى جنب مع « افضل الجهاد » لاوزبكان و « معذبوا الارض » لفانون !) .

٥٧ ــ سنقدم توضيحات اوفى في الفصول القادمة حول هذا الاستنتاج التالي ــ الينابيعي عن التطور والتأثيرالذي مارسه على الفكر السياسي والتنظيمي لمنظمتنا . لكننا نرى من الواجبان نشير هنا الى ان الماركسية ، على العكس من استنتاجنا المختصر الى الاساسحول التطور ــ الذي يجسده على شكل قانون النفي ــ تحدد معنى التطور بشكلعام من خلال علاقته بالتناقضات الموجودة في اعماق الظاهرة المادية (العالم) ،انها ، اي الماركسية ، ترى ان التطور في المجتمعات الطبقية يتوضح في التناقضبين قوى الانتاج والعلاقات الانتاجية ، كظاهرة مادية ومحددة بحيث ان مستوىتطور القوى الانتاجية يتبنى شكلا خاصا من العلاقات الانتاجية .

٥٨ ــ هنا، يمكن لمس الفهم غير العلميلمفهوم « علمية الصراع » ، فانطلاقا من هذا المفهوم غير العلمي لا يعتبر «الصراع»قانونا مطلقا وعاما يشمل العالم المادي بحكمه ، ويسري على الحياة والمجتمع ..بل يعتبر امرا عرضيا وحادثا في العالم الموجود (فن) ، وبالتالي يعتبر موقتا ايضا .

على العكس ، من هذا التعريف ، يملك« الصراع » في الفلسفة الماركسية مفهوما مطلقا بحيث ان كلية تطور وتحول العالم،نشوء الحياة ، الحياة الاجتماعية ، نمو الجديد وفناء القديم .. وجميع المظاهرالمادية وغير المادية للعالم ، تتوضح على ضوء المبدأ العام والشامل ، اي مبدأ« صراع الاضداد » . وعلى هذا ، فان شتى مقولات العالم مثل العالم الذي لاروح فيه ، والعالم ذي الروح ، المجتمع، التاريخ ، العلم ، التفكير ... الخ بكذلك الاجزاء المختلفة لهذه الفلسفة ، التشخيص حول جميع هذه الاراءوالعلاقاتالتي تربطها ببعضها ــ تتميز بترابط نظري قوي وانسجام علمي رصين (بشكلموضوعي ومستقل عن تشخيصنا ، من حيث ان منشأ جميعها مادي ، وبشكلذاتي ايضا ومن حيث انه من خلال

تشخيص مثل هذا المنشأ ، توطدت في اذهاننا الروابط الواقعية المتحكمة بينها ، بشكل صائب) .

فمثلا ، كما ان حركة احدى الالكترونات تنسب الى الصراع الداخلي الدائر في داخل النواة الذرة (التناقض بين الجسم الموجب في النواة والجسم السالب في مدار الالكترونات) ، بنفس الصورة تنسب الحركة في الطبيعة والمجتمع الى الصراع الدائر بين القوى الداخلية في هذين المجالين ، كصراع الانسان مع الطبيعة الى مرحلة من الزمن ، ثم النضال الطبقي في مرحلة لاحقة (بالاقتران مع نشوء الطبقات) . وكذلك ، لنفس السبب الذي ادى الى ظهور الحياة من خلال عملية « صراع » استغرقت ملايين الاعوام في داخل الطبيعة الميتة ، وبنفس الطريقة ايضا ، ظهر الفكر والشعور (الانسان القادر على التفكير) من خلال صراع طويل وشاق آخر داخل الطبيعة الحية ، وقس على ذلك .

وهكذا نرى بأن قانون «صراع الاضداد» الموجود في الفلسفة المادية ، بشكل مطلق ومجرد بغض النظر عن موضوعه الخاص ، قادر ليس فقط على تحليل تحولات العالم الحي وغير الحي ، بل انه قادر على تحليل وتفسير وبيان اعقد حركة اجتماعية (ويمكن فهم موضوع التطور ايضا عند ربطه ربطا عضويا بنفس « صراع الاضداد » هذا) . في حين ، ان مثل هذا التعريف ، ومثل هذا الفهم غير الصائب لمسألة الصراع (كونه غنا ، اوحتى علما ، قياسا على كون الجراحة فنا ... الخ مثلا) يحوله من احد اكثر المسائل المطروحة في العالم اهمية والحاحا (عالم الطبيعة ، المجتمع ، الفكر والنفس) الى شيء ثانوي فقط ، ونفس الشيء فيما يتعلق بعلم النضال او « علمية النضال الثوري » . ان هذا المصطلح يطرح كمحاولة لعدم الاعتراف بالماركسية — اللينينية كأيديولوجية وحيدة للطبقة العاملة التي من شأنها ايصال النضال المادي للاستغلال (وليس فقط النضال المادي للامبريالية) الى نتيجته الظافرة ، الامر الذي سوف لن يؤدي الى غير الابتعاد الزائد عن فهم الميزات الطبقية للنضال الاجتماعي وكذلك الضياع والتحريف في النظريات الثورية والسلوك السياسي .

لهذا ، فالتعريف الذي ينطوي على ان « النضال انما هو فن وعلم ... » و « ان علم النضال هو علم خلاص الشعوب من براثن الامبريالية » ليس علميا ولا يمكن ان يكون سوى امكانيا لانتاج الطبقات المتوسطة حول مسألة النضال ومعنى التحرر والانعتاق وحول العدو المشخص من قبل هذه الطبقات — الامبريالية ، طبقا للواقع — ، ذلك لان هذا التعريف بصورمفهوم « النضال » على انه امر عرضي

ومؤقت ، من جهة ، ولانه يستند الى اسس عامة ، غير طبقية وعاطفية (خلاص الشعوب من براثن الامبريالية) .

ولا يخلو من فائدة ذكر النتائج الاخرى التي نستخلص من **نفس** هذا البحث ، مع ان هذه النتائج لا ترتبط بشكل مباشر مع اصل المسألة :

على ضوء نفس هذين الاستنتاجين المختلفين ، بل والمتناقضين ، حول مفهوم « النضال » ، يجب اقناع الفرد المؤمن بالفكر الديني **بضرورة النضال** وذلك بالادلة والبراهين ، بوجاهة **السبب** الذي يدعوه الى النضال ، بعبارة اخرى ، في منطق الفكر الديني — مهما انكر ذلك المتكلمون الجدد ، او من يسمون بالمتكلمين القدماء — يمكن للمرء ان يؤمن بالدين ، وبراعي اصوله واحكامه العملية ، دون ان يكون فقط (وان كان فعلى مستوى ضيق وفي حالات خاصة جدا) ملزما بالنضال ويقدر على تبرير مؤمنه الحيادي بالاتيان بآيات بينات ، بل وحتى جميع الآيات القرآنية المرتبطة بالجهاد وسائر النصوص الاجتماعية الدينية ، قد **دوّنت** بشكل روعي فيها هذه النظرة نحو مسألة النضال ، اي ان مسألة النضال ليست ، في اي حال من الاحوال ، مسألة مطلقة لهؤلاء (المؤمنين) ولا ينطقون منها عند انخادهم لاي موقف ، بل تأتي دوما كأمر فجائي ، وكضرورة مرحلية فحسب . فالآيات ٤٠ و٤١ من سورة الحج و ٧٣ من سورة النساء... الخ تبين بأن الاشخاص الذين **وقعوا** تحت طائلة الظلم واخرجوا من ديارهم ومدنهم ... الخ يحق لهم ان يبادروا الى الحرب . او « هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ؟ » امروا بالنفير وجاهدوا في سبيله .. اوعندما يسأل في سورة النساء بلهجة تنم عن الوعيد «وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا » ، ليس هناك حديث عن كيفية الحرب ، بل يقتصر الحديث عن « الحرب » و « النضال » فقط ، وتبلغ الدعوة من الصعوبة جدا ، بنظر بعضها الداعي الى تبشير من صمم على النضال بخلاصه من العذاب الاليم .

في حين ليس هناك في الفلسفة الماركسية ، باي حال من الاحوال ، اي حديث حول السبب الداعي الى النضال . فلا يسأل اي ماركسي عن السبب الذي يدعوه الى النضال ، اذ ان النضال يدخل في اساس هذه الفلسفة ، كجزء لا يتجزأ منها ، بشكل مطلق وبطبيعة الحال ، يشكل نسبي في كل مجال من مجالاتها . وفي الوقت الذي يحكم قانون « صراع الاضداد » العالم بأسره ، اذا فان المسألة واضحة في كل المجالات ، ومنها في مجال النضال الاجتماعي ، ولنفس هذا السبب فانك

عند التحدث مع شخص ماركسي ــ لينيني لا نجد هناك اية ضرورة تستدعي النقاش معه حول ضرورة النضال ضد جهاز الطبقة الحاكمة ، وحول معاداة الظلم والاستغلال (على العكس من الفرد الديني) ، بل ان كامل مناقشتكم المحتملة ستدور حـــول **كيفية** النضال لا السبب ، اي حـــــول الطرق المتعددة والمختلفة للنضال (ونفس الشيء حول سائر النتائج المستخلصة من هذه النظرة ، اي ضرورة القيام بالثـــورة ... الخ) .

ولا يخلو من سبب ، ان يقترن النضال الاجتماعي في شكله الديني ، بالضرورة ، وبشكل مستمر ، بالتوجيهات **الايديولوجية** المكثفة (حول سبب النضال) بالايـــات والبينات الكثيرة ، والاتيان بالشواهـــد والامثلة ، وسرد التاريخ ، حول ضـــرورة النضال . كما ان النضال ما تقدمه النصوص الدينية المقدسة ويقدمه الدينيون التقدميون ، هو ان يثبتوا فقط بان الدين يبرر النضال الاجتماعي ، وليس غيره ، وان طريـــق النضال فيه من الشرعية والحق ، بالقدر اللازم ، في حين يجب ان يقترن النضـــال الاجتماعي في شكله الماركســـي ، دوما وبشكل خاص ، بالتبريرات الستراتيجية (كيفية النضال) ، وسوف لن تجدوا قاعدا سياسيا دينيا ، مهما كان تقدميا ، او « ثوريا » كما يحلو للبعض ان يقولوا ، ينجه (او يقدر على ذلك) الى بحث الطرق المختلفة من النضال الاجتماعي ، الـــى تحليل ظـــروف ايـــران الاجتماعيـــة ــ الاقتصادية وحول النتائج الستراتيجيـــة المستخلصة من هذا التحليل . كل مـــا هو موجود ، وافضله ، يدور حول لزوم التضحية بالنفس والاستشهاد ، لـــزوم النضال في سبيل الحق ومحو الباطـــل ، القضاء على الفساد والرذيلة ، اقامـــة العدل والمساواة .. او قضايا مكـــررة مأخوذة من تجارب سياسية لا تربطها اية رابطة عضويـــــة مع تلـــك المبادئ والاعتقادات . ان هذا الموضوع ، يستند الى دراية في غاية القوة حتى من الناحية التاريخية ايضا . خذوا من اوائل عهد النضال في سبيل الدستور ، الى حركة الاحراش ، الى النضالات في سبيـــل تأميم التبغ ، الى نضالات اوائـــل الستينات ، ولحد هذا اليوم ، لم يقدر الفكر الديني قط ان يحدد خطا سياسيا مستقلا للحركة (ولو انه ساهم دوما فيها وبشكل نشط ايضا) . فمثلا كـــان شعار « الدستور » شعارا رفعته الاوســـاط البرجوازية غير الدينية ، في الاساس ، ثم سار وراءه الدينيون التقدميون بداعـــي مواقعهم الطبقية ، ثم يروجه ايضا بتوالبدينية (في حين لا يبرره الدين بأي حـــال من الاحوال) ، بنفس الطريقة التي كـــان معارضوهم (انصار الشريعة) يستفيدون من نفس هذا الدين لتفنيد الحكم الدستوري واثبات مشروعيه سلطة الشاه المطلقـــة .. الخ . او لنلاحظ حركة الاحـــراش وعلاقتها بجمعية « اتحاد الاسلام » هذه الجمعية ، على رغم كونها جمعية نضالية وساهم عناصر منها في حركة كيلان ايضـــا

(مثل ميرزا كوچك خان و اخرين) لكن معتقداتها الفكرية لم تكن تتطبق ، في اي مجال ، مع البرنامج السياسي لحركـــة الاحراش ، الذي كان متأثرا في الواقع بالحركة الاشتراكية الديمقراطية الروسية .

والامر واضح للغاية فيما يخص السنوات التي تلت سنة ١٩٤١ . فالتفكير الديني تبع بشكل دقيق الشعار المطروح من قبل الجبهة الوطنية التي كانت حزبا غير ديني (تحت شعار تأميـــم النفـــط) ، وفي الستينات ، لم تستطع حركة تحرير التي كانت منظمة دينية التفكير ، ان تطرح اي خط جديد مستند على معتقداتها الدينية ، وانما اكتفت فقط بالاعلان عن انها تســـتواصل طريق مصدق ، وكانت من الناحية العملية بمواصلة لطريق الجبهة الوطنية . وهكذا فالدين ، في اكثر اشكاله تقدمية ، يستطيع كحد اعلى ان يتخذ موقف « احدى الحسنيين » (سورة التوبة ــ الاية ٥٢) ، النصر او الشـــهادة ازاء القضايـــا الاجتماعية ، ولكن هذا الموقف الذي هو تجسيد لنفس « الاستدلال السببي للنضال » اي « اما ان تناضل فتنتل ، وهـــذا لا ينطوي على اي ضرر لك اذ انك ستدخل الجنة ، واما ان تنتصر ، وهذا ايضا لا ينطوي على اي ضرر لك » . ان هـــذا الموقف ان يكن قادرا على حل المسألـــة **الفردية** لذلك المناضل الذي وصل الظلم الى عظمه واصبحت التضحية بالذات بالنسبة له امرا لا مفر منه ، فانه يترك مسألـــة الثورة ، مسألة مصير النضـــال والالام العواتق الاخرى على حالها وبشكل غير محلول . وليس هذا الموقف من مسألـــة النضال (احدى الحسنيين) ، في القرون الاخيرة التي شهدت استكشـــاف قوانين التحولات الاجتماعية والنظريات المتعلقة بها سوى شيئا منطويا على تكريس اســـادة التربية السياسية وحرف الاراء الاجتماعية الملموسة لدى الطبقـــات المتوسطة وخصوصا الشباب المتحمس ودفعهـــا نحو الاوهام والمثاليات الميتافيزيقية .

ويبرز العالم المتأمل الواعي تحـــت تأثير مثل هذه الاراء ، تصور مفهوم هـــو ان قبول الاستشهاد بعوض عن جميع قضايا الثورة ، وان توصل احدهم الى هـــذا الايمان ثم سقوطه شهيدا في سبيل ما آمن به (وهو ما يجري فعلا) لن يبقى هناك اية مسألة اخرى! في حين ان الواقع ليس هكذا ان قبول الشهادة الثورية ــ ذلك القبول الذي لا يستند الى توقع الحصول على امتيازات في الاخرة ــ انما هو جزء صغير للغاية من قضايا الثورة الاخرى ، فقد لقينا الكثير والكثير من الاناس الذين دخلـــوا حلبة النضال مأخوذين بهذه الفكرة ــ فكرة الاستشهاد ــ وكانوا على اســـتعـــداد حقيقي للتضحية بأنفسهم في عمل عسكري او في مجال آخر ، انهم عندما كانـــوا يجابهون مشاكل في الحركة تتسم بطـــول الاستمرار ، بمشاكل وقضايا لا تملك جانب « السببية » بل جانـــب « الكيفية » ويفهمون بان حل مثل هذه المشاكـــل

والتضحيات والموقف الصبور الحازم ازاءهاهو الذي يشكل المسألة الاساسية ،وان تحمل المصاعب والمشاق الناجمة عن هذهالمشاكل اصعب بكثير من الموت ، فيمتلكهم اليأس ويتركون ساحة المعركة — بسبهمبارائهم الخاطئة ذاتها والتي لم يستطيعوا النضال ضدها — .

لكن النتائج السلبية لمثل هذا الموقفلاتسيء النضال لا تنتهي هنا ، اذ عندما تكون « سببية » النضال هي المطروحةوليس « كيفية » النضال ، حينئذ يفتتح الدرب امام كل انواع الاعمال السياسيةالجزئية ، والانحرافية بل وحتى المنسة بالشعوذة والدجل . فلا ينكر انكاهم ، بعضهمبدأ « ضرورة النضال » بل يقومون بتأسيس المدارس الاسلامية بزعم انهميناضلون ضد النظام الحاكم ! او يعكفون على تأليف الكتب والكراريس ويدعون الىترسيخ المبادىء الدينية و« تقوية الثقافة الدينية»، او يتجهون الى الله ويدعونهالىمنح المناضلين النصر المؤزر ! وآخر يخصص مبلغا من زكاته صدقة — طبعمايعد طرح الاف الشروط لئلا يستعمل في اغراض تنقده زاوية من الفردوس الموعود — ، وآخر يقدم التضحيات الجسام ، وفي جلسة صاخبة وفي خضمكلمة رنانة : يؤدي دينه تجاه الثورة ! وهناك العديد من الافراد الذين لا يعملونايا من هذه الاعمال ، لكنهم يدخلون التهم من خلال اساليب الدجل وطول اللسان ،ضمن « معارضي السلطة » وفي زمرة « المناضلين المغاوير في سبيل الدين » ،وليس هناك معيار او محك كي يعرف بواسطته زيفهم ورياؤهم ، عن صدقهمونقائهم (اي معيار كيفية النضال).- اما « سببية » القضية فتحتل اهمية وعظمةكبيرتين لديهم ، فقضية « هل يجب انتناضل ام لا تناضل » فانه بمصيري وحاسم في التفكير الديني بحيث انه يسد الطريق امام اي تفكير في « كيفية النضال » و « نوعيةالطريق » .

٥٩ — التعبير الفلسفي للتوحيد هو نظرية « الوحدة الوجودية للعالم » ذاتها المعروفة والتي تعتبر منشأ العالم ومباديه ، على العموم جوهرة واحدة . وتعتبر الاديان المستندة على التوحيد ، ومنهاالاسلام ، هذا المنشأ ، بانه هو الذات الالهية ، وبهذا تعتبر هذه الاديانمن جملة مدرسة « الوحدة الوجودية » ولكن بالنظر لان هؤلاء يعتبرون هذهالوحدة منبثقة من ارادة روح شاملة ذات شعور وقدرة مطلقتين ، تفوق الماديةوغيرها ، فان تصورهم عن « الوحدة الوجودية » هو تصور جامد ، صوري ومستند الىركائز ميكانيكية وثنائية، ولا تملك « وحدة وجود مكونات العالم » هذه (التيقلنا عنها انها تربط كل شيء بقوة غامضة، وبارادة قاهرة غير مادية ، وبروح وعقلشاملين) اية واقعية او موضوعية في العالم خارج اذهان مثل هؤلاء المؤمنينبالدين . في حين ان المادية الديالكتيكية ، في نفس الوقت الذي تعطي تفسيرالديالكتيكيا للعالم — يستند الى وجود التناقضات المحتفظة داخل الظواهر ذاتها(الطبيعة ، المجتمع والتفس) وتغيير هذه الظواهر وتحولها (عملية التكون الصيرورة الدائمية في كل ظاهرة لا وجودها الصرف) — وفي نفس الوقت الذي لا تغفلولا تعترف باية ظاهرة وأي من مكونات العالم (سواء المكونات المادية ، اوالفكرية او المعنوية) دون وجود التناقضات الذاتية المستمرة في التحولوالتغير ، تثبت ، من خلال حقيقة انجميع هذه الظواهر والوقائع الطبيعية ،الاجتماعية والنفسية وجميع التحولات والتغييرات التي تطرأ عليها انما تنبعمن منشأ مادي ، بان هناك وحدة راسخة عميقة ومحكمة بين المكونات المختلفةالمتناقضة ، والمتغيرة في كل الاحوال ،التي تكون العالم وهذا ما نسميه بـ « الوحدةالمادية للعالم » .

ومن خلال ما تقدم يتضح لنا ، بانالمادية الديالكتيكية هي تلك المدرسة التوحيدية حقا التي لا يمكن ان نجد فيهاية وجهة نظر ازدواجية بوطىء قدم لها. في حين ان الاستنتاجات المثالية حول وحدةوجود العالم ، لا تستطيع ان تحتفظ بوحدتها التوحيدية بسبب التناقضات التيتكشف كل يوم بانفراد بينها وبين الوقائع اليومية للعلم والحياة والجوهر المتناقض،المتحرك والمتحول لموضوعاتهما — خصوصا في الظروف الراهنة المتسمة بتقدم القوىالثورية وتطور الفكر والعالم الانساني ، تضطر بالنتيجة، من خلال التظاهرالمتواصلبالعلم والقوانين الحتمية والعلمية للحركات الاجتماعية ، الى التوتيروالرصد داخل فضاء الدعوى من الازدواجية ، تعترف بموضوعيةالعالم المادي واستقلال وجوده عن الذهن والروح والفكر .. الخ ، من جهة،وتصور له منشأ روحيا ، غير مادي وشعوريا .. الخ ، ثم تعترف من جهةبالتطور والتحول الديالكتيكي للظواهر واتسام الاسباب الداخلية بالحسم في حركة اية ظاهرة ، وتقر ، من طرف اخر، بقوة ميتافيزيقية ، مالكة للارادة السحريةالمتحدة في عبارة « كن فيكون » والغالبة على كل شيء . وكذلك تقر ، من جهة ،بقانون الحتمية العلمية وتأثيره في اية حركة او تطور ، وتعترف من جهةاخرى ، بالقوة الغامضة الخفية المؤثرة في العالم.

ان هذا النوع من الازدواجية الذييفتقر الى الاساس ، مائة مرة اكثر من المثالية والتوحيدية التي يؤمن بها المؤمنونالتقليديون بالدين ، لهو دليل واضح على الطمع الذي يستبد بالمثقفين البرجوازيينالصغار من حقائق العالم المادية ، والذي يوضح ، في نفس الوقت ومن الجهة الاخرىآخر مساعيهم الجدية للخروج من الازمة التاريخية التي حكم عليهم بها ، تلك الازمةالتي تدفع بوجودهم النسبي ، والايديولوجي

بالطبع ، الى الفناء ، فيستعدون للخروج منها للتشبث بكل شيء غير مفهوم الضرورات التاريخية الحديثة .

مثال بسيط : ان التصور الذي يروج له الدين التقليدي المنطلق من معرفة العصر الذي نشأ فيه حول المجموعة الشمسية يستند ، تقريبا ، على الفرضية البطليموسية ، اي نفس النظرية الفلكية الرائجة في ذلك الزمن . في حين يسعى المتدينون الآن ، بعد اكتشاف القوانين الجاذبية والقوانين المرتبطة بالمجموعة الكوبرنيكية (نسبة الى العالم الفلكي كوبرنيكوس — المترجم) ، ان يبرهنوا من خلال تقديم الآلات التمانيروالتحاليل بان رأي الدين حول المجموعة كان منذ الاول منطبقا على ما نادى به كوبرنيكوس ! أوخذ موضوع التطور وقانون تطور الانواع ، ففي نفس الوقت الذي يستند الدين التقليدي ، وبشكل صارخ ، على نظرية « الثبات » (الشيء المفسر بالنظر ، ان اصالة وتناسق الدين التقليدي يكمن هنا) ، يسعى بامتياز فلسفات المنيتة الى البرهنة على ان وجهة نظر الدين كانت نفس نظرية تطورالانواع والنشوء التطوري للانسان .. ومما يستدعي الاهتمام هنا ، هو انه على رغم المساعي ، المنسقة حتى بحسن النية ، المبذولة من قبل بعض هؤلاء الافرادباتجاه تغطية القضايا الدينية بالعلم واصباغ الصفة العلمية عليها (حسن النية من حيث انهم يتصورون بان عملهم هذا انما يخدم الشعب وهو عمل تقدمي)،فان البعض من « العلماء العظام » او من يسمون « باصحاب الراي الدينيين » لا زال يصر على المعتقد الدينية التقديمة ذاتها ويعارض محاولات التجدد هذه التي يزعمون منها انها « من عندیات » اصحابها . ولقد بذلت مساع واسعة ، في مجال مسالة التطور ، للاثبات بانه ليس هناك اي اختلاف بين وجهة نظر الاسلام وقانون تطورالانواع ! ومن الطريف ان مروجي هذا الراي يستندون في هذا الميدان الى آيات سبق لمعارضي قانون التطور ان استندوا اليها في اثبات رايهم !

٦٠ — هنا بالذات ، يجب ان نشير الى ان المنطق الماركسي لا يعتبر هذا « الفهم» و « الاعتراف » و « الادراك » بمعنى المعرفة الصرفة . ان الـ « فهم » او الـ « ادراك » بمثابة طبقية ، يختلف محتواها تبعا للمصالح الطبقية وبالارتباط مع متطلبات الحياة الاجتماعية وحياة الفرد المادية او الطبقية ومن هنا ، فان ادراك الماركسية — اللينينية كايديولوجية تعكس بشكل علمي المصالح الاكثر اساسا للطبقة العاملة وطريق اقامة وتوطيد سلطة هذه الطبقة والمنع الكامل والنهائي لاستغلال الانسان للانسان والقضاء عليه وكذلك « ادراك » و « اقرار » السند الفلسفي

لهذه الايديولوجية ، اي المادية الديالكتيكية ، ممكن فقط وبشكل قطعي بالارتباط مع حياة هذه الطبقة ومصالحها الاكثر جذرية والنضال الطبقي الحازم الطويل الامد ، الرادع ضد البرجوازية الحاكمة . ولنفس هذا السبب ، ليست الماركسية اللينينية بمقولة حتى يدعي احدهم بانه انما يعرفها لكنه لا يؤمن بها وحتى لو انه درس جميع المؤلفات الماركسية ، لامكن من الادعاء بانه انما فهمها،ذلك لان فهم الماركسية ، في الاساس ، متوقف على المساهمة في عملية التغيير الثوري للمجتمع والنضال من اجل القضاء على استغلال رأس المال للعمل ومن هنا يتبين مغزى مخالفة ، وحتى حقد ، الكثير ممن يسمون بالمنظرين الدينيين الجدد ، اي السادة البروتيسورات والاساتذة والعلماء العظام على الماركسية — اللينينية ومعناها — السادة الذين يحررون الرسائل ويؤلفون الكتب في دحض الماركسية ، وينشرون ! بالفوز بالجوائز الملكية !! والاساتذة الذين يعلنون الجهاد على الماركسية اللينينية ! ثم ينكشف امرهم بانهم من ارباب المعامل والمصانع ، والعلماء الافاضل ! الذين يعيشون في الفيلات والقصور الفارهة وتحت غطاء التحقيقات والدعايات الدينية ! يلتهمون اموال الشعب بسهولة ارتشاف الماء !

[الجدير لذكرى ذلك الشهيد الذي وتسيصريما في سبيل الحق « الشهيد التائب زين الدين جبل عاملي » الذي لم يتردد لحظة حتى في غياهب السجون عن السعي والعمل . يقال انه خلال الايام الاربعين التي قضاها في سجن السلطان سليمان الاول في مكة واستشهد في آخرها ،اكمل الرسالة الهامة المسماة بـ « شرح اللمعة » كان يعيش بعمل شاق جدا هو انتلاع الاشواك ولم يحدث ان قبض قط درهما واحدا لقاء عمل لم يقم به . ومن هنا يتبين بانه اذا كان للتشيع قوة للبقاء الى هذا الوقت ، وان كانت تشبعثت به الى الان دعوات الى التجدد ، فان ذلك كان استمرارا لبركة مثل هؤلاء الرجال ، والا فهو واضح وبين ماذا سيكون مصير التشيع على يد قادته الرسميين الذين وضعوا ايديهم في ايدي الطبقة الحاكمة !]

تمثل هؤلاء الرجال ليسوا على استعداد للتضحية بمصالحهم الفردية قيد شعرة ولقد تمرنوا الى ذقونهم في وحل المساومة والتهادن مع نظام الشاه السفاح ، كيف لهم ان يدركوا فكرا وعملا يفند ويدحض اساس حياتهم الاستسلامية والاستغلالية؟ ومن نفس هذا المنطلق ، اي عدم ادراك هذا التفكير وهذه الفلسفة التي تنبع ، على وجه الدقة ، من منبع طبقي ، كيف لهم الا يقفوا منهما موقف المخالف وحتى المعادي !

وثمة نقطة اخرى يجب اضافتها فيمجال العلاقات بين « الفهم والوضع الطبقي في الماركسية » هو منطق الدين المخالف تماما لهذا الاتجاه . ان الدين ، بخلاف الماركسية ، لا يقف عند حد عدم الاعتراف بالاثر الحاسم للحياة الاجتماعية والمادية ، في عقيدته وفكره فحسب ، بل بالنظر للاصالة التي ينسبها الى البناء النوعي (الفكر ، الرأي ، الوعي ، الاخلاق ...) ، فانه يضطر ان يسورد مقولات متمايزة ومستقلة بشكل تام عن بعضها كالوعي ، والايمان والعمل ... الخ - بحيث ان الفرد الواحد يستطيع ان يمتلك الوعي ولا يمتلك « الايمان » . له ان يكون اهل « عمل » ، لكنه من حيث انه فاقد لـ « الايمان » ، فان « عمله » يذهب سدى ! له أن يكون ذا « عمل وايمان » فاضلين ، لكن « مستوى وعيه » يمكن ان يكون ضعيفا ! ذلك لانه ، في غير هذا الوضع ، يتورط في تناقضات غير قابلة للحل - فمثلا مسألة الذنوب التي تتسم بتلك الاهمية البالغة وذلك الدور الحاسم (وكذلك مسألة التوبة ويوم الحساب) تعتمد على ان الفرد (بلاحظ هنا) يلعب دورا اساسيا في التفكير الاجتماعي للدين وتحاسب اعماله على اساس فردي ، سواء اكانت حسنات ام سيئات . وبالاستناد الى علمه بالمسألة ووعيه لابعادها ، مثلا تقاعسه عن اداء الفريضة الفلانية وتنفيذ عمل الخير الفلاني (او اداته لها) ، وبالتالي تبيان الحكم الصادر عليه مذنبا (ام محسنا) ، او في المسألة الفلانية ، مع انه قد علم بهسائل وحتى نفذ واجبه تجاهها ، لكنه حيث ان ايمانه ما كان صحيحا ! ولم يعترم على الشيء الفلاني او غيره ، فان عمله ليس مرفوضا وعديم الفائدة فحسب ، بل انه بالذات يعد مذنبا ويستحق العقاب **لوعيه وعلمه** ... وعلى سبيل المثال ، عدم التفكير الديني ، الرأسمالي المستغل ، او أحد افراد الطغمة الحاكمة ، وشخص الشاه على سبيل المثال ، بالنظر لانهم يعلمون ويفهمون بدقة باننا على **حق** وهم على **باطل** ، يفهمون بانهم مستغلون ، قساة وظالمون ، وان الشعب يستغل من قبلهم ، يعلمون ان هذه الاعمال موجبة للذنوب ، وتعارض التطور والانسان والعدالة الالهية ... الخ ، لكنهم مع هذا لا يترددون من ارتكابها ! يسحقون الحق بأقدامهم ، يعلمون العدالة ... ولكل هذه الاسباب ، فهم مذنبون لفقدانهم الايمان مع علمهم ووعيهم المسبق ، ويجب ، لذلك ، القضاء عليهم وقلعهم في نارجهنم ... ان الدين ظل يصدر هذا الحكم ، وهذه الاستنتاجات ذاتها ، على الامبرياليين وجميع القوى الرجعية وحتى الافراد والفئات الحاكمة على طول التاريخ . ومن هنا قال « غورد » او « روكفلر » مثلا ، عندما يذهبان الى الكنيسة ويبتهلان الى الله ، او هذا الشاه بالذات عندما يدخل حرم الامام الرضا ... فان ما يعملونه لا يعدو كونه تمثلا من اشكال التوبة والتضليل . فهؤلاء لا يؤمنون اصلا بالله ورسوله

وباليوم الاخر وعذاب النار ونعيم الجنة ، والا لما خلقوا لشعوب الارض الباقية جميع هذه المشاكل والمآسي ، جميع هذه الحروب المدمرة لحفنة من « الدراهم » و « الدنانير » ، لقطعة من الـ « جينة » الدنيوية الرثة . وايام معدودات من العيش الرغيد والحياة الفانية ، ومساعكروا لها خاطر عباد الله المساكين ...

لنتلمس هذا السبب ، وانطلاقا من ذات النظر الى القضايا من خلال « الفهم » يضطر الدين في نضاله ضد الطبقات الحاكمة (فمثلا ، نضال البرجوازية الصغيرة ضد النظام الحاكم) أن يؤجل القصاص الواقعي للظالمين الى الحياة الاخرى ، ذلك لان الاشخاص الذين شملوا ظلمهم وماسهم الملايين من بني البشر ، قتلوا الالاف وارتكبوا افظع واشنع الجرائم طوال حياتهم ، كيف يمكن أن يلقوا في هذه الدنيا (من وجهة النظر الدينية) جزاء يتناسب وجرائمهم ! بغض النظر عن اولئك الذين قضوا عمرا مليئا باللذات والمسرات وماتوا ميتة طبيعية .

وهكذا نرى ان التفكير الديني ليس بامكانه الا ان يثر للوعي دورا حاسما اولا (ذلك لانه بعكس هذا ، سيسقط جميع نظرياته الاجتماعية والفلسفية ووجوده ونهديداته) ، وان يعتبر هذا الوعي امرا منفصلا عن عمل الفرد وكيفية حياته الاجتماعية ، ثانيا - اما اسلوب التفكير (اصالة الوعي) ، فانه معرض للتضعضع والنقص والتذبذب ، لذا نراه (اي الدين) يضطر الى اللجوء الى الظواهر الداخلية والكيفيات النفسية للفرد (الايمان ، الارادة ، النوى) ، بعبارة اخرى ، ركيزته الوعي او « العمل » المستقلتين والمنفصلتين عن بعضهما في التفكير الديني ، لا زالتا ضعيفتين بحيث انهما يحتاجان الى عكازة « الايمان » لابقائهما على قدميهما وتمكينهما من تبرير القضايا - ذلك لانه بغير ذلك تبقى الاحداث والوقائع التي لا تنسجم في اطار المنطق الديني الضيق ، تبقى بشكل واضح غير قابلة للتحليل والتفسير .

وعلى سبيل المثال ، هل يستطيع التفكير الديني ان يبين لماذا يلتحق ذلك العامل الكادح ، القليل التعلم ، بل حرفي المدينة وذلك الفلاح الفقير في الريف ، أو ذلك الكاسب الكادح — الذين يحظون جميعا ادنى المراتب من حيث الوعي ، طبقا لرأي الدين — بالثورة بكل اندفاع وايمان من ذلك ، يدركون مفهوم الثورة وضرورة الكفاح بأجسامهم وجلدهم ، لكن ذلك السيد البروليتير ، وذلك العالم **الكبير** ، وذلك الزعيم العظيم ، ليسوا مستعدين أن **يخطوا** حتى خطوة واحدة نحو النضال ، بل يحضون امكانيته وضرورته ايضا الكما انهم يعجزون عن فهم ما يفهمه العامل البسيط بكل وضوح ، على رغم جميع معلوماتهم القديمة والجديدة وعلى رغم جميع المساعي الحثيثة والحميمة التي يبذلونها للفهم ، لكنهم يظلون غير قادرين

على فهمه ! فهل يستطيع الدين ان يقولبان عدم الفهم هذا مرده قلة الوعي ! طبعا لا . ولنأخذ مثالا بسيطا اخر ، لماذايبرز من وسط هذه الفئة ، فئة رجال الدين الذين هم من مروجيه في الظاهر ،باستمرار حركة تقدمية نضالية يقودهـا الطلاب الشباب المعممون الداخلون حديثاني الوسط — من دون اي ارتباط بالعمائم والالقاب الطنانة ، والذين لا زالـتسيماهم تعكس اثار الفقر والبؤس التي تعود الى سنوات مضت ولا زالوا يكتفونبالخبز والماء طعاما لقاء لتلك الدراهم المعدودة التي يتلقونها شهريا ، ولـيبتحوا انوافهم النهائيا للقم التلميذة ، ولم تطأ اقدامهم مجالس السـادة الابـراروملحاقل المطعم الاخيار ولا عرفوا للذاذها وتعمها طعما — ، في حين لعب اساتـذةنفس هؤلاء الطلاب الشباب ، العلمـاء والفقهاء ، الايات العظام وحجج الاسلاموالمراجع الكبرى ، الذين يحسبونانفسهم منبع العلم ومصدر المعرفة ، دومـا دورامحافظا ، رجعيا ، ومتواطئا مع النظـام الحاكم ! ولنعرف ما الموقف الذي يتخذ منهذه الحركة !

[بغض النظر عن عدد معدود من نفسمؤلاء الطلاب الواعيين الذين ظلـوا على حبهم للحقيقة على رغم كهولتهـوبمصابيهم فالقي بهم بسببه في غياهـب السجون وهم الان يرزحون تحت التعذيبأو يمضون حياتهم في السجون والمنافي ، ونظرة الى حياة هذه الفئة تبين بوضوحبأن السبب الكامن وراء قدرتها علـى مواصلة نضالها التقدمي ضد نظام الشاهالسفاح ، هو عدم استعدادها للذوبـان في عملية الجذب والحل العقيمة التـيتنهجها البرجوازية والطبقة الحاكمـة ، فواصلت العيش ، بشرف في ظـل نفسالاوضاع القاسية التي اتسمت بها فترة دراستها ولم ترضخ للمهادنة المشينة مـعنظام الشاه . اننا لسنا نوجه اي لوم او انتقاد الى هذه الفئة من المناضليـنالصادقين في سبيل الحق ، بل نريدبوضوح تلك الاواصر التي تربطنا واياهم التـيتوثق بانضطراد جنبا الى جنب مع تصاعد نضال الشعب وازدياد وحشية وفظاظةنظام الشاه العميل . كان اية اللـه سعيدي نموذجا بارزا لهذه الفئة ، فعندماسقط شهيدا على ايدي جلاوزة الشـاه السفاح ، بعد اربعين سنة من الحيـاةالمليئة بالفقر والنضال ، لـم يترك ما يكفي رمق العيش الضروريحتى لعشرة ايام لاطفالـه الصغار . ان الوسط الديني في بلادنا يستطيع اليوم انيتجنب الوقوع في الشرك الذي نصبتـه له البرجوازية الحاكمة بشرط واحد هو ازيسلك ذات الطريق الذي سلكه الشهيد اية الله سعيدي والشهيد اية الله غفاريوامثالهم ويتجمع حول مناضلين صادقيـن ومحبين للحقيقة وغير قابلين للمساومة مثلالمناضل اية الله طالقاني والمناضل اية الله منتظري وغيرهم].

ان النظام يعتبر هؤلاء الطلبة الشبابالذين لم يمدوا اليد بعد الى الطيبات المرصودة على السفرة الملطخة بدمـاءالشعب ، يعتبرهم شيوعيين ! ويسـمي لواء نضالهم — بكل لؤم وبتقدير سالسيءللمستقبل — العلمالاحمر للثورة الشيوعية ويلقي بهؤلاء المناضلين في غرف العـذابأو يجعلهم اهدافا لرصاص الموت ، لكن دمائهم لا تزال تسيل على اديم المـدارسوالجوامع ، اذ ينبري السادة الاساتذة ، والزعماء وكبار القوم ، لتوجيه اللعنـاتاليهم واعتبارهم قدوة سيئة لطريق الدين ! وبدلا من ان يفضحوا الجرائم الشنعـاءالتي يرتكبها النظام الحاكم والاعمـال الوحشية التي يأتي بها بوليس الشـاهالخائن ، يجرون بعيدا لئلا تلحق تهمـة الشيوعية بهم ، ولهذا تراهم يصـدرون البيانات لا تعزية لذوي الشـهداء ، ولا تضامنا مع طلابهم « الاشرار » ! الذيـنيرزحون الان تحت طائلة التعذيب ، بـل تبرئة لانفسهم من هذه التهمة المرعبة !وكسبا لود ذوي القوة واولي الامر وتوثيق الصلات بعـد هـذا الحادث المؤسف !ويشبعون هذه الفئة « الشريرة الجاهلة »! المنتمية الى الوسط الديني سبا وشتيمـةويعتبرون اعمالهم مخالفة للدين ومنافيـة للشريعة ! (اشارة الى الاحداث التـيبرزت خلال السنة الماضية في مدينـة « قم » جنوبي طهران احيـاء لذكـرىانتفاضة « ١٥ خـرداد » والتـي راح ضحيتها عدد من طلبة الدين واعتقال عدداخر بنهم والمواقف السلبية التي اتخذهـا اولئك العلماء العظام ! تجاه تلـك الاحداث — المترجم)

وهكذا ، فان التبرير الوحيد الـذييستطيع الفكر الديني ان يقدمه ازاء هذا الوضع البائس ، هو ان هـؤلاء السادةالعلماء الاعلام ، تواطئوا مع اجهـزة الطبقة الحاكمة واداروا ظهورهم لنحـوالشعب الكادح ، بل وحتى طعنـوا تلاميذهم الشباب الغيارى من الخلف ، لانالايمان قد ضعف في صدورهم ! والا فـلا شك في ميزان علمهم ووعيهم بالاسـلاموالدين قط !

غير ان الفكر العلمي الماركسـي —اللينيني يخالف مثل هذه النظرة نحـو مقولات الوعي ، الايمان والعمل جملـةوتفصيلا - ان التفكير العلمي يؤمن بـأن الوعي ، الفهم ، العقيدة ، الايديولوجيةوغيرها هي مقولات بنائية فوقية تتحدد على ضوء الموقع الانتاجي ومستوى المعيشـةوالحياة الاجتماعية للفرد او الطبقة. لذلك فان كيفية تفكير الفرد ونظرته الى قضاياالعالم ، نظرته الى الظواهـر الطبيعية والاجتماعية ، نظرته الى الاشكال النفسيةوالروحية (العقل ، الشعور ، العاطفة) ... لا تستند اساسا الى حجم مظالماتهاو مقدار معلوماته او ما انتي عليه من معرفة ، بل تستند الى موقعه الطبقـيوالى كيانه الاجتماعي وطبيعة الموقف الذي اتخذه لنفسه في العلاقات الانتاجية . ومن هنا ، يتضح بشكل تام ، سر الفرق بين

الاستنتاج الذي استخلصه ذلك الطالب، طالب علوم الدين ، التائم النوء من الزبد او ذلك الكاسب الذي يتفنن في دينه ، حول السلام ، بين ما استخلص تلاعبا وبين ما استخلص ذلك التاجر التري ، والانتاعي القديم والبرجوازي الواصل الى سدة القوة حديثا ، حول الاسلام ، يتضح جيدا لماذا يتذر ذلك العامل الامي في الدينة على فهم المفاهيم الثورية **وتركها** بينما يعجز اساتذ الجامعة للاثي وذلك التكنوقراطي ذو الخلم العالي ، والخبير الثلاثي في مجال العلم ، دارة من **درك** ابسط مفهوم ثوري . كل ذلك يوضح الدور الخطيري الحاسم **للمصالح** في تعيين نوعية المتقدي تأطير الايديولوجيات والاخلاق ، والنفسيات ... الخ . ويرجع الى نفس اختلاف المصالح هذه ، انفصال انصار الدستور عن انصار النظام **الملكي المطلق** في ايران اواخر القرن التاسع عشر) ، في حين يعتبر كلاهما الدين مصدرا للالهام لهما ، وسراجا منيرا لافكارهما ، لكن فهمهما لنفس هذا الدين يختلف عن بعضهما اختلاف الارض والسماء . فهذا (انصار الدستور) يعتبر الدين سياجا يحمي المصالح البرجوازية الصغيرة التقليدية ومصالح اجنحة البرجوازية التجارية ، بينما يعتقد الاخر (انصار الشريعة — اي انصار الملكية المطلقة) بأن الدين هو حامي مصالح كبار الاقطاعيين المرتبطين بالبلاط والطغمة الحاكمة . ومن هنا ، فان سبب جميع الاختلافات في المفاهيم وفي الايديولوجيات ، في الاستنتاجات المختلفة من الدين (او الاديان المختلفة) يكمن في الحقيقة التي ذكرت اعلاه ، كما وتتضح ، بنفس الطريقة ، المواقف والعقائد السياسية — الايديولوجية لجميع التجمعات والطبقات والفئات الاجتماعية وهلم جرا ، وبنفس الترتيب ، فان كل فرد ، كل طبقة او فئة اجتماعية ، تقبل فقط تلك العقيدة او المذهب او الاخلاق او النفسية التي تعبر عن مصالحها [يلاحظ هذا الدين بالذات ، انه عندما كان الاقطاعيون الكبار يشكلون الطبقة الحاكمة ، وكان الشكل الرئيسي للانتاج هو الانتاج الاقطاعي ، كانت الرسائل والكتب الفقهية المنبثقة عنه مملوءة بالاوامر والاحكام والقوانين التي تكرس بقاء ومواصلة هذا الشكل من الانتاج بحيث يقضي على استغلال الفلاحين من قبل الاقطاعيين ... والآن بعد سنوات طوال من ذلك التاريخ ، حيث اصبح الانتاج الاقطاعي في عداد الاشياء البائدة ، وحل محله الانتاج البرجوازي المرتكز على نشر العلاقات النقدية والاقتصاد السلعي (التافهة) ، اصطر الدين ، هو الاخر ، ان يقدم تكيفا لنفسه من الاوضاع الاستغلالية المستجدة (الدين الذي لم يعد يخدم الاقطاع مثل سابق عهده ، بل اصبح يخدم البرجوازية) قوانين جديدة حتى وان كان بعض هذه القوانين تعارضة مع بعض الاحكام الدينية الاساسية (الربا وغير ذلك) ان هذه

القوانين توجد بشكل واضح في نفس الرسائل البالية وفي ملاحقها البراقة التي تجيز اي نوع من الاستغلال البرجوازي عن طريق المؤسسات واساليبها الاجرائية ، البنوك ، القروض ... الخ ، جوابا على ثلاثة او اربعة اسئلة اساسية ! وهذا يبين ان اي من الاحكام المقدسة ، والحدود التي لا تقبل التجاوز ، لا تستطيع المقاومة عند تعارضها مع المصالح الطبقية والتحولات الاساسية . وكانت الاحكام الدينية هي الاخرى ، تعكس مصالح الاقطاعيين الاساسية طيلة فترة حكمهم ، وتفرض حق الملكية وحق ملكية الارض والماء ... الخ ، اما عندما انتقلت السلطة الى يد الرأسمالية ، فان الدين كرس نفسه لخدمة مصالحها ، وعند ذلك روج القوانين اللازمة لبقاء ومواصلة الاستغلال البرجوازي من خلال قلب بعض المفاهيم الانتاعية ! ونشر مفهوم البيع والشراء البرجوازي الصغير الذي كان محدودا الى ذلك الحين ومحددا بعشرات الموانع والضوابط ، واباح العلاقات النقدية المتسمة بالجشع والتي كانت تعتبر من جملة المحرمات ، واتى بمآلات الاكلة ذكيات شرعيتها ، وترسخت الكنزتيود واحكام الملكية] ، اي حسب ما يقول المثل المشهور « كل ايديولوجية وكل تفكير ، يحمل علامة طبقته » .

ويتضح من خلال هذه المقدمة بأن الحياة الاقتصادية والممارسة الاجتماعية للفرد او الشريحة ... من وجهة النظر الماركسية ، هي صانعة ايديولوجية او اخلاق او نفسيات او ... ذلك الفرد او الطبقة ، اولا ، ولنفس السبب ، فان وعي ، عقيدة ، ايمان وارادة اي فرد يرتبط بشكل محكم وينبع عمله او ممارسته الخاصة الاجتماعية (شكل الانتاج والتفاعل ...الخ) ثانيا ، ولنفس هذا السبب ، فان المنطق الماركسي لا يفصل قط الوعي عن العمل ولا يؤمن بالايمان كمقولة منفصلة وميتافيزيقية مستقلة عن الحياة والممارسة الاجتماعية للفرد . بل يعتبر جميع ذلك قابلا للتحليل والتفسير خلال مفهوم عام هو « الفهم الطبقي » الذي يحدد مجموعة الميول والعقائد والنفسيات والاخلاق التي يمتاز بها فرد من الافراد ، ثالثا ، وبين لماذا لا يستطيع العالم الفيزيائي ، او العالم الاقتصادي او غيره ، ان يفهم بعض المرات اكثر القضايا البديهية والتي تتعارض مع مصالحه وكيف يعمل ويفكر على ضوء منطقه الطبقي ذاته ، وفي المقابل كيف يسهل للعامل شبه الامي ، والمناضل الطليعي في نفس الوقت ، ان يفهم المسائل الاجتماعية الاساسية ... وكيف ان منشأ هذه الاختلافات ومواقف العداء تجاه الماركسية ، بل وحتى منشأ الخيانات والانحرافات والتحريفية داخل معسكر الماركسيين انفسهم ، هو ، بالتالي ، عدم الفهم الواقعي للمادية الديالكتيكية والفلسفة العلمية . ان هذا هو ذلك الفهم بالذات الذي لا يمكن الوصول اليه من غير المساهمة في تطبيقه الخاص ، الانتاج

البروليتاري والمساهمة في النضال الطبقي البروليتاريا ضد البرجوازية) . ان هذا الفهم مرتبط ، ايضا ، بذلك الايمان والعمل الذي ، ونق هذا المنطق ، ليست هناك حاجة لفصلها عن الوعي . ان الماركسي الحقيقي ، يفهم الماركسية فقط بذلك القدر الذي يسمح به عمله الاجتماعي او الثوري وان هذا الادراك يوفر بالتأكيد الايمان اللازم للاستجابة للضرورات والوظائف المدركة والعمل بها . والفرد غير الماركسي يعارض الماركسية — اللينينية والفلسفة العلمية بتلك الدرجة التي تتعارض بها حياته الاجتماعية ومصالحه الطبقية مع الحياة الاجتماعية والمصالح الطبقية للبروليتاريا .

٦١ — في الواقع ، هذه النتائج والتحليلات والمؤشرات لم تكن صحيحة تماما وذلك لانها كانت مصحوبة بوجهات نظر مثالية، ولذلك لم تكن تعكس حلولا عملية مقبولة على الاطلاق وسنقدم توضيحات اكثر حول هذا الموضوع في الصفحات القادمة .

٦٢ — ان دهشتنا بهذا الحادث ، بغض النظر عن اهمية القضية نفسها ، تعود على الاكثر الى قلة تجربتنا التنظيمية — السياسية وعدم مرورنا ، بعد ، بالمصاعب والاهوال التي تساعدنا على القضاء على النظرة المطلقة والمثالية نحو النضال ونحو الانسان ... وعدم اتخاذنا بعد ، موقفا علميا يفسر ميول وآراء الانسان بصفتها ظاهرة طبقية .

ومن هنا يمكن التوصل الى علاقة مهمة بين النظرية المرشدة والتجربة العملية ، فنحن ، من حيث لم نكن مسلحين بنظرية (حقيقية) علمية للمعرفة ، اي النظرية المادية الديالكتيكية ، لم يكن بوسعنا ان نستفيد من التجارب الموجودة ، او حتى فيما بعد ، عندما تجمعت لدينا تجارب عملية وموضوعية كثيرة (ومن هنا تجيء اهمية النظرية المرشدة في الفهم الاسرع والاستنتاج الاوسع لتجارب الحركة العملية والموضوعية) . ولهذا ، مع ان التجارب النضالية اليومية والعمل التنظيمي الداخلي المكثف (الذي كان في تصاعد مستمر) يضعان امامنا اشكالا جديدة ومختلفة عما كان يستنتج ويفهم من محتوى الايديولوجية الاسلامية السائدة في المنظمة ، كانت مثل هذه الاحكام المثالية حول هذه المقولات (المقصود هنا هو الفهم المثالي لاراء الانسان ، مثلا) التي كانت تمتلك ، على اي حال ، جذورا راسخا ، في افكارنا ومعتقداتنا الاساسية ، تجبرنا الى زمن بعيد (حتى سنوات ما بعد الـ ١٩٧١) ان نحور الاساليب الحازمة التي كان العمل الثوري يتطلبها

لصالح اسرار الاساليب المتسمة بالهادئة والتسامح والازدواجية ، ومن هنا كان المخزون الهائل من التجارب المتكدسة لدينا ما كانت تبقى لمدة طويلة ، مفتقرة الى سند نظري — ذلك لاننا لم نكن نقدر ان نحتفظ الافكار المبدئية المثالية ان نجعل من هذه التجارب احكاما دائمية — او ان قسما من اعتقاداتنا المثالية كانت تمثل عمليا على الصعيد التنظيمي فيما لو استغلت هذه التجارب و .. اذا لم يكن قليلا عدد هؤلاء الرفاق التنظيميين والمسؤولين الذين يشعرون بالعجز والضعف في انقاذ موقف محدد نحو نقطة ضعف وجدت في احد الرفاق . وكان هذا العجز ينبع ، على وجه الدقة ، من العجز النظري ، وبالتالي ، الايديولوجي الذي عانى منهما هؤلاء الرفاق في تقييم الاتجاهات الاساسية التي جرت الفرد الفلاني الى المواقف الفكرية والعملية التنظيمية الخاطئة داخل التنظيم . كنا في تثقيفنا النظري والتحليلات الايديولوجية تعتبره « الشعور بالمسؤولية » يشكل رئيسي، امرا متعلقا بذات الانسان وشيئا فطريا مرتبطا بالنفس البشرية (طبقا للنظريات الدينية) وكنا نعتبر الوعي هو العامل الاصلي الذي يثير هذا الشعور (الوعي بنفس المعنى الذي اشير اليه سابقا ، اي تعلم سلسلة من القضايا السياسية والتجارب الثورية ... وتوفير الظروف التي يستطيع الفرد فيها ان يطلع على العالم وتطوره ونمو القوى الثورية وانتصار الحق على الباطل ، ويتعرف عليها !) وهكذا ، فمن نفخ فيه الوعي ، بغض النظر عن جوهره الطبقي (او جوهر الفئة التي ينتمي اليها) والمواقف التي اتخذها حتى الان ازاء القضايا الاجتماعية .. شعر بالمسؤولية ازاء ضرورة تغيير العالم ! (هكذا كنا نقرأ في كتاب الايديولوجي الثاني حول النطور) ، وطبقا لهذا الرأي كان يحدث كثيرا ان يوضع فرد عاجز عن تحمل أوضاع العمل التنظيمي الشاق ، بحيث ابدى مرات ضعفا وتقاعسا ووصل الى وضع انفعالي مثلا ، تحت اشراف تثقيفي من جانب رفاق كانوا اكثر علما في المجال الايديولوجي ! (اي اناس يقدرون افضل من غيرهم ان يفسروا ويشرحوا المبادئ الايديولوجية التي كانت تتلخص ، بشكل رئيسي ، في عملية تفسير القرآن ونهج البلاغة) حتى يحلوا مشاكله ويرتقوا بواقعه بحقنه بروح الايمان وشحذ الوعي ! ومن الواضح ، ان مثل هذه الاساليب السطحية لم تكن قادرة على ان تعطي اية نتائج ايجابية ، بحيث انه بعد فضاء وقت طويل وبذل الكثير من العمل وطاقة فان ما كان يجب ان يحدث ، كان يحدث فعلا ، اي انه بدون ان يوجه النضال ضد المصالح الفردية والاتجاهات الطبقية لهذا الفرد بشكل اصولي وجذري، كان صاحبنا هذا ينسحب بشكل تلقائي من مجال العمل الثوري .

٦٣ ــ سنقدم في هذا القسم توضيحات اكثر حول هذه الخطوة الى الوراء والاجراءات التي اتخذت .

٦٤ ــ مراجعة الملحق رقم ــ٤ــ حول الاخلاق من المنظور الديني والمادي .

٦٥ ــ كانت هذه الانتقادات (انتقادات السائدة للمادية) تستند على وجهه العموم الى سندين : الاول الحركة المعنوية والاساسية للمادة في التفسير المادي للعالم التي كانت تتعارض مع مفاهيمنا الدينية المبنية على ان العالم قد خلق لغاية محددة مسبقا ، اي مسألة هدفية الخليقة والعالم .. الخ والثاني مسؤولية الانسان ، التي كانت الماركسية عاجزة ، على حد زعمنا ، في تفسيرها . وفي الواقع فان هذين الاتهامين اللذين قد يرتبطان ببعضهما بوشائج وثيقة ايضا، قد يشكلان مصدر جميع الاتهامات التي يوجهها المتجددون الدينيون وجميع المثاليين الاصيلين (لا الازدواجيون والمغالطون وعشاق السلطة المحسوبون على المثالية) نحو الفلسفة الماركسية . ومن الممكن تأويل جميع التهم التي توجه الى الماركسية والى الفلسفة المادية الديالكتيكية الى نفس هاتين المسألتين (احداهما علمية ، اي هدفية العالم والثانية اجتماعية اي مسؤولية الانسان ، اللتين ترتبطان ببعضهما في نفس الوقت) .سنوضح هذه المسألة في الملحق الثالث في هذا البيان .

٦٦ ــ هذا الارتباط كان يشمل، بطبيعة الحال ، منافع شخصية ايضا (ولكن ليس من منطلق المصالح المادية الملموسة لهؤلاء الافراد) تلك المنافع التي كان يمكن النضال ضدها والسيطرة عليها فقط بشرط توفر الاخلاص الثوري ووجود الاستعداد لفهم المصالح الاساسية للجماهير والطبقات الكادحة في كل لحظة من لحظات العمل الثوري .. ولنفس هذا السبب ،ايضا ، نقول « اننا كنا قادرين بالضرورة (وليس بالفعل) على تغيير مواقفنا الخاطئة السابقة » حيث ان الشرط اللازم لمثل هذا التغيير يكمن ، في كل الاحوال ،في اتخاذ موقف مخلص خلال العملية النضالية ، وكما هو الحال لدى العديدين المجموعات والافراد التي لا تتحول هذه الامكانية لديهم الى عمل فعلي ، يجب البحث عن النقاط الانحرافية في ميولهم الايديولوجية ، اولا ، (حب الزعامة ،الروح الفردية ، المغامرة .. الخ) وفي سلوكهم وسياستهم العملية نحو المصالح الاساسية للشعب ، ثانيا .

٦٧ ــ هذه القصص ، هي سرود اسطورية لحوادث طبيعية هائلة (الطوفانات ، الرعود والبروق ...)واجتماعية (الثورات والتمردات ...) حدثت على مدى حياة الانسان (خصوصا في عصور ما قبل التاريخ) ، خرجت غالبا بهذا الشكل الاسطوري الديني ونقشت على لسان الاجيال المتعاقبة في الشعب الاديان ، بسبب فقدان التشخيص الصحيح للاسباب والعوامل الطبيعية والاجتماعية .

٦٨ ــ ما يجدر ذكره هنا هو وجوب الجمع بين جميع هذه الاراء من خلال رؤية فردية مطلقة للدين ايضا . الاديان،ومنها الدين الاسلامي ، تعتبر الفرد نواة المجتمع واساسه ، كما ان اراء ونظرات الاديان بخصوص القضايا الاجتماعية والتاريخية والسلوكية ... الخ تنبع من نفس هذا المنطق الفردي الضيق نحو المجتمع البشري . ومن هنا ، فان النتائج السلبية المشار اليها يجب ان ينظر اليها في اطار الفردية الدائبة للدين اولا ،ولنفس السبب يجب دراسة وتقييم آثارها ونتائجها بشكل مضاعف ثانيا .

٦٩ ــ يلاحظ ان هذه الايديولوجية، اي التفكير الديني ، لم تكن مؤطة لتقديم اسلوب التشخيص يتناسب مع تضايا ومتطلبات العصر ، ومن هنا فان ادخال اسلوب التشخيص في الفلسفة الدينية يأخذ لنفسه معنى اوضح عند النظر في مدى استجابتها للضرورات السياسية والتنظيمية للعصر .

الملاحق

ملحق رقم (١)

مقدمة حول « بيان لجنة التنسيق الثورية للمنظمات الثورية في امريكا اللاتينية » (*)

بيان مشترك صدر منذ فترة عن اربع منظمات ثورية رئيسية في امريكا اللاتينية هي حركة التحرير الوطنية للاوروغواي وحركة الثوار اليساريين في تشيلي وجيش التحرير الوطني البوليفي والجيش الشعبي الثوري في الارجنتين ونظرا لاهميته الخاصة نشرنا النص الكامل للبيان في هذا العدد من « النشرة الداخلية » .

ان البيان يعلن عن تشكيل لجنة تنسيق ثورية تقوم على محور مشترك للكفاح المسلح في هذه البلدان . البيان ينص على ان التقاء كافة القوى الشعبية وصفوف فرعية للنضال حول محور الكفاح المسلح وبقيادة البروليتارية هو الشكل المشترك الاكثر شمولا للاستراتيجية الثورية المناهضة للامبريالية الامريكية في هذه البلدان ويعتبران هناك اوجها مشتركة بالنسبة لوجود الاتجاهين المنحرفين ، قومية البرجوازية والفكر الاصلاحي في تلك البلدان ويطالب بالقيام بنضال سياسي — ايديولوجي واسع وشامل ضدهما . تلك هي نقاط اساسية وردت في البيان .

وفي ظل الظروف الخاصة ببلدنا اذا ما اخذت تلك النقاط بعين الاعتبار على انها تجارب عامة من قضايا الحركة الثورية العالمية تبرز امور عديدة يمكن تلخيصها على النحو التالي :

١ — بالرغم من ان البيان ينظر بشكل خاص الى الظروف الخاصة في بلدان امريكا اللاتينية وبالرغم من اختلاف ظروفنا التاريخية والسياسية ونوعا ما الاقتصادية عن تلك الظروف في امريكا اللاتينية بشكل خاص ، الا ان اعتماد هذه المنظمات على « الكفاح المسلح » كـ « عامل اساسي في استقطاب وشحذ قوى الجماهير » يعطي بعدا آخر لاحقية الخط الكفاحي المسلح في بلدنا عبر التجارب العامة لكافة اخوتنا المناضلين في بقية البلدان الاخرى المسيطر عليها ،

(*) ان هذه المقدمة وردت في النشرةالداخلية للمنظمة (العدد الصادر في اواخر تشرين الثاني عام ١٩٧٤) مع نص « بيانلجنة التنسيق الثورية » وحاليا تطبع مرة اخرى كملحق لـ « بيان حول المواقفالايديولوجية للمنظمة » ، بدون اي تغيير.

علما بأن هناك نقاط مشتركة وعامة كثيرة تتقاسم بها ايران وبلـــدان امريكا اللاتينية من حيث بعض الظروف الاقتصادية المهمة (نمو وتسلط برجوازية الكومبرادورية في هذه الدول) وبعض الظروف السياسية (الهيمنة السياسية والاقتصادية التامة للامبريالية الامريكية) .

وطبيعي ان استراتيجية الكفاح المسلح عندنا وفي امريكا اللاتينية قد برزت نتيجة لضرورات عديدة ومختلفة السياسية منها والاجتماعية والاقتصادية . واذ اجمعنا على هذا الراي باننا جميعا نحن الشعـــوب المضطهدة نواجه عدوا مشتركا هو الامبريالية العالمية وعلى راسهـــا الامبريالية الامريكية واذ اجمعنا ايضا نحن ورفاقنا الثوار في امريكـــا اللاتينية بأن الامبريالية تمتلك استراتيجية عالمية واحدة لمواجهة ثورة الشعوب المضطهدة في امريكا وافريقيا وآسيا ، وبطشها الدمـــوي ، نستسلم بهذا الراي وهو ان امام الستراتيجية العالمية للامبرياليـــة سيكون استراتيجية عالمية للشعوب المضطهدة ، **بشكل عام** وذلك هو الخيط الذي يربطنا اليوم رغم الفواصل التاريخية والجغرافية باخوتنـــا الثوار عبر البحار .

٢ — ان الاعلان عن التضامن بين اربع منظمات ثورية في اربـــع من دول امريكا اللاتينية يحمل معه درسا كبيرا بالنسبـــة لثوارنـــا والمنظمات التي تناضل داخل ايران . وبالتالي اذا استطاعت تلـــك المنظمات ان تجد اسسا ملائما لوحدتها رغم الظروف الاجتماعيـــة المختلفة الموجودة بصورة او اخرى في بلدانها ، يبرز هنا الســـؤال التالي : اي عائق يحول دون وحدة مناضلينا المشتتة ووحدة المنظمات الثورية داخل ايران بالذات ، في الوقت نتحرك جميعا على ارضيـــة واحدة من ظروف موضوعية وذاتية للمجتمع واشتراكنا في وجهـــات النظر اكثر بكثير مما لدى تلك المنظمات !

اي عامل يستطيع ان يحملنا على الاستمرار بهذا التمزق او عدم السعي لانجاز وحدة القوى الوطنية الفورية ! في وقت يسعى العـــدو جادا في ترسيخ وحشد قواه الاجتماعيـــة والسياســـية والعسكريـــة والثقافية (معتمدا على تمركز اقتصادي راسخ) وفي وقت يمارس هذا التمركز ضغوطه الخبيثة المتزايدة ضد القوى الثورية المزقة .

منذ مدة ونحن نشعر بكل جوارحنا بعظم مثل هذه المسؤولية امام مستقبل الحركة الثورية في ايران وامام شعبنا . نحن نعرف جيدا بأننا

سوف ندفع عاجلا ثمن هذا الاهمال بحق ضرورات تطور الحركـــة وتحاسب من قبل اجيال الثورة في المستقبل التي تولد بشكل غير طبيعي في زمن الثورة وتصفنا باصحاب النظرات الضيقة وسندان امام التاريخ والجماهير لتساهلنا وعدم شعورنا بالمسؤولية ازاء مستقبل الحركة .

ايها الرفاق ! نطرح هنا هذه التساؤلات ونطلب اليكم ارســـال آراءكم ومقترحاتكم حول وحدة المنظمات الثورية في ايران ، عوائقها ومشاكلها السياسية — الايديولوجية والطرق والاساليب التي تقترحون في هذا المجال وارسالها تحريريا الى الرفاق المسؤولين بعد مناقشتهـــا خلال لقاءاتكم ومحاضراتكم التثقيفية .

٣ — ان الاشارة الـــى قومية البرجوازية والفكـــر الاصلاحـــي كاتجاهين منحرفين في تلكم البلدان في وقت تعبر عن اختلاف طبيعـــة الاتجاهات المنحرفة عندنا وعند تلك البلدان ، تعكس في نفس الوقت ايضا اختلاف الانظمة الاجتماعية والعلاقات السياسية الموجودة فـــي مجتمعنا ومجتمعات دول امريكا اللاتينية .

ان الاتجاهات الاصلاحية او القومية في وطننا ضعيفة وتفقـــد انفاسها الاخيرة شأنها شأن البرجوازية الوطنية او الشيء الذي اتعدم تقريبا كـــ « العسكريين الوطنيين » ! وفي الحقيقة ان الاتجاهـــات المذكورة قد ووريت التراب قبل اكثر من عشر سنوات وذلك عندمـــا وصلت الى الحكم حديثا البرجوازية المرتبطة ومارست كل ما تمتلـــك من وحشية ضد الناس الابرياء والقت بجثث اكثر من عشرة الاف قتيل في المقبرة الواقعة في احدى ضواحي طهران !

ولم تستطع البرجوازية الايرانية في بداية حكمها من تغطية لعوالينها بشكل من الاشكال وان تفرض نفسها على وطننا في ظل ظروف شبـــه ديمقراطية (كما فعلت في كثير من دول امريكـــا اللاتينية) ويمكـــن ان تكون هذه من اهم نقاط الاختلاف بيننا وبيـــن دول امريكـــا اللاتينية . ولضمان الاستقرار السياســـي — الاقتصادي ، بذلت الامبريالية جهودا مكثفة لنجيء العلاقات الراسمالية الجديدة في بداية عام ١٩٦١ منسجمة مع نوع من الحريات « اللبرالية » والديمقراطيات الغربية مستخدمـــة في جهودها هذه قناع الديمقراطية والنضال ضد الدكتاتورية الاقطاع . الا ان تطور القوى الوطنية وخاصة التقاليد النضالية القوية للبرجوازية الصغيرة الايرانية — التي اضافت فورا موقفها الصلب المناهـــض

للامبريالية الى الموقف التقليدي المناهض للدكتاتورية "الاستعمارية الاقطاعية ـ اضطر الامبريالية الى التراجع عن سياستها هذه . وهكذا تتضح جليا الوقائع المعقدة كما يبدو والمرموزة في السنينات ، حيث أعلن عن حرية الاحزاب بصورة مفاجئة بعد انقضاء حوالي ثمانية اعوام من الحكم الدكتاتوري عقب انقلاب عام ١٩٥٣ وطرح شعار حرية الانتخابات والمطبوعات و ... لكن اجهزة الطبقة الحاكمة قامت بعد اقل من عامين بحملة اعتقالات واسعة في صفوف العناصر الوطنية وتم تحريم الاحزاب وفي الاخير تراجعت عن موقفها نهائيا وذلك بعد سلسلة من عمليات القتل الوحشية في ١٥ خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣) ـ (وطبيعي ان الاحزاب الوطنية كانت ممثلة بالبرجوازية الوطنية والفئات العليا للبرجوازية الصغيرة) .

ومع بروز الحكم البرجوازي المرتبط بالامبريالية ومحاولة البرجوازية اعطاء حكمها طابعا ليراليا واحلاله محل دكتاتورية الاقطاع التقليدي في ايران ، جاءت مساعي الامبريالية لخلق ظروف شبه ديمقراطية وذلك لتمزيق وحدة الجبهة الوطنية اولا ولتساوم مع الفئات اليمينية في الجبهة المؤلفة من الطبقات الوطنية المتوسطة والعليا وبالتالي عزل وقمع الفئات اليسارية سياسيا ، ثانيا ، الامتناع عن الممارسات الدكتاتورية من قبل الحكومة وذلك لتأخير تصاعد تناقضاتها الداخلية ثم فرض الفكر الاصلاحي على جماهير الشعب وبقية القوى المعارضة واعتباره الاسلوب الرئيسي لحل التناقضات الاجتماعية وفرض الفكر القومي كأعلى درجات التفكير (١) .

ان هذا المخطط وضع على اساس تقييم ميول وتطلعات البرجوازية الوطنية والاحزاب المرتبطة بها وفئاتها المختلفة خلال تجربة الخمسينيات . وطبيعي ان الديمقراطية التي تنادي بها البرجوازية الوطنية وفئاتها والاحزاب المرتبطة بها لم تكن اتجاها بسيطا (ولم نكن لنقدر ان تكون كذلك) . ان هذا الاتجاه كان يحدد بشكل رئيسي مضمون ذلك النظام السياسي الذي يضمن للبرجوازية الوطنية حياتها الاقتصادية الى جانب منافسة وقدرة البرجوازية والامبريالية العالمية . وفي الحقيقة ان هذه البرجوازية كانت مستعدة حتى ان تخطو خطوة الى الوراء (بالنسبة لعصر مصدق) وان تتساوم مع البرجوازية الكبيرة المرتبطة بالامبريالية على محور واحد يرضي الطرفين وبشكل يمكن بالتالي ان تتعايش معها عبر مساومة منصفة وضمن نظام اقتصادي

حر نسبيا ودون ان تصبح سيطرة البرجوازية الكبيرة المرتبطة سيطرة احتكارية تكون بصدد القضاء عليها . (وتلك النسبة حددها توازن قوى الطرفين : اي البرجوازية الوطنية ذات الميول الليبرالية والبرجوازية المرتبطة ذات الاتجاهات الاحتكارية) .

ان ذلك الاتجاه لم يكن عاجزا عن تحقيق تطلعات ومصالح فئات المجتمع السفلى حسب بل لم يكن حتى ليرضي الفئات المتوسطة والبرجوازية الصغيرة التقليدية في ايران ذات القوة الطبقية الكبيرة والجذور التقليدية العميقة في عملية الانتاج . وهكذا فان فشل ذلك المخطط لم يكن محصلة لمعارضة البرجوازية الوطنية وانما نتيجة للمقاومة الكبيرة والعنيفة التي ابدتها البرجوازية الصغيرة التقليدية في ايران وكافة القوى الشعبية الكادحة . ذلك ان البرجوازية الصغيرة كانت تدرك جيدا وغريزيا الخطر القاتل للسيطرة الامبريالية بشكلها الحديث اي سيادة العلاقات الرأسمالية (٢) فقامت وخلافا للبرجوازية الوطنية ذات المواقف المساومة قامت من خلال طرحها للشعارات المناوئة للامبريالية والملكية بحطع كل ما حاكته الامبريالية دفعة واحدة .

وخلال فترة قصيرة استطاعت هذه الشعارات تحريك الجماهير الشعبية بكافة طبقاتها من حرفيين وعمال طليعيين وطلبة وكافة العناصر الواعية والكادحة في المدن والقرى المحيطة حيث ارتعدت الامبريالية وكذلك نظام الشاهنشاهي العميل واضطرت الامبريالية اثر ذلك وفي اولى ايام ذلك « التغيير والتحول » اضطرت الى تمزيق ديمقراطيتها المعطاة والكشف عن هويتها الدكتاتورية بوحشية تامة .

ان الامبريالية يئست من تنفيذ مؤامرة ديمقراطيتها المزيفة لاستغلال جماهير الشعب بشكل هادىء . ونتيجة للظروف الثورية في ايران ادركت بأنها لم تستطيع فرض سيطرتها الاستغلالية الا من خلال الممارسات الدكتاتورية المتشددة . انها تفضل كما يبدو عواقب هذه الدكتاتورية بالنسبة لها خوفا من غضبة وانتفاضة القوى الشعبية واستمرار تصاعد المعارضة العنيفة . الا ان الامبريالية التي اضطرت ممارسة اعنف الاساليب وممارسة العنف اللا ثوري من اجل فرض سيادتها على ايران لم تكن لتضطر على تنفيذه بشكله التقليدي اي سيادة البلاط والشاه ! ان جعل الشاه كعمود فقري لدكتاتورية الطبقة الحاكمة وان اراحها من زحمة اجراء انتخاب اكثر تعقيدا في تلك الفترة

الا ان هذه الدكتاتورية هي اكثر تعرضـــا (في اطار طويلة الامـــد) للضربات واقل ثباتا من نظام حكم جماعي .

ان الامبريالية بجعلها الشاه ــ هـــذه الالة التقليدية لدكتاتوريـــة الطبقات الرجعية طوال التاريخ ــ قيمركز القوة والسلطة وتسليمهعصا القمع مجددا خلال العلاقات الراسمالية الجديدة ارتكبت خطا آخر بعد خطاها التاريخي الذي ارتكبته عند تقييمها لقوانا الشعبيـــة خـــلال الستينات.ان قلق الكثير من الراسماليين الغربيين الان وبعد مرور عشر سنوات فقط كون ان النظام الاستغلالي والحكومي الايراني قد وضع مثل هذا الاساس الهزيل والمترنح كـ« الشاه » او « الملكية » هو امر له مدلولاته الخاصة (٣) .

وهكذا مارست البرجوازية دكتاتوريتها من خـــلال ضرب وتصفية القوى الوطنية المناهضـة واللبراليين والقوميين « العقائديين » وحتى « غير العقائديين » وذبح عدة الاف من الكادحين في ٥ حزيران ٦٣ ومن هنا جاء الاثبات على « عجز وضعف » كافة الاتجاهات الاصلاحيـــة والتفكير القومي ! حيث احتلت الايدلوجيات « الوطنية » مكانها فـــي اضابير التاريخ منذ ذلك الوقت !

اما الذي بقي في جبهة الشعب او ساعدت الظروف الجديدة علـــى تبلوره السريع هو التفكير النضالي الديني ممثلا مصالح وتطلعـــات البرجوازية الصغيرة التقليدية اي المصالح السياسية ــ الايديولوجية وايضا الفكر الجديد والمتطور ممثلا مصالح وتطلعات البروليتاريا اعظم قوة متنامية ومتعاظمة .

ورغم ان البروليتاريا كانت تتمتع بنفـــوذ ذهني واسع علـــى مدى ٦٠ــ٧٠ عاما من تاريخنا النضالي ، الا ان هذا الاساس الذهنـــي انسجامهمع تشكل الطبقة العاملة كان قد احرز موضوعيته التاريخية(٤) بشكل امكنه من تخطي مراحل كاملة وقابلة للاحصاء تمشيا مع تطـــور وتشكل البروليتارية خلال الـــ ١٠ــ١٥ عاما الاخيرة حيث لا مجال هنا للبحث فيهـــا .

المحصلة : بعد سيادة الدكتاتورية على امتداد ساحتنا النضاليـــة امكن تشخيص فكرين تقدميـــين وثوريين احدهما يتجه نحـــو السقوط والاضمحلال حيث ينظر الى الماضي لذلك هناك شرط لتاكيد ثوريته ، اما

الفكر الاخر هو الذي ينظر الى المستقبل وفي حالة نمو وتطور لذلك فهو ثوري تماما .

عندما تقوم البرجوازية الكبيرة بوضع البرجوازية الصغيرة امـــام المصير الحتمي « الموت »، تبـــدي الاخيرة مقاومة عنيفـــة لذلك فان « الكفاح المسلح »**كاسلوب دفاعي** وحيد تضعه امامها طبيعتها الطبقية **تلقائيا** وتقتضيه الضرورات المصلحية وليس كنهج توصلت اليه بعـــد تحليل علمي للظروف وتحليل قواها الذاتية وقوة العدو ... وعنـــد اقتران هذا المفهوم بالتقاليد الدينية الثورية في ايران متمثلة بالانتفاضات المسلحة العنيفة فسياخذ شكلا متبلورا وطابعا عاطفيا متزايدا .

ان هذا المفهوم يختلف تماما عند البروليتارية . ان هذه الطبقـــة تعتبر « الكفاح المسلح » ضرورة تاريخية تؤيدها التحليلات العلميـــة للتاريخ ولقوانين المجتمع الراسمالـــي و ... لحسم صراعـــها مـــع اعدائها والاسلوب الوحيد لتصفية تناقضاتها مع الراسمالية . لذلك فان نضالات البروليتارية لم تغفل اشكال واساليبالنضال المتعددة انسجاما مع الظروف الحاضرة وبنية القوى الاجتماعية و... وهي بذلك قادرة على ضم كافة القوى المعارضة والقوى الشعبية الى جانبها وتحـــت قيادتها والقضاء على العدو في نضال شامل وطويل الامد عن طريـــق العنف الثوري .

اذا ان كان امام البرجوازية الصغيرة في ظل سيطرة الراسمال طريق واحد فقط تمارسه وهو طريق الكفاح المسلح يتبلور امامهاغريزيا وتتعامل معه بشكل عاطفي ، فان ممارسة هذا الاسلوب او ذلك فـــي هذه الظروف او تلك هي بالضبط مسالة علمية بالنسبة لاستراتيجية البروليتاريا المرحلية (وليس بالنسبة للاستراتيجية العامة حيث تضطر بالتالي لممارسة العنف الثوري) ترجـــع الى التحليل المحـــدد للظروف المحددة .

ومن هنا تتجلى اسباب كل تلك الخلافات والنظريـــات المناهضة للكفاح المسلح متخذة مواقف ضد هذا الخط مستترة بغطاء التفكيـــر الماركسي ! وليس الديني . تحت غطاء النظرات والنظريات الداعية الى التعامل العلمي والمادي مع التاريخ والمجتمع . وبذلك ونظرا للامـــور التابعة لميزات مجتمعنا السياسية والاقتصادية (نمو البرجوازيـــة الكومبرادورية المتعاظم واختلال بنية الطبقات الاجتماعية .. اضمحلال

البرجوازية الوطنية والقوى المرتبطة بها بشكـل عام تحت سيطـرة البرجوازية الكبيرة والارهاب والدكتاتورية البوليسية ـ الفاشية والتي بدورها تساعد على تهيئة المناخ لقيام وحـــدة القوى الشعبية ضـد الامبريالية و ...) فنحن لا نواجه ما يحدث في امريكا اللاتينية مـــن انحرافات اساسية على نحو قومية برجوازية او فكـر اصلاحي . ان اية قوة في ايران لا تستطيع ان تكون داعية لمثل هـــذه الاساليب او وجهات النظر . ان « الكفاح الشعبي العنيف » كشـكل عام لايـــة استراتيجية مقترحة ، يقبل به اليوم حتى الانتهازيين القدامى المعروفين. اما الذي يشخص نقاط الخلاف هنا في ايران هو كيفية فهم هذا الكفاح وكيفية القيام به وممارسته .

ان تلك الفكرة التي تصنع من شعار « الكفاح الشعبـي العنيـف الطويل الامد » درعا تستر به عدم فاعليتها ومساوماتها عبر القـــاط وشعارات براقة، ان تلك الفكرة تشكل خطر بالنسبة لحركتنا الثورية اكثر مما تشكله قومية البرجوازية والفكر الاصلاحي من اخطار في امريكـا اللاتينية . ان هذه الفكرة هي التي تصفها اليوم بـــ « الانتهازيـــة التحريفية » .

ان « خط تأسيس الحزب البروليتاري » او « استغـلال الفرص الديمقراطية لتنظيم البروليتاريا بشكل هادىء » او « العمل الهادىء وسط الجماهير » او ... هذه الاساليب الخاطئة التـــي تدعي بانها الطريق الوحيد لتحرير الشعب ، هذه الاساليب لم تكن داعية الـــى النظريات الاصلاحية او القومية ولم تتنازل اية منها من دعوى قيادتها للبروليتارية ، الا ان هذه الاساليب ، لن تســـيء بالحركة الثوريـــة الايرانية اقل من اساءات القوميين والاصلاحيين .

وطبيعي ان الخلاف السياسي الموجود داخل الحركة وبصورة اكثر تعبيرا هذا الخلاف الايديولوجي له اسسه الاجتماعية الطبقية داخـل المجتمع . ذلك ان مثل هذه الاتجاهات والانحرافات هي انعكاس مباشر لمسيرة الاحداث التي تدفع المثقفين والصناعيين وحتى فئات عليا مـن العمال الفنيين باتجاه البرجوازية . ان الانشقاق داخل ايديولوجيـة البروليتارية لم يكن الا انشقاقا في قاعدتها الاجتماعية تعني عودة بعض العناصر الى جانب البرجوازية (٥) .

ان هذه المجاميع وحسب ما يسمونه بالمادية تتخذ مواقف ضد الخط الكفاحي المسلح واكراما لمواقفهم هذه (وخدماتهـم الاخرى) يكافئهـم

النظام برواتب ضخمة ويجهزهم بحراب ثقافية ملائمة ليقوموا وفق هذا المنظور بالدعاية للمادية واقناع الاخرين بقبول اتجاهاتهـم الثقافيـة اضافة الى نضالهم المبدئي المزعوم ضد الخط الكفاحي المسلح . هذا الخط الذي يزعمون بانه حصيلة « مثالية » مؤيديه !!

ان هذه الدراسة التي اخذت طابعا تفصيليا نقريبا لم تحدد وجهات الخلاف بين الاوضاع والتناقضات الذاتية للحركة الثورية الايرانيةودول امريكا اللاتينية وحسب وانما الاهم من ذلك اشرنا الى نقاط الخلاف الاساسية التي تفصل الظروف الاجتماعية في هذان النوعان من الدول.

ان هذا الموضوع يبرز لنا محصلة اخرى جديرة بالاهتمام وهـــي ان الكفاح المسلح رغم كونه يقع ضمن المنهج اليومـــي لثوارنا وثوار امريكا اللاتينية كطريق وحيد لتحرير الشعب ورغم صوره المشتركة الا انه ينبع من ضرورات مختلفة كليا حيث ان دراسة هـــذه الضرورات للحصول على التجارب الثورية في بقية الدول يمكن ان تكون جديـــرة باهتمام المناضلين والمنظمات الثورية داخل وطننا .

الهوامش

١ ــ ان هذا الهدف ينطبق مع تطبيل انجلس حول الديمقراطية البرجوازية حيث يقول : « في الجمهورية الديمقراطية ، تستغل الثروة قدرتها بشكل غير مباشر ولكنه اكيد » . لكن هناك فرق وهو ان الامبريالية لم تحاول ولم يكن بوسعها ان تؤسس « جمهورية ديمقراطية » في ايران ـ ونعني بالطبع هدف الامبريالية مع تطبيل انجلس ، في الجزء المتعلق بقدرة البرجوازية ـ هنا الامبريالية ــ حيث تكون سيطرتها في الظروف الليبرالية افضل من الظروف الدكتاتورية . هذا هو جانب من المعادلة . اما الجانب الثاني هو الشعوب ونضالاتها المتصاعدة التي تهدد بمشاريع ومخططات الامبريالية !

٢ ــ الجدير بالاهتمام هنا هو تيار الاحزاب ومن ضمنها الجبهة الوطنية وحتى حركة التحرير بحبس نفسها في اطار الدستور والنضال البرلماني حيث لم تبدي تلك الاحزاب اي استعداد لاتخاذ خطوة للخروج من ذلك الاطار في ظروف حساسة اوجدتها البرجوازية الصغيرة عبر طرحها لشعاراتها التقدمية .

٣ ــ نشير الى بعض الخلافات التي تنشب مع الشاه واعوانه داخل المطبوعات الغربية والتي يراود بعض الرأسماليين والاوساط المرتبطة بهم حيث كانت قد اشارت النيوزويك الامريكية : « يحتمل ان يتغير .. اتجاه ايران برمته واحدة » وفي الحقيقة ان الامبرياليين يرادهم دائما (وخاصة في الفترة الاخيرة) هذا الشعور حول احتمال ان يصبح الشاه كسيف ذو حدين نتيجة سيطرته على مركز القوة مما سيحول دون تمكنهم من مجابهته اذا ما انتفضت جماهير ذلك . ان تصور تحول الشاه الى « ديدب ، يحرك الدب نفسه » يكمن في هذه العبارة الواردة في النيوزويك والتي تتضمن دلالات ومعاني كبيرة : « الشاه الذي كان يوما مادة للسخرية ، تحول اليوم الى رجل مخيف » .

٤ ــ مراجعة مثال « التعليم » للحصول على توضيحات اكثر .

٥ ــ نظرتنا بمفصلا الى هذا الموضوع في المقدمة التي نشرتها منظمتنا ضمن ملحق هذا العدد حول « الثورة البروليتارية والتحريفية الخروشيفية » .

٦ ــ ان نشر الكتب الجديدة الفلسفية والتاريخية والنظور ... التي تقوم على اساس المبادىء المادية وجمع الكتب الاخرى ذات المضامين النضالية والنظريات الثورية والكتب الدينية التي تشير الى روح المذهب الشيعي المناهض للظلم ... يأتي ضمن اجراءات النظام هذه . وطبيعي ان نشر مثل تلك الكتب لم يكن له اي ضرر بالنسبة لنا حيث نعتقد نحن ايضا بمثل ذلك النشاط الثقافي كجزء من مهامنا الثورية (وليس كله كما الذي ترضى الانتهازيين) . وهناك نقطة اخرى جديرة بالاهتمام وهي ان هذه الاجراء من قبل النظام يذكرنا باجراء مشابه اتخذ من قبل اسلافه الاسبقون اي القيصرة حيث حاولوا مجابهة الناروديكيين عن طريق نشرهم للمعتقدات الماركسية وقد عرفت تلك الفترة بـ « عصر الماركسية المثلى » وطبيعي ان هذا التشبيه سيفرح الانتهازيين حيث وضعنا انفسنا محل الناروديكيين ووصفناهم محل الماركسيين ! وان امكن الحقيقة ان تختفي بواسطة هذا التشبيه فقط ، فليفرحون .

ملحق رقم ٣

مقدمة حول مقال « الثورة البروليتارية والتحريفية الخروشيفية » الطبعة الثانية (*)

مقدمـــــة :

ان نشر مقالة « الثورة البروليتارية والتحريفية الخروتشيفية » مرة اخرى في النشرة الداخلية للمنظمة وخاصة في اطار العملية الجديدة في تجديد تربية الكوادر والتثقيف الايديولوجي داخل المنظمة له مدلولاتـــه الخاصة . اي ضرورة وعي الرفاق ومعرفتهم للطبيعـــــة الاساسية للتحريفية المعاصرة كظاهرة انحرافية على صعيد الحركة الشيوعيـــة العالمية ، خاصة وان لهذا الانحراف تواجدا داخل بلدنا في الوقـــت الحاضر وباشكال معينة . لذلك يجب دراسة الماضـــي التاريخي ، والمنشأ الاجتماعي لهذا الانحراف ومسيرة نموه وظهوره منذ تحريفية برنشتاين (١) واحزاب الاممية الثانية وعلى راسها تحريف كاوتسكي (٢) للماركسية ، مرورا ببرانودار (٣) وتيتو (٤) وصولا الى طبيعـــة تحريفية خروتشيف والسائرين على خطاه داخل القيادة الحالية فـــي الاتحاد السوفياتي .

ان نشر هذا المقال مرة اخرى (رغم كونه موجزا مختصرا) ، يتم لنفس الغـــرض ، اي لانه يبحـــث في موضـــوع التحريفيـــة المعاصرة (التحريفية الخروشيفية) وارتباطها الوثيق باتحدارها التاريخـــــي واســـها الاجتماعي . حيث يحلل المقال هذا الانحراف وفق منظـــور ماركسي حقيقي . ان الغرض من القيام بهذه الدراسات والابحـــاث هو ليست الضرورة الى رفع المستوى النظري واستيعاب المعلومـــات السياسية ـــ الايديولوجية العامة فحسب ، بل اننا اليوم نواجه **عمليا** تيارات تحريفية داخل حركتنا الثورية تتميز بدقة بطابعها الايديولوجي ، واتحدارها التاريخي وابعادها العالمية، علينا الوقوف امامها ومواجهتها **عمليا** ايضا . ان الذي كان قد شخصه لينين باسم « الانتهازية الاممية » كشكل عام ومشترك لاعظم الاتجاهات الانحرافية داخل الاحـــزاب الاشتراكية ـــ الديمقراطية في اروبا نواجهه اليوم بشكل آخر علـــى

(*) نشر مقال « الثورة البروليتاريـــــة والتحريفية الخروتشيفية » مع نفس هـــذه المقدمة كملحق « للنشرة الداخلية للمنظمة » عدد تشرين الثاني عام ١٩٧٤ م .

هيئة « التحريفية الاممية » في صفوف اغلب الشعوب التي تخـــوض نضالا ثوريا بشكل من الاشكال (ومنها شعبنا) بصورة خاصة طبعا .

خلال العقد الاول من القرن العشرين كتب لينين يقول : « تظهـر الانتهازية الاممية الحالية باشكال متعددة وحسب الخصائص القومية، لكن مضامينها الاجتماعية والسياسية واحدة في كل الحالات » . واليوم ايضا ونحن نعيش هذه الفترة الزمنية العظيمة من وعي الشعـــوب ونضال الطبقات المضطهدة الدامي ضد الامبريالية العالمية الغادرة ، خرجت الينا الانتهازية العالمية باعلى مراحلها في تحريف خطير للتاريخ ونضالات الشعوب وفي تحريف خطير للوقائع والقوانين الثابتة لحركة تطور المجتمعات ، خرجت الينا على هيئة التحريفية الاممية . ان لهذه التحريفية ورغم تعدد صورها في البلدان المختلفة ، مضمون سياســي واحد واساس اجتماعي مشترك ايضا . ان هذه التحريفية ليست الا عودة الى العلاقات البرجوازية والى الوفاق والتعاون مع الامبرياليـــة العالمية. ان هذه التحريفية هي انحراف نحو الفكر والمصالح الراسمالية وهي انعكاس لاتجاهات المثقفين والبروقراطيين والتكنوقراطيين الجدد الذين تربوا على ارزاق الراسمالية او يحظون بهذا الارتزاق . ان هذه الاتجاهات تجعل من الماركسية مجرد مراسيم خالية من المضاميـــن الثورية تكون في خدمة الاغراض المضللة للزعماء الخونة الذين يراسون الاحزاب والدول التقدمية المزعومة والتي هي على حقيقتها برجوازية ـــ ليبرالية او اشتراكية ـــ امبريالية او تكون في خدمة الامبرياليـــن انفسهم . وانطلاقا من هذا الواقع فان التحريفيين هم الد اعـــداء الجماهير حيث يتظاهرون بمظهر الاصدقاء . ويجب الاشارة هنا الـى مصير النظريات المستسلمة والتي حددت الطابع الرئيسي لدورة كاملة من تاريخ التحريفية حفلت بالتحريف الوقح للماركسية تحت عناويـــن مختلفة كـ « العبور السلمي » و « التعايش السلمي » و « الوفـــاق الدولي » . وقد توضح الان بشكل جلي مصير هذه النظريات من خلال العودة الى نوع من العلاقات الراسمالية داخل المجتمع السوفياتي ومن خلال اتخاذ نوع من السياسة الامبريالية في العلاقات مع بلدان العالم الثالث وبذل المساعي المشتركة مع الامبريالية لاجراء تقسيمات عالميـــة جديدة لمناطق النفوذ عن طريق التهادن والاستسلام .

وطبيعي ان كان للموقف النقدي والمكافح للحزب الشيوعي الصيني

خلال عشرة اعوام من النضال الايديولوجي الصلب كان له الاثر الكبير والفعال في فضح الصورة البشعة للتحريفية المعاصرة وعزلها عـــن الماركسية الحقيقية الثورية . لقـــد ادركت قيادة الحـــزب الشيوعي الصيني بحق خلال هذه الفترة بان النضالات وانجازات الملايـــين مـــن المعدمين التي احرزتها خلال عشرات السنين من النضال الدامي ضـــد الامبريالية تواجه اليوم القضاء عليها من جانب التحريفية الخروشيفية والتي انتهجها و (ينتهجها) بكل ما عندهم من قوة ورثة خروشيف . ان اي تجاهل لمثل هذا الخطر او الاستخفاف به كان سيمكن بشكل اكيـد من حرمان البروليتاريا (لفترة طويلة على الاقل) من اعظم اسلحتهـا السياسية ـــ التنظيمية ـــ الايديولوجية في صراعها مع الامبرياليـــة والراسمالية العالمية ويؤدي بالتالي الى احداث تذبذب فكري وسياسي بالنسبة للحركة الشيوعية العالمية ، ذلك ان رقعة التحريفية كانـــت ستتجاوز بسرعة الانحرافات الفكرية او العملية الصغيرة لتسلم الـــى العدو اعظم الاسلحة لتحريف النضالات الشعبية والقضاء عليها عـــن طريق المشاركة والتعاون المباشر في استغـــلال الشعوب التي ترزح تحت السيطرة الاجنبية وتسليم مصائر الطبقات الكادحة بايـــدي البرجوازية العالمية .

ان موقف التحدي الذي اظهرته الصين الشعبية ضد التحريفيـــة العالمية وعلى راسها اركان الحكومة السوفياتية التحريفيين ، هـــذا الموقف الذي اعتبر النضال ضد التحريفية العالمية الشكل الرئيســـي للتناقضات المرحلية ، هذا الموقف كان بمثابة الدفاع الضروري عـــن التطلعات والعقيدة الشيوعية ودفاعا عن مصالح الطبقات الكادحة وفي مقدمتها المصالح الايديولوجية البروليتارية على الصعيد العالمي . اذا فان الفرز الجديد الذي حصل خلال الستينيات بين الماركسية اللينينية من جهة والتحريفية والاشتراكية الامبريالية من جهة اخرى ، هذا الفرز قد قدم خدمة كبيرة بالنسبة لاستمرار تطور الثورة البروليتارية واحياء العناصر الثورية لايديولوجية البروليتارية وتصفية ساحة الماركسية ـــ اللينينية من شوائب التحريفية .

. . . . . .

ان لهذه التجارب والانجازات اهمية تسوى في مجال النضـــال الايديولوجي داخل الحركة الشيوعية العالمية حيـــث **تستطيع** هـــذه التجارب بل **يجب** ان تسبب في فتح آفـــاق جديدة من الفكر والعمـــل الثوريين على صعيد حركتنا الثورية . وتتضح اهمية هذا الموضوع لو علمنا بانه لم تحدث حتى الآن ايـــة مجابهة واضحة واي نقد صحيح ومبدئي بالنسبة لهذه النظريات والتناقضات او بالنسبة لهذه الافكـــار الانحرافية رغم اختلاف وجهات النظر والتناقضات المتعددة حول « استراتيجية الثورة الايرانية » و « موقع ومهام الثوار الايرانيين الاساسية » ورغم وجود افكار متحررة ومختلفة — والتي هي على العموم ذات طبيعـــة انتهازية او مستلهمة من الفكر التقليدي للتحريفية العالمية خاصـــة — وان هذا النضال والتناقض ما زال قائما وموجودا في العمق علـــى صعيد الحركة ويبرز من خلال الصراع بين خطين متباينين ومتناقضين كليا ، اي صراع بين خط الكفاح المسلح وقبول الدور القيادي للمنظمات الطليعية في عملية الاسراع وتثوير النضالات العفوية للفئات الشعبيـــة وتوجيه وتصعيد وتنظيم نضالاتهم على اساس الكفاح المسلح . وبين الخط الاستسلامي والتحريفي والانتهازي حيث يبرر هروبه من العمل باسم « العمل السياسي والاعلامي » واستراتيجية « تأسيس الحزب عن طريق العمل الهادىء وسط الجماهير » او « استغلال الفـــرص الديمقراطية التي تمنحها البرجوازية من اجل تنظيم البروليتارية ثـــم الحصول على القدرة للقضاء على الحكم البرجوازي » ! و... ليماطل في موضوع مواجهة الواقع الشرس الذي يعيشه المجتمع وليماطل هذا الخط ايضا في موضوع حصوله على الثقافة العلمية الحقيقية والوعـــي الثوري.

لقد قلنا ان هناك صراع بين خطـــين وهناك تناقض ، لكن هـــذا الصراع وهذا التناقض لم يبرزا حتى الان بشكل واضح ولم يتم دراسة ابعادهما المختلفة . فكما ان المادية تصبح اكثر تعقيدا وتضوجا خـــلال صراعها مع المثالية وكما ان الماركسية الاصيلة والثورية تتطور من خلال نضالها ضد التحريفية لذلك فنحن نرى من الواجب ان تمر نظرية وتكتيك الكفاح المسلح في وطننا عبر دورة من النضال الايديولوجي العنيف ضد الخطوط الانحرافية التي تتغذى اليوم بشكل رئيسي من الفكر التحريفي العالمي (٥) . وان هذا لن يتحقق الا على يد المناضلين الحقيقيين الذين يواجهون النظريات والتجارب المؤيدة والنظريـــات المضـــادة وحتـــى

الخاطئة في نفس الوقت بشكل خلاق دونما تعصب وتحجر فكري وبروح مؤها الامل بالتعلم والممارسة.

ان اي تجاهل بالنسبة لضرورة النضال الايديولوجي الحيوية وفي ظروفنا الراهنة خاصة يعني اعطاء جبهة النضال هذه الى ايدي اعداء الشعب . الى ايدي الامبرياليين والمرتبطين مباشرة بهم وبالتالي اعطاء هذه الجبهة الى ايدي التحريفيين — المرتبطين من الدرجـــة الثانية بالامبرياليين — . ان التجاهل معناه السماح للانتهازيـــين القدامى والتقليديين والسماح للانتهازيين الجدد من توجيه ضرباتهم القادرة الى جسم الحركة الثورية الايرانية مستفيدين من ذلك الضعف النظري للحركة الثورية . هذه الحركة التي فاتت خطواتها العملية الخطـــوات النظرية لها — ونقصد من الانتهازيين الجدد الذين وضعوا اقدامهم منذ البداية في هذا الطريق بشكل عام بعد احاسيس عاطفية وبروح مـــن المغامرة او اليأس والهزيمة السياسية طبعا وليس بعد فهم عميـــق وجماهيري متفحص بالنسبة للكفاح المسلح حيث لم يستطيـــعوا (وفي الواقع لم يشاؤوا) بعد من تصحيح اسسهم الايديولوجية والسياسية —.

ان جبهة « الانتهازيين » قد ضعفت منذ بدء الحركة المسلحـــة وان احتمال دعمها مرة اخرى بقوى انشط (هناك مؤشرات توضح ذلـــك) يضع امامنا دلائل اساسية اخرى تضاف الى عدم تطـــور استراتيجية الكفاح المسلح من الناحيتين النظرية والتكتيكية تتعلق بصورة دقيقـــة بنمو البرجوازية الاحتكارية الحكومية في ايـــران ، والتي اصبحـــت برجوازية شبه امبريالية او امبريالية صغيرة .

لقد استطاعت البرجوازية الايرانية في ظل هذه الظروف ان تضمن وبشكل ملموس مصالح فئات اوسع من المثقفين وفئـــات عليا مـــن الطبقات المتوسطة والبيروقراطيين المرتبطين بها (اي البرجوازيـــة) وحتى بعض الفئات العليا من العمال الفنيين . وهذا من شأنه ان يعمق المسافة ولو لمدة بين الحركة الطليعية الثورية والقوى التي اشرنا اليها لذلك طالما ظلت الحركة الثورية تتحرك داخل اطار المثقفين المحدود ولم تحصل الجماهير والطبقات الكادحة على الدور الفعال فيها ، فـــان الحركة الثورية الايرانية الفتية ستواجه اخطارا كبيرة . ان الشكوك ومقولات عن اعادة تقييم استراتيجية الكفاح المسلح التي تبرز اليوم على

صعيد الحركة هو انعكاس لارتباط المثقفين بالبرجوازيـــة الايرانية المتنامية (٦) .

ان المثقفين (وهم مع الاسف المتعلمون والجامعيون بشـــكل عام) وكافة البرجوازيين الصغار المرتبطين بالماكنة الصناعية — الادارية — العسكرية والثقافية التابعة للراسمالية نالوا مكاسب اكثر مـــن اي وقت واكثر من اية فئة شعبية اخرى في ظل هذا النظام الراسمالـــي الذي تضاعف حاجته الى الخبراء في مجالات العلم والصناعـــة . وان هذا الامر لا يستطيع ان يكون بعيداً عن التاثير على اتجاهاتهم الفكرية واطاراتهم السياسية — الايديولوجية . لذلك فان اي تطور حاصل في استراتيجية الكفاح المسلح واي تقدم لمضامينه السياسية والاجتماعية — الضرورات الملحة اكثر من اي وقت مضى — **يجب** ان يكون باتجاه جديد من تحديد **المواقف الفورية** والمواقف **الطبقية** الاكثر تحديدا ، اي باتجاه **الطبقات الكادحة** وباتجاه الطبقات التي هي في طريقها نحـــو التكوين (**العمال**) وايضا في نفس الوقت باتجاه تجميع القوى **المحتضرة** — التي تنتهي حتما في ظل مثل هذا النظام لذلك فهي مستعدة لخوض نضال دائم مع العدو — ونعني فئات البرجوازية الصغيـــرة التقليدية داخل المدن والفلاحين الفقراء والمعدمين في الارياف .

وهكذا سيلتقي نضالنـــا الرئيسي والمبدئـــي ضد الانتهازيين والتحريفيين القدامى والجدد ونضالنا ضد الامبريالية وماكنة الطبقـــة الحاكمة المرتبطة بهذه الامبريالية على **محور مشترك** . ان السير في هذا الاتجاه وخاصة في هذه الظروف سيمكننا من القضاء علـــى جبهـــة التحريفيين وقوى الردة والانتهازيين القدامى والجدد والاهم من ذلـــك بمقدوره فتح جبهات اكثر اطمئنانا واكثر شعبية تستطيع الوقـــوف والصمود امام العدو وتوجه له الضربات الموجعة من قبل جماهيرنـــا الكادحة . .

ان انتهاج مثل هذه السياسة، يلقي على عاتق المنظمة الطليعية من الناحية **العملية** التوجه السياسي والتنظيمي نحو الفئات والطبقات المذكورة ومن الناحية **النظرية** ضرورة تقييم التجارب الماضية للحركة وتطويـــر استراتيجية الكفاح المسلح وخاصة القيام بعمليات تعبوية ، توجيهيـــة وتوضيحية لهذه التجارب على صعيد المجتمع. ان نظرياتنا التفصيليـــة يجب ان تكون قادرة على اعطاء الاجوبة الصحيحة والمناسبة لمتغيرات المجتمع — سواء بالنسبة الى جبهة العدو وتدرته ونمو البرجوازيـــة

الحكومية المرتبطة والاحتكارية او بالنسبة الى الجبهة الداخلية مـــن حيث نمو القوى المناضلة وظهور المقاومة الشعبية وبصورها الجديدة المتصاعدة (العمالية والمجموعات العنوية داخل المدن وحتى ظهـــور بعض الخلايا الريفية المقاومة) وايضا اعطاء الاجوبة المناسبة بالنسبة للمتغيرات التي حصلت في البنية الطبقية الاجتماعية والتطور المتعاظم لقوى الطبقة العاملة .

لقد استطاع الكفاح المسلح في وطننا ان يخطو خطوته الاولى فـــي مسيرته الملتوية النضالية العظيمة والطويلة حيث تمكنـــت المنظمات الطليعية المسلحة ان تكتشف قوانين بقاءها وتطورهـــا وان تثبـــت وجودها خلال المرحلة الماضية . اما الشرط الثاني لهـــذه المسيـــرة النضالية يتوقف على تنفيذ المهام التي اشير اليها بشكل عـــام حيث تتلخص في النقاط التالية :

١ — الاتجاه الاستراتيجي للمنظمات الطليعية المسلحة نحو الطبقات الكادحة والمعدمة (العمال والفئات المضطهدة من البرجوازية الصغيرة وايضا الفلاحين الفقراء والمعدمين في الارياف) .

٢ — الالتقاء مع نضالات هذه الطبقات عبر الوسائل السياسية — التنظيمية العسكرية المختلفة .

٣ — قيام المنظمات الثورية الطليعية باشاعة ونشـــر عقائدهـــا الثورية وسط الطبقات المذكورة وتوجيه وتصفية نضالاتها الى مستوى الكفاح المسلح عبر تلك الوسائل .

ان هذه امور جديدة حيث لم نجتز نحن الا خطوة واحدة على طريق هذه التجربة . وكذلك فان هذا الطريق تكتنفه مشاكـــل كبيرة اكثـــر واعظم من البدء بالكفاح المسلح وتثبيت استمراره حتى الان . الا انه هذا هو الطريق الوحيد الذي تستطيع المنظمة الطليعية عبره ان تبنـــي القاعدة الطبقية للحركة المسلحة في قلب الجماهيـــر الكادحـــة وفي مقدمتها الجماهير الواعية والمستعدة للنضال . هذه الحركة التـــي كانت حتى الآن على اكتاف المثقفين الثوريين .

الهوامش

١ ــ احد زعماء الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

٢ ــ زعيم الحزب الاشتراكي الديمقراطي الالماني ومؤسس وزعيم الاممية الثانية ، ان كاوتسكي رغم مساهمته في تحليل اوضاع اوروبا في تلك الفترة ومهام الثوار ورغم نظرياته الهامة التي طرحها في مجال تطوير وانماع نقود الماركسية لكنه عدل في النهاية عن الخط الثوري واصبح من المرتدين . وفي الحقيقة ان مواقفه اللا ثورية ونظرياته الخاطئة لم تكن ذات اهمية واضرار بالغة حتى سنوات ١٩٠٥ حيث لم يكتسب موضوع سيطرة البروليتارية على القيادة السياسية اهمية خاصة من الناحية العملية ــ فترة نشوء الاشتراكية الديمقراطية في اوروبا اذ لم تكن البروليتارية حتى ذلك الوقت تحصل على التنظيم المستقل والمنضبط (الاحزاب العمالية واللينينية المتمثلة بالبلاشفة) كما كانت آراء الفئات والمجموعات غير البروليتارية رائجة فيها . وبعد ثورة ١٩٠٥ وخاصة في بداية الحرب العالمية الاولى وتصاعد التناقضات الداخلية للدول الرأسمالية بين الطبقة العاملة والرأسماليين من جهة وتصاعد التناقضات الدائمة بين اجنحة الرأسمالية في اوروبا بين جهة اخرى ، تمرغ كاوتسكي في المواقف الانتهازية والتحريفية . لقد عمل على تحريف مبادىء ماركس وانجلس حول موضوع الدولة ودكتاتورية البروليتارية من جهة والتحق بمؤيدي الحرب بين الدول الامبريالية خلافا للقرارات الاولى للاممية الثانية وشعار الاحزاب العمالية الحقيقية ــ حول معارضة الحرب الامبريالية الدائرة بين الدول الرأسمالية وضرورة تصعيد النضال من جانب البروليتاريا والقوى الشعبية في تلك الدول ــ من جهة اخرى وايضا رفض الوقوف الى جانب الطبقة العاملة وتضالها ضد الرأسمالية منتقدا المرتد الاشتراكي الشوفيني . ولقد وصفه لينين بـ « المرتد » في الكتاب الذي كتبه حول هذا الموضوع حيث دحض نظرياته التحريفية وفضح طبيعته الانتهازية . وللوقوف على نظريات كاوتسكي ومواقفه الانتهازية يمكن الرجوع الى كتاب «الدولة والثورة » .

٣ ــ برانتودار الزعيم السابق للحزب الشيوعي الامريكي (والافضل ان نقول زعيم الحزب الشيوعي الذي سبق وان كان في امريكا !) حيث انتهى هذا الحزب عام ١٩٣٥ في احضان اوتح مراحل الاستسلام وقد انحل الحزب على اساس : « انتهاء ضرورة الصراع الطبقي بعد الان وبروز مرحلة السلم الطبقي » .

٤ ــ الرئيس الدائم ! ليوغسلافيا ، احد ما يسمى بالزعماء الشيوعيين الذي قاد حرب العصابات اليوغسلافية ضد الحلفين الالمان ، جاء الى الحكم بعد انهزام الالمان وانسحاب الجيش الاحمر ، لكنه انتقد بعد ذلك موقفا معاديا لاستالين بسبب الخروج من السيطرة الستالينية ، حيث تمرغ في المواقف التحريفية . ان الحكومة اليوغسلافية هي اولى حكومات المعسكر الاشتراكي التي توجهت بصورة علنية نحو التحريفية وعملت لاحياء الرأسمالية داخل البلاد مرة اخرى .

٥ ــ مقالات من نوع « غدائي الشعب ماذا يقولون ؟ » و « اساليب النضال » من منشورات حزب توده والمرتبطين بهم في الداخل والخارج وايضا الذين يأتي الجمودات الانتهازية داخل ايران حول « عدم توفر الظروف للقيام بالكفاح المسلح » وانتصار نضالات الشعب والطبقات المضطهدة على النضال الثنائي ونظرية تصعيد وعي الشعب عن طريق الاعلام السياسي (من النوع الاقتصادي) او خط « العمل الهادي ! وتنظيم القوى » و ... كل هذه الافكار تستقي من مياه التحريفية . سنقوم باستعراض وتحليل هذه الكراسات وما طرح فيها من آراء في فرصة اخرى .

٦ ــ لاحظوا الفرق بين ما كان يحصل عليه مهندس او خريج احدى كليات العلوم عام ١٩٦٩ وما يحصل عليه من مكاسب وامتيازات في الوقت الحاضر وكذلك بالنسبة للطلاب الجامعات والمتأمر المتوسطة والعليا من اجهزة النظام الادارية والصناعية التي تمكن النظام من استقطاب هذه الفئات في خدمته ويربط مصالحها بمصالحه هو (فمنذ عدة سنوات سلك النظام سياسة واعية تجاه هؤلاء كما ان هذه السياسة تتطبق وحاجاته الاقتصادية في مجال الخبراء والفنيين) . وفي مقال كتبناه في ربيع ١٩٧٣ تحت عنوان « تحليل عن اعدام المستشار الامريكي هوكينز » نظرنا الى هذه المسألة بتفصيل اكثر .

ملحق رقم "٣"

المنشأ الاجتماعي للمثالية الموجودة داخل فكر المنظمة وطبيعتها الطبقية

لقد نشر ووزع هذا المقال لاول مرة داخل التنظيم في اواخر صيف ١٩٧٤ على شكل ملحق لـ « الكراس الاحضر » وهو احد الكراسات التثقيفية للمنظمة حيث احتوى سلسلة مقالات تثقيفية كانت قد سحبت على صعيد المنظمة منذ خريف ٧٢ وحتى صيف ٧٤ . لقد تناولت هذه المجموعة من المقالات نقدا لما طرح من مواضيع تثقيفية داخل التنظيم خلال المرحلة الماضية وكذلك اسسها الايديولوجيه ، كما اشارت بالمقابل الى مضامين المواضيع التثقيفية الجديدة المنسجمة مع فهم الضرورات المرحلية « للنضال الايديولوجي » . ان هذا المقال يبحث ايضا في بعض الموضوعات التي كنا قد تطرقنا اليها في « الكراس الاخضر » . لاننا نرى الاكتفاء بتقييم عام للقضايا واستنتاجات عامه وعدم التطرق الى الجزئيات او التفاصيل التي ورد ذكرها هناك . وطبيعي انه كان من المفيد ان ننشر محتويات الكراس الاخضر في ملحقات هذا العدد والى جانب هذا المقال خاصة لولا ضيق الوقت حيث ان نشر تلك المحتويات خارج اطار التنظيم كان يستوجب القيام ببعض التصحيحات والتغييرات.

واليكم الان نص ما ورد في ملحق الكراس الاخضر حيث يستعرض جوانب من التطورات والتغييرات الفكرية — الايديولوجية التي طرأت داخل المنظمة بشكل عام ونوعي وليس بصورة جزئية ومرحلية .

★ ★ ★

الان وبعد اجتياز مرحلة من البحوث حول شؤون المنظمة ومشاكلها السياسية والتنظيمية وتوضيح الاسباب الايديولوجية لبروز تلك المشاكل (اشارة الى البحوث السابقة المطروحة في الكراس الاخضر) بعد كل هذا من الضروري جدا طرح اهم وادق قضية التي يمكن بواسطتها تلخيص نتائج كل ما طرحناه من اراء ونظريات حتى الان .

السؤال : ما هو المنشأ الاجتماعي لهذه المثالية (المثالية الموجودة داخل فكر المنظمة) وما هي الطبيعة الطبقية لهذه الايديولوجية ؟ او اية فكرة من افكار الفئات او الطبقات الاجتماعية تمثلها ايديولوجية المنظمة؟ هناك حركة تغيير وتطور في ايديولوجية المنظمة برزت بوضوح من خلال النظريات السياسية واساليب العمل التنظيمي لثمانية اعوام من حياة

المنظمة ، التغييرات والتطورات هذه ، على اية حركة اجتماعية تحتية تنطبق ؟ وبصورة اوضح : من اي ميزة للتحولات الاساسية للمجتمع تنشأ مثل هذ «المجموعة الفلسفية المتناقضة (١) في فكر سياسي — اجتماعي (تتمتع بنفس الوقت بخصائص واساليب خاصة بها) وكذلك تعايش عناصرها المتناقضة في اطار ايديولوجي خاص خلال حقبة تاريخية ومرحلة من مراحل نمو القوى الانتاجية ؟ ما هو القانون الذي تتبعه حركة التطور لهذه المجموعة الفلسفية ولماذا تتحول الى شكل متناقض (ملاحظة : متناقض بالضبط) لنقطة انطلاقها ؟

لقد اشرنا في الصفحات السابقة الى الظروف السياسية — الاقتصادية والثقافية العامة التي مكنت من ظهور الفكر الديني الجديد واحتلاله الموقع الايديولوجي للمنظمة . وذكرنا هناك بأن ظهور الظروف المستجدة التي حولت الاستغلال الاقطاعي الى استغلال راسمالي كانت قد استوجبت شكلا جديدا من النضال يحتوي على عناصر متكاثرة (قياسا الى تعزيز الاقتصاد الراسمالي المتزايد) من الايديولوجية البروليتارية (كايديولوجية متناقضة مع النظام الحاكم) . واشرنا بالارقام الى تواجد تلك العناصر داخل ايديولوجية المنظمة خلال تلك الفترة واثبتنا بأن وجود العناصر المذكورة والتي تمنح المنظمة حالة استثنائية هو بالضبط السبب الاساسي الذي يبين الميزات النوعية بين ايديولوجية المنظمة الدينية وبقية الافكار الدينية السائدة (حتى اكثرها تقدميه) (٢) . واوضحنا كيفية توصل المنظمة الى الفهم الصحيح تقريبا بالنسبة لظروف وخصائص المجتمع في تلك المرحلة المعقدة عن طريق القبول بتلك العناصر .

اما النقطة التي تعمدنا عدم الخوض فيها (لاتباعنا اسلوب الاستقراء العام للقضايا في هذا المقال وعدم التطرق الى الجزئيات والتخلي عن اثارة المواضيع غير التاضجة) هي : كيف استطاع هذا الجزء من الفكر الديني احتواء عناصر جديدة من ايديولوجية البروليتارية وتمكن بشكل نوعي من عزل نفسه عن بقية اجزائه الرئيسية ؟ وما هي العوامل الاجتماعية التي ادت الى ظهور مثل هذا الفكر وبهذه الخصائص ؟ ولماذا انضمت في البداية عناصر معينة فقط من ايديولوجية البروليتاريا الى مثل هذا الفكر وبالتالي فان هذه المجموعة المتناقضة

من المثالية والمادية ، انعكاس لاية حركة اجتماعية ولاي من ايديولوجيات الفئات والطبقات الاجتماعية تمثل ؟

يأتينا الجواب على هذه التساؤلات اذا ما القينا نظرة فاحصة الى مسيرة التحولات التي حصلت على الاخص بعد دخول الراسمال وسيطرته على الاقتصاد والمجتمع في الستينيات . ان البرجوازية الصغيرة التقليدية (٣) خاصة الفئات الدنيا منها هي من جملة الفئات التي تبدأ بالاندحار فور وصول البرجوازية الكبيرة المرتبطة بالامبريالية الى الحكم . حيث ان الانتاج الضئيل والتقليدي للبرجوازية الصغيرة ، بالرغم من الطاقة العظيمة التي يحتويها ذلك الانتاج ، يتدهور تدريجيا تحت ضغط السيطرة العظيمة للانتاج الكبير . وبتدهور ذلك الانتاج تتعرض حيانها (اي البرجوازية الصغيرة) الى تغييرات اقتصادية واجتماعية كبيرة . وفي هذه الحالة حيث تسير الملكيات الصغيرة الموجودة تحت رحمة البرجوازية الكبيرة لصالح الملكيات الكبيرة ، تبدأ البرجوازية الصغيرة والشرائح الدنيا منها من الحرفيين والصناعيين والتجار الصغار قبل الاخرين ، تحركهم الاجتماعي باتجاه الطبقة الجديدة المتنامية اي البروليتاريا داخل المدن .

تلك هي حتمية مصير البرجوازية الصغيرة لكنه مع ذلك لم يكن هناك ما يمنع البرجوازية الصغيرة التقليدية من عدم الاستسلام ومقاومة مثل هذا المستقبل القاتل . لقد اعتمدت على قدرتها الطبقية العظيمة وقدرة الانتاج الصغير وتاريخها النضالي المتواصل وعلى عناصرها الثقافية المناضلة التي برزت على صورة الدين (الشيعي). لذلك صممت على الصمود . ان الاحتجاجات وعمليات المقاومة الصغيرة قد تغيرت الى حركات من المقاومة الكبيرة والنضالات المتصاعدة . حيث بدأ السوق (اي التجار الصغار) بالغليان ممثلا القلب النابض بهذه النضالات . ان الاعداد والتمهيد لهذه النضالات الصغيرة والمتفرقة — كما تبدو في الظاهر — وكذلك الاضرابات والمظاهرات التي تقوم بها مختلف المجموعات ، تقوم به الجماهير المنتمية الى الطبقات المتوسطة في المدن اولا ثم تليها كافة الجماهير الغاضبة في المدن بعد ان تحملت عشرة اعوام من الضغط الدكتاتوري المدمر (اشارة الى انتفاضة « ١٥ خرداد » ١٩٦٣ — المترجم) .

صحيح ان نقطة الانطلاق تبدؤها الفئات المتوسطة من البرجوازية الصغيرة المناضلة في السوق (٤) لكن هذه الحركة تستطيع استقطاب الكثير من المثقفين وشبه المثقفين والطلاب خاصة وتلامذة المدارس في الاقضية وبقايا عناصر واعضاء المنظمات الوطنية والمجموعات السياسية الصغيرة (الدينية وغير الدينية) وكذلك الفئات الدنيا من البرجوازية الصغيرة والمهنيين والحرفيين في المدن والملاكين الصغار في القرى المناخمة للمدن (وخاصة الذين تربطهم مع البرجوازية الصغيرة في المدن علاقات اقتصادية وفكرية مقربة) (٥) وبالتالي استقطاب العناصر الواعية من العمال في المدن (٦) .

ان فشل تلك الحركة والتي كانت تمثل اعلى مراحل النشاط الجماعي والموحد للبرجوازية الصغيرة ضد البرجوازية الناشطة والمرتبطة بالامبريالية ، لم تفقد تلك البرجوازية اخر آمالها السياسية والاقتصادية وحسب وانما اثبتت عدم قدرتها وضعفها الايديولوجي بصورة تامة ايضا . ان هذه الصورة المعبرة كانت درسا للمثقفين المخلصين الذين اشتركوا فعلا في النضالات الشعبية المناهضة للامبريالية والاستعمار وهم يقعون تحت تأثير مثل تلك الافكار (الافكار الدينية) .

ان فشل انتفاضة « ١٥ خرداد » (٥ حزيران ٦٣) قد اكدت حتمية فشل كافة الايديولوجيات والمنظمات التي تريد مواجهة الامبريالية وقدرة الراسمالية المرتبطة بها في اطار نفس العقلية التي تتمتع بها البرجوازية الصغيرة وبالتالي بالاعتماد على نفس القوى وبرهنت على ضعف وعدم نضوج تلك النضالات .

لكن رفع الستار عن ذلك الضعف السياسي والايديولوجي لتلك الاحزاب والمنظمات البرجوازية والبرجوازية الصغيرة واساليبها النضالية التقليدية واشكالها التنظيمية البالية لم يكن يعني بالضبط القبول فورا بالايديولوجية والتفكير البروليتاري وفهم هذه الايديولوجية بصورة تامة . ان عدم نضوج تلك النضالات يعود الى امرين يتلخص الاول في : غياب الظروف الذاتية المساعدة والتي هي بامكان التنظيم او الحزب الماركسي اللينيني ان يحضرها . والثاني يتعلق بالفترة « الانتقالية » والمتميزة بالانتقال من مرحلة انتاجية (الانتاج الاقطاعي)

الى مرحلة انتاجية جديدة (الانتاج الراسمالي المرتبط) يمكننا تبسيط الموضوع اكثر :

أ — نحن لم نشاهد تقريبا اي عنصر اشتراكي خلال انتفاضة ٥ حزيران ٦٣ ، اذ كان هناك غياب واضح للمنظمات الماركسية—اللينينية وكذلك للشعارات ذات الطرح الاشتراكي وفي الحقيقة ان شعارات البرجوازية الصغيرة ، الشعارات ذات الطبيعة المناهضة للامبريالية والملكية هي التي استطاعت استقطاب الفئات الاجتماعية على اختلاف انواعها (٧) حيث انتظم العمال وحتى عناصر من المثقفين الثوريين والماركسيين — اللينينيين الغير المنظمين المشتركين في تلك الانتفاضة انتظموا فعلا تحت لواء القيادة البرجوازية الصغيرة .

ان تلك الظروف التي جاءت نتيجة للتخريب الذي مارسته قيادة حزب توده داخل حركتنا الثورية قد احدثت فراغا سياسيا تنظيميا وايديولوجيا لدرجة ان قطعت الامل باي ماضي او تجربة نضالية يمكن الاستفادة منها عند اي تحرك جديد باتجاه تبلور تفكير جديد او تاسيس تنظيم شيوعي . وعلى ذلك فان المثقفين لم يكن ليستطيعوا من ايجاد النواة الاولى لتأسيس تنظيم شيوعي جديد باعتمادهم المباشر على التجارب النضالية السابقة كما هو معروف بعد التوصل الى معرفة الضعف الذي تتمتع به الاحزاب البرجوازية واساليبها الفاشلة (فشل انتفاضة ٥—٦٣) . حيث كان هناك بعد عميق — بعمق انتهازية حزب توده — يفصل اولئك المثقفين عن تجارب الحركة الشيوعية الاصيلة في ايران . اذا كان عليهم اختبار طرق جديدة وغير معروفة تماما . (فعلت ذلك التجمعات الماركسية الصغيرة اوائل عام ٦٧ حيث تعرضت الى ملاحقات البوليس والتصفية التامة) . اذا فان الطريق الجديد كان يقع تحت تأثير الاحكام الموضوعية التي يفرضها على الثوار النظام الراسمالي المرتبط في ايران اكثر من وقوعه تحت تأثير الظروف الذاتية المساعدة وتجاربها السياسية والتنظيمية السابقة . من هنا تتضح الاهمية القصوى للعنصر الموضوعي (الظروف الاجتماعية والاقتصادية المستجدة) وتقدم ذلك العنصر على العنصر الذاتي اوالمتواجد تاريخيا بشكل رئيسي) بالنسبة لتبلور وانطلاق الحركة الشيوعية الجديدة في ايران .

وعلى ذلك فان الراسمالية الايرانية بقدر ما كانت تتعقد وتوسع من دوائرها السياسية والاقتصادية والثقافية . تضجت بنفس النسبة ايضا الظروف الذاتية لايجاد مثل تلك النواة (ضرورة ظهـــور التنظيمات الماركسية ــ اللينينية) وكانت استجابة هذه الضرورة امرا لا مفر منه. اذا فان طبيعة ذلك الفراغ الزمني الملاحظ في تاريخ هذه الاعوام منذ فشل الانتفاضة واولى دروسها المعبره حتى تاسيس النواه الشيوعية الاولى في صورتها الجديدة (لا تلك الاوساط الراكضة وراء حزب تودهو الملغومة من قبل البوليس) يجد مبررات وجوده التاريخية في العبارة التالية : « الحركة الموضوعية ، العامل الاساسي والحاسم بالنسبة لوجـــود الحركة الشيوعية الجديدة في ايران خلال المرحلة الراهنة » .

ورغم ان تنظيمنا قد تاسس ردا على الفراغ السياسي والتنظيمي الحاصل وفي خضم المتاهات واليأس اللذان تميزت بهما هذه الاعوام ، لم يكن (اي التنظيم) غير مستثنى من ذلك القانون . وعليـــه اجتياز المراحل كمّا والتي تمليها الضرورات الموضوعية داخل المجتمع اجتيازها تدريجيا ولكن بخطوات سريعة حتى يحصل على الفكـــر الماركســي ــ اللينيني وحسب (اذ اراد الاحتفاظ بديناميكيته الثورية) وانمـــا لامور اخرى منها: انطلاقتنا الايديولوجية المتاثرة بالثقافة والتفكير الديني الرائج والنضالات السابقة (انتماء الرفاق الاوائل الى ذلك المبدا الفكري المبرر لنضالاتهم خلال عام ٥٩ ــ ٦٠ وما بعده . وقد بذلت مساعي لتلافـــي اللاتضوج الفكري المتميز في ذلك المبدا بواسطة ادخال مقاطع متفرقـــة من الايديولوجية الماركسية ــ ان جاز التعبير على ذلك الفكر ــ) فان التحول داخل التنظيم كان يسير بصورة بطيئة مصطحبا ردود فعـــل داخلية قوية .

فما هي تلك الظروف الموضوعية ؟ وكيف تمكنت الحركات السطحية من كشف مبرراتها المادية من «العمق» اي من داخل العلاقات الانتاجية والاقتصادية للمجتمع ؟ ان دراسة هذا الجزء (الجزء التالي) يعطينـــا مدلولات اكثر وضوحا حول كيفية حركة وتطور الافكار الثورية داخـــل المجتمع ومن ضمنها التطور الايديولوجي والفكري داخل تنظيمنا :

ب ــ وبشكل عام فان الايديولوجية البروليتارية ــ بمعناها الخاص اي تلك « النظرية الثورية » المتمكنة من رفد نضالات الشعب المناهضة

للامبريالية الى حين القضاء تماما على النظام الاستغلالي الحاكم ــ لم تكن تستطيع ان تكون شيئا جاهزا ومستوردا او متوفرا من قبل (٨) . حيث ان **الموضوعية** التاريخية لهذه الايديولوجية وبالتالي اضطـــرار القوى الثورية (المثقفين الثوريين) للتوصل اليها ، توفرت عندمـــا انتقلنا عمليا الى فترة الانتاج الراسمالي وبرزت الى ساحة العلاقـــات الراسمالية قوى انتاجية جديدة . لانه في غير مثل هذه الحالة فان تلك النضالات كان بالامكان استمرارها تحت قيادة البرجوازية الوطنية او البرجوازية الصغيرة ولن تتبلور الايديولوجية البروليتارية كضـــرورة تيادية حتمية رغم امكانية تواجدها وتطورها (بالرغم من ان هذا النوع من التفكير كان متمكنا من قيادة النضالات بل كان يتحتم عليه استـــلام هذه القيادة منذ نضالات الثورة الدستورية ، لكنه على ايـــة حـــال للضرورة التاريخية بمعنى آخر) . الا ان ظروف الستينيات هي التي وفرت هذه المرحلة ــ مرحلة سيطرة الراسمال المرتبط سياسيـــا واقتصاديا ــ لذلك فان اي نوع من النضال البرجوازي الديمقراطـــي بقيادة البرجوازية الوطنية والبرجوازيـــة الصغيـــرة مستقبـــلا يفتقد ضرورته التاريخية لتبرز امكانية القيادة البروليتارية (تنظيمها السياسي والايديولوجي) للنضالات الثورية بخصائصها البرجوازية الديمقراطية الجديدة في ايران . ولكن هل كان هناك وفي مثل تلك الظروف الحـــادة والحاسمة تواجد لمثل هذا التنظيم وهذه الايديولوجية (بمعناها الخاص)؟

لقد لاحظنا في « ا » كيف ان غياب مثل هذا التنظيم والتفكير جعـــل من نضالات الشعب الثورية في المواجهة امام فراغ سياسي وايديولوجي وتوصلنا الى ان تبلـــور وظهور هـــذه النظرية والتنظيـــم السيـــاســـي البروليتاري كان مشروطا بتطور الظروف الموضوعية (نمو وتطـــور الراسمالية وبالضرورة نمو وتطور التنظيمات الثورية) حيث ان مثل هذا التحول داخل العلاقات الاقتصادية والسياسية للمجتمع لن يحدث مرة واحدة .

ان المجتمع الجديد وليد المجتمع القديم ويحمل معه لفترة آثـــار ومخلفات ذلك المجتمع وعلى ذلك فان هذه الايديولوجية كاثار اوليـــة ضرورية للتحول الاقتصادي الجديد في المجتمـــع والنقيض للنظـــام الاستغلالي الجديد كانت متمكنة من التطور بالارتباط مع تطور القوى الانتاجية واقامة العلاقات الانتاجية البرجوازية فقط وفي المقابل بالارتباط

مع تنظيم ووعي البروليتاريا (طليعة هذه الطبقة) ومشكلة ايضا من طرح توانيها الخاصة « النظرية الثورية » بعد التوصل الى الخصائص الوطنية .

للايضاح : فكما ان هناك فاصل زمني وفترة انتقالية بين البرجوازية التي فرضت حديثا سلطتها السياسيه والاقتصاديه — والتي ما زالت تحمل معها العناصر الاقطاعيه الضعيفة (الاقتصاد — السياسة — الثقافة) — من جهة والبرجوازية التي تمكنت من تغيير البنى الاجتماعية والطبقيه وتقسيم واستقطاب الطبقات الاجتماعيه لصالحها بواسطة قدرتها المتصاعده من جهة اخرى ، فهناك فاصل وبنفس الصورة ايضا بين الطبقة العاملة التي تعيش فترة الاندحار الاقطاعي وقد امتزجت عند تحركها التاريخي بفئات مختلفة من البرجوازية الصغيرة (البرجوازية الصغيرة في المدينة او البرجوازيه الصغيرة الفلاحية والتي تنظم في البداية اجزاء كبيرة منها) من جهه والطبقة العاملة التي تعيش فترة انتظامها وتدرة البرجوازية بصوره كامله وقد بدأت تلك الطبقة العاملة فترة نضالية او قد انتهت من فترة من جهة اخرى . ولا يمكن عدم اجتياز مرحلة وسطية او فترة انتقالية خلال هذه المسيرة المتطورة لكنه خلال اجتياز مثل هذه المراحل بالضبط تظهر انواع الايديولوجيات الوسطية من اقصى اليمين الى اقصى اليسار حيث تعكس بشكل رئيسي النظرات ومصالح مختلف فئات البرجوازية الصغيرة . وطبيعي ان ايديولوجيات البرجوازية الصغيرة عموما ذات خصال وسطية من حيث طبيعتها (مراجعة بداية مقال البرجوازية الصغيرة). الا ان البرجوازية الصغيرة المحتضرة والمسيطر عليها من قبل الراسمال الكبير وضغوطه المختلفة خلال الظروف الجديدة فان تلك الخصائص الوسطية ايضا تأخذ شكلا جديدا حيويا ونشطا ومتناسبا مع توترها الاجتماعي وسيولتها الطبقية . ان هذه المتغيرات الايديولوجية لمختلف فئات البرجوازية الصغيرة سوف تستمر حتى تستقر اخيرا عند طبقة او فئة او مجموعة اجتماعية جديدة تظهر اثر تقسيمات جديدة للعمل في فترة سيطرة الراسمال . وعلى ذلك فان الاشكال الجديدة والمستحدثة من الايديولوجيات الوسطية (وكذلك المجموعات والتنظيمات المرتبطة بها) ليست الا انعكاس للتفكير والمساعي العملية لهذ ه الفئات خلال الفترة الانتقالية ! وليس من قبيل

الصدفة ان واجهنا الكثير من هذه التفكيرات والمجموعات التي ظهرت بعدها ومعها منذ عام ١٩٦٣ (في اشكالها العلنية والسرية وشبه السرية) ولان الدين يشكل البنيان الفوقي الثقافي لقسم كبير من الطبقة المتوسطة في ايران . وبرزت هذه الاتجاهات بشكل رئيسي بنفس الاطر الدينيه (ورغم ان بعض الاتجاهات شبه الماركسية عند بعض الجماعات المثقفه تتبع نفس القانون لكن غالبيتها تتجلى في الاتجاهات والاستنتاجات الدينية المختلفة) .

وخلال تلك الفترة تقوم بعض الفئات من البرجوازية الصغيرة التي تميل الى البروليتاريا (الفئات المثقفة ذات التحرك الفكري والمعتمد على البنيان الفوقي والفئات التقليدية ذات التحرك الاقتصادي) بطرح نوع خاص من الايديولوجيه الوسطيه والتي تحمل ايضا طبيعه برجوازيه صغيرة اضافة الى حيازتها عناصر معينة ومتنامية من الايديولوجيه البروليتارية بعض الاحيان . وطبيعي ان نمو هذه العناصر يتعلق بمدى الضغط الطبقي الممارس ضد هذه الفئات وشدة انتزاع ملكياتها ودفعها نحو الطبقة العامله من جهة ومشروط بضرورة تحديد الموقف الواعي والعملي من جانب التنظيمات والمجموعات المذكوره باتجاه مصالح ونضالات الطبقة العاملة ، والتوصل الى فهم هذه الضرورة اثناء المسيرة العملية من جهة اخرى . ان هذه الصورة تبرر المسيرة السياسية والايديولوجية لكثير من التنظيمات والجماعات الموجوده داخل الحركة . ان تحركنا الايديولوجي وسط تلك التنظيماتوالجماعات كانة يدخل ضمن تلك الصورة بشكل بارز . ان انطلاقتنا الايديولوجية بدأت خاصة وبشكل عام من التفكير الديني القائم على الاستنتاجات المثالية للتفضل والمجتمع و ... لكنها توصلت الى التفكير المادي خلال عشر سنوات من المسيرة المتطورة والى نقطة متناقضة تماما مع نقطة البداية . ويعود ذلك الى تحركنا الى جانب حركة المجتمع المتطورة ويعود ايضا الى تشديد السلطة الاستغلالية للبرجوازية الحاكمة والضرورات الملحة التي تحتم مزيدا من التقارب مع مصالح وايديولوجية الطبقات الكادحة والمضطهدة . وطبيعي ان هذا التحرك لم يأخذ خطا مستقيما لكنه بصورة عامة كان له اتجاها متصاعدا او متقدما . وطبيعي ايضا ان هذا التحرك لم يكن شيئا تلقائيا او انعكاسا صرفا لحركة اجتماعية تلقائية داخل تنظيمنا (الاتجاه البروليتاري عند

بعض فئات البرجوازية الصغيرة) . لقد كنا مضطرين في كل لحظـــة ومرحلة الى تحديد اتجاهنا بوعي كامل . لقد اجتاز تنظيمنا فتـــــرات عديدة حيث عاش فترة مد خلال سنوات ٦٥ــ٦٨ ، فترة جزر بسيط اوائل ٦٨ حتى اوائل ٦٩ ، فترة تحرك جديد اوائل ٧١ حتى اواسط ٧٢ ، وبالتالي عاش الفترة الحاسمة لـــ« نضال الايديولوجي » خلال سنوات ٧٣ــ٧٥ في الوقت الذي كان قد اجتاز التنظيم فترات جـــزر اوائل ٧٠ــ٧١ واواسط ٧٢ــ٧٣ .

وهكذا فانه كان على الحركة المتطورة لتفكيرنا والتي جاءت الـــى جانب تنامي وتطور قواتها المادية تحديد موقف . اما ان نرفض القشور المثالية واما ان نقبل بتراجع رجعي مميت . ان التحديد الصحيح لقيادة تنظيمنا تحديد لبداية مرحلة النضال الايديولوجي (صيف ٧٣) ، كـــان بالضبط الرد اللازم والعمل وفق ضرورة تطور هذا التفكير . اذا يعني هذا ان المتغيرات الكمية السابقة قد اعطت مكانها الىمتغيرات نوعية. لقد كان هناك نضالا ايديولوجيا مريرا دام سنتين ضد المظاهر السياسية ـــ التنظيمية للمثالية ومن ثم ابعادها الفلسفية ، كان نضالا مريرا لكنه ضروري لاية ولادة جديدة حيث نعيش الان هذه الولادة الجديدة لمرحلة جديدة من فهم الحقيقة ، حقيقة مادية العالم .

الهوامش

١ ـــ في مقال آخـــر ســـوف نبحـــثبصورة تحليلية حول التناقضات الفلسفية الايديولوجية العائدة الى وضع الاســلوب الفهم الديالكتيكي علـــى اســاس المثالية الذيلية .

٢ ـــ نظـــرة سريعة الـــى تاريـــخ التجارب التنظيمية تكشف دائمة التناقضات الفكرية الموجودة بيننا وبين مـــن يعتقدون انفسهم من الماركسيين التقدميين والثوريين. ان اتصالنا من كتب بالمهندس بازرگان يعكس ابرز الدروس المميزة مـــن تلـــك التناقضات .

مفصل الموضوع :

بعد ان استطاع تنظيمنا التوصل الى انسجام فكري وتنظيمي خلال عام ١٩٦٨ تقرر اجراء اتصال بالمهندس بازرگان ليقوم الرفاق باطلاعه عن موضوع تشكيل مجموعة سرية ـــ سياسية وطبعا ان هذا الكشفيتم بقدر ما تقتضيه مصالح الحركة . لقد كانت هناك معرفة مسبقة بين المهنـــدس والرفاق المؤســسين. لكنه لا يعرف عنهمشيئا منذ اعتقاله عام ٦٣ واطلاق سراحه عام٦٧ ولغاية ذلك الوقت (١٩٦٨) ، يرحـــب المهندس بالرفاق خلال الزيارة هذه لكنهيواجههم ببرود عند ما طرحوا عليه موضوع تأسيس التنظيم بعد ذكر المقدمات . لقدانهم المهندس الرفاق بالانحراف ! لطرحهم موضوع الاستقلال كميزة أساسية في الخطالسياسي وفكرنا الثوري (ويعني انكم تحملون افكار ماركسية) . وفي ختـــام الزيارة يعاتبه احد الرفاق بقوله « الم تعر اهمية ولو جزئية بالنسبة لنا ولجهودنا ». جاء الرد من قبل المهندس وببرود تام : «عليكن كذلك» وهكذا يريح السيد المهندس نفسه من مشاق العمل والتعاون مـــع التنظيم !

وبالرغم من ان التنظيـــم لم يتوصل في ذلك اليوم الى معرفة اســس الخـــلافات الفكرية وفهم طبيعة ايديولوجية المهندس بازرگان وافكاره ، لكن وضوح الخلافـــات قد مكن التنظيم من تشخيص النقـــــاط الفكرية والسياسية الصحيحة داخل المنظمة (قياسا الى حـــركة التحرير بفكـــرهاوتوجهاتها متمثلة بشخص المهندس بازرگان) مؤكدا عليها اكثر . تلك هي الدروس التي استخلصها التنظيم خلال ذلك الاتصال .

ولكن الموضوع لم ينته في هذه النقطةفقد تقرر اجراء اتصال ثان بالمهـــندس بازركان اوائل عام ١٩٦٦ بعد ان استخلصنابعض الدروس من الاتصال الاول وبعد ان دخلت ضمن استراتيجية التنظيم فكـــرةاستقطاب الشخصيات الوطنية . لكن هذا الاتصال يكون مشروطا هذه المرة . وكانالهدف منه الاستفادة من نفوذ المهنـــدس وموقعه السياسي لصالح التنظيم والنضالوليس التوصل الى انسجام فكري كامـــل معه . لذلك فقد تقرر التأكيد على ما سمي بالنقاط المشتركة اي النضال على اساس الدين ، بشكل رئيسي خلال الاتصـــال (وليس الامور الاقتصادية التي كانت تعتبر من وجوه الاختلاف بالرغم مـــن عـــدم فهمنا في تلك الفترة لكلوجه الاشـــتراك والاختلاف في وجهات النظـــر بين تنظيمناوتلك العناصر وقد توصلنا اليها في الوقت الحاضر فقط) . لكن اتباع هذا الاسلوبلم يكن (وما كان من الممكن ان يكون) مؤثرا من الناحية العملية بالرغم من الترحيبالكلامي والظاهري الذي لقيه من السدة المهندس ولم يستطع ذلك الاسلوب اليضا من احراز اي تقدم (وهذه حقيقة) باتجاه استقطاب المهندس وتعاونه معنا .

ان الفرق بين الاتصال الاول والثانيهو الاتفاق المسبق الضمني حول طـــرح جملة من المفاهيم المتعلقة بالبناء الفوقيحيث انها كانت في الحقيقة تفتقـــد الى مضامينها الخاصة (لذلك ان التناقض بينهـــذه المفاهيم والمضامين الفكـــرية والايديولوجية عنـــد المهندس بازركانوامثاله قد تبلورت بعد الاتصـــال الاول) لذلك جاء فشلنا في تحديد موقف صـــريحوواضح ازاء المهندسوبالتالي نحلل مواقفه هو ازاء الحركة ايضا . وقد عزل ضعفهالايديولوجي الى عدم استيعابه الكامـــل للمعلومات السياسية وافتقاره للتقاليـــدالثورية (وطبيعي ان هذا التحليل الخاطئ يعود الى سيطرة مقاييس البناء الفوقي على تفكيرنا ، تلك المقاييس التي قد تحدثنا عنها سابقا) . وقد ادى هذا التحديدالخاطئ الى تبديد بعض الوقت عندما حاول (اي التنظيم) تلاقي هذا النقص الذي لم يكن في الواقع ذات تأثير كبير ، حيث تقرر مثلا قيام المهندس بمطالعة كتب «بالعمل» للتين و « التناقض » لماوتسي تونغ و ..... ليقوم الرفاق خلال اتصالاتهم القادمة بالمهندس (رغم الاخطار الامنية التي تسببها تلك الاتصالات) بمناقشـــتهحول تلك الكتب . لكن المهندس لم يبد اي تحمس واهتمام من جانبه حول هـــذاالموضوع حيث كان موقفه هذا غايـــة كليا بالنسبةالماضي جاءت الظروف القاسيةوالعصيبة لاوائل السبعينات (انطلاقةالحركة المسلحة والحملات الشرسة والاعتقالاتوالاعدامات الدموية التي تعرضت لهـــا عناصر الحركة على يد السلطة الفاشيـــةفـــي ايـــران ـــ المترجـــم) لتعري السادة «المناضلين القدامى»وتكشفهم البائس المخزي في نفوس الســـادة

البروفسوريين والمهندسين ونمرز خـــونهموتخاذلهم - ان هؤلاء السادة ممن يسمون بالمثقفين قد نالوا شهرتهم اثر تضامنهم على القلقليات الثورية خلال ١ عوام الازمة من الستينات واثر تأييدهم للاصلاحية النحسوالمساومة عما الذي يستطيعون نعله خلال هذه الفترة من تصاعد النضالات الثورية !

ان وعود البرجوازية واحلام برجوازيتهمالصغيرة تلك الوعود البنفسجية والاحلام الزهرية من جهة وشراسة التعـــذيبالممارس ضد الثوار والمناضلين واحكـــام الاعدام الصادرة بحقهم من قبل النظـــامالحاكم من جهة اخرى،جاءت لتضع حدا للحياة السياسية لاولئك السادة حيثميزتهطبيعتهم بكل ما تحمله من بشاعة عنـــد سجودهم وخشوع تام فيمحراب البرجوازيةطالبين الغفران لكل ما اقترفوه من ذنب واذ كنا نتمتع بقليل من التجارب والخبراتلنوقعنا هذه النهاية لاولئك السادة بفسنهم المهندس بازركان منذ ذلك الوقت .والواقعان هذا العامل الزمني لم يغير شيئا من مصير السيد المهندس ! وانما تلاقى ما كانانتظر اليه وبعد ان كان السيد المهندس قد استلم دفة القيادة لنضالات الماضي اي النضالات الدينية والنضالات المـــريضة لفئات المعممين والمثقفين المؤمنين المقلدين بعدذلكتكله قد اراح ضميروووجدانه اليمتلك اليوم بعضما ويقوم باســـتغلال بعض من شباب الوطن الكادحين ! ـــ اولئك الشباب الذين جاهد المهندس لتحريرهم في تلـــك الفترة ـــ انه اليوم يقضي ايامه سعيدا ومشاكرا الرب الرحيم على نعمائه بصدوتية تامة ! ـــ وبعد ان اجرى تغييـــرا بسيطا على اتجاه قبلته طبعا ـــ .

٣ ـــ تختلف البرجوازية الصغيـــرةالتقليديـــة باتتاجها البسيط التاريخي وباستقلالها عن التقسيم الاجتماعي للعمل في فتـــرة سيطرة الرأسماليـــة من البرجوازية الصغيرة التي هي في حالـــةالصيـــرورة وتتطـــابق بفتـــرة سيطـــرة الرأسمالية وتدير اجهزتهـــا الاداريـــة ـــالتقنية ـــ البيتـــروالشرطة - حيث ان الاولى تنهار بحكم الظروف الرأسماليـــةوتقـــوم بعض فئاتها الغير متساومـــة بالنضال ضد النظام الحاكم . اما الثانيةفهـــي الحصيلـــة المباشـــرة للظـــروف الرأسمالية والفائمة طـــى وجودها.لذلكفهي متحفظة جدا لا يعتمد عليها لفتـــرة طويلة (فئاتها العليا خاصـــة مـــدراء الصناعات،المهندسين والخبراء الصناعيين والسياسيين والعسكريين و .....) - ان تأكيدنا على خصائص البرجوازية الصغيرة التقليدية نابع من هذ المبدأ اي التمييـــزبين هاتين الفئتين .

٤ ــ ان مصطلح « السوق » ينسحب ايران الى نوع خاص من العلاقات الانتاجية وعلى اساس الانتاج الصغير وهناك احتمال لانعدام هذا النوع من العلاقات في بقية الدول والدول الغربية خاصة . فبواسطة خيوطها الرئيسة والثانية تفرض البرجوازية الصغيرة في السوق ــ المنتجة او التجارية ــ تفرض سيطرتها على كافة فروع الانتاج والتوزيع والمقايضة على مستوى البلاد . اذ تقوم هذه البرجوازية الصغيرة وبصورة فورية بالاشراف على اعمال الحرفيين والمهنيين وصغار النجار ونجار الواسطة وحتى صغار المنتجين داخل الارياف (صغار الفلاحين) وذلك تقوم (او بالاحرى كانت تقوم) بادارة شؤون توزيع البضائع وارسالها الى الارياف ونقل الانتاج الريفي الى المدن و ... وخلاصة القول فان الاسواق المنتشرة في كافة انحاء البلاد ــ ترتبط بدورها بسوق طهران ــ وهي التي تمسك بيدها رأس الخيط للعلاقات الانتاجية على صعيد كل البلاد (الانتاج الصغير) .

٥ ــ انتفاضة الفلاحين والمزارعين في « ورامين » حيث بدأ تحركهم باتجاه طهران بصورة مقابلة حاملين بأيديهم المناجل والمعاول ، وكذلك الانتفاضات التي حدثت في مدن « قم » و « مشهد » و « شاهرود » والقرى المجاورة . كل ذلك في ٥ حزيران ١٩٦٣ .

٦ ــ نقطة جديرة بالاهتمام وهي التحديد الحقيقي لحركتين مختلفتين تمامًا خلال هذه الفترة المتأزمة. احدى الحركتين تقدمية والاخرى حركة رجعية حيث يبدو ان هناك خطأ في تحديد طبيعة هاتين الحركتين رغم تحركهما باتجاهين متناقضين . تشكل الحركة الاولى النضالات التقدمية والعريضة التي خاضتها البرجوازية الصغيرة والطبقة المتوسطة بشتاها الدنيا ، خاضتها ضد التغلغل الامبريالي (الامبريالية الامريكية خاصة) وضد الرأسمالية الكبيرة المرتبطة بالامبريالية والتي تجلت في انتفاضة ٥ حزيران ١٩٦٣ . اما الثانية تلك التي تجلت في الصيحات المتحضرة التي اطلقتها احناجر اكثر الاقطاعيين رجعية وتخلفا حيث لم يستطع هؤلاء الاقطاعيين مساومة البرجوازية المسيطرة حديثا بشكل من الاشكال فراحوا يحرضون افرادا معممين يسمون برجال الدين امثال البهبهاني و ... وبعض المتنفذين في اجهزة الطبقة الحاكمة السابقة (تجمع الاقطاعيين وزوجاتهم في دار البهبهاني والمطالبة باتخاذ اجراءات عاجلة و ...) ورافعين شعارات منها مثلا معارضة حرية المرأة . ان النظام القائم في ايران

يحاول جاهدا من اجل تحريف الوقائع التاريخية وذلك عن طريق الخلط بين ذلك التحرك الرجعي والنضالات التقدمية التي خاضتها الجماهير العريضة في ٥ حزيران ١٩٦٣ ضد الملكية والامبريالية (الامبريالية الامريكية) .

٧ ــ يراجع مثال « مقدمة حول بيان لجنة التنسيق الثورية للمنظمات الثورية في امريكا اللاتينية » ، ملحق رقم ــ ١ ــ من هذا الكتاب .

٨ ــ ان تأكيدنا على « المفهوم الخاص للايديولوجية البروليتارية » او المستوردة و ... عدم وجودها .. لايعني اطلاقا حصر الفكر في اطار الخصائص الوطنية او الظروف الاقليمية . وكذلك لايعني ايضا ان هذا الفكر مثلا يتمكن من الظهور فقط في ظروف السيطرة الرأسمالية في كل بلد ، في كل نقطة وبصورة متفردة . ذلك ان نشوء الطبقة العاملة والطبيعة الايديولوجية لهذه الطبقة بصفتها ايديولوجية طبقة تحسب حساب استقبال العالم لصالحها ، هي ظاهرة عالمية تفرض في المجموع توانينها العامة على كافة التحولات التاريخية اللاحقة . وبعد هذا التوضيح فاننا نقصد هنا ، الاشارة الى جملة العوامل الاساسية التي توفر الرصيد المادي لهذه الايديولوجية في الظروف الخاصة بكل مجتمع ونجيز لها طرح توانينها الخاصة والمتميزة . انطلاقا من هذه الارضية الموضوعية ، ان هذه السلسلة من العوامل الاساسية ، هي تلك العوامل التي تفصل حركة نشوء وظهور فكر معين بصفته الحصيلة الموضوعية والطبيعية لحركة اجتماعية ، عن حركة روح وانتاج ثقافة فكرية الى ذلك البلد وفي ظروف خاصة .

ملحق رقم ٤

الاخلاق المثالية والاخلاق الشيوعية

ان النقد القديم والجديد الموجه من قبل المنظرين الخاضعين للبرجوازية العالمية والرجعية الدينية ضد الفلسفة المادية الجدلية هو اتهامها بانعدام الاخلاق عندها . ان هذه الاستنتاجات الرخيصة من الفكر « المادي » وما تحمله من مقاصد خبيثة ومحدودة من « المادية البرجوازية » تصور بأن الاعتقاد بالمنشأ المادي للعالم وكأنه دحض لكافة المعنويات واستهانة بكل المقاييس والقواعد الاخلاقية .

لقد تم تحديد وتشخيص طبيعة تلك الدعايات ومن يطلقها من القوى الرجعية لا سيما بعد التطور الذي طرأ على الفكر العلمي وبعد اتساع الثورات الاشتراكية في العالم ووقوف القوى الرجعية بوجه تلك الثورات والحركات الثورية المتنامية .

ولم يكن هناك تواجد لـ « الاخلاق » بالمفهوم الاصيل للكلمة الذي ينسجم مع التعاريف العلمية لها وذلك قبل تطور القوى الانتاجية الجديدة وقبل ظهور وتطور العلم ، وايضا قبل بدء المرحلة الجديدة لتصاعد النضال البروليتاري ضد الراسمالية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، حيث تم اكتشاف النظرية التي تحكم هذه النضالات (الماركسية) والعثور على الطريق المؤدي الى تحرير الطبقة العاملة والقضاء على الاستغلال بصورة تامة وعلى الصعيد العالمي . لقد كانت هناك قبل هذا الوقت مجموعة من التقاليد والعادات والاحكام الدينية تفرض سلطانها على حياة الجماهير وتتعمد الحاق الضرر بها لصالح الطبقات الحاكمة مستفيدة في ذلك من الجمود الفكري السائد والافكار الخرافية المشلة للطاقات والامكانيات .

ان ظهور « الاخلاق العلمية الجديدة » كان يستلزم فهم موضوعين مرتبطين :

الاول معرفة ووضوح ذلك الارتباط العلمي الموضوعي القائم بين الثقافة والفكر وطبعا الاخلاقيات التي تعتبر جزءا من هذه الثقافة من

جهة ، وتوعية الحركات الاجتماعية ــ الاقتصادية للمجتمعات الانسانية (بكل ابعادها) من جهة اخرى ، حيث ان ظروف فهمها كانت لم تتوفر بعد حتى ذلك الحين .

لما الموضوع الثاني فهو اكتشاف وتوضيح تلك المهام التاريخية ، والثورية حقا الملقاة على عاتق البروليتاريا ــ كطبقـــة متنامية وذات طبيعة مناهضة للاستغلال ــ لتحرير نفسها ولا سيما والاهم من ذلك تحرير المجتمع الانساني بأكمله من قيود الاستغلال وكافـة مظاهره السياسية ــ الثقافية والاخلاقية التقليدية وقد تحقق هذا الموضـــوع بعد ظهور الماركسية وظهور الفلسفة المادية الجدلية .

واذ تواجدت « الاخلاقيات » القائمة بصورة رئيسية على اسس الميتافيزيقية الدينية والمفاهيم الذهنية المثلى ، والقوى الغيبية وقوىما وراء الطبيعة في ذلك الوقت (نظرا لسيادة الجهل والتخلف وانخفاض مستوى القوى المنتجة) . الا انه الان ومع بدء العصر العظيم من الوعي والتطور اللامحدود للقوى والافكار العلمية والثورية ، فقد برزت على الساحة الاخلاق العلمية الجديدة ــ الاخلاق الشيوعية ــ لقد قامت هذه الاخلاقية على اساس مناهضة الاستغلال طبقيا وعمليا ، ومن هنـا كانت تتناقض مع مصالح وايديولوجيات واخلاقيات الطبقات المستغلة والعناصر المرتبطة بتلك الطبقات . وقامت البرجوازية والرجعية وكافة العناصر المستغلة للجماهير المضطهدة قامت ببدء حملاتها الشرسة ضد الفلسفة الشيوعية والفكر الشيوعي وكانت هذه الحملات تتوجه الى نقطة يستلزم فهمها مقدمات معقدة وطويلة من النضال من اجل اقتلاع جذور الجهل والافكار الخرافية من نفوس الجماهير وتحريرهم من قيود الطبقات المستغلة . والحقيقة ان عجز البرجوازية العالمية والرجعية المرتبطة بها عن مهاجمة المبادىء الاساسية للفلسفة الشيوعية الداعية الى قضاء الجماهير على النظام البرجوازي المستغل ، قد تسبب في ان تقوما بممارسة اسلوب تجريح وتحريك عواطف الجماهير واحاسيسها مستفيدتين بذلك من الجهل والافكار الخرافية السائدة بين النـاس ، والتي جاءت بالضبط كمحصلة لذلك الاضطهاد والاستغلال الممارس من قبل البرجوازية والرجعية واسلافهما خلال قرون . وقد انطلقـــت

البرجوازية في نقدها للفلسفة الشيوعية من نقطة « الاخلاقيـــات » و «نفي الاله والدين» وذلك بترويجها الافكار الخرافية والقوىالوهمية.

لقد بذلت البرجوازية ومن وراءها الرجعية لسنين طويلة بذلت كل محاولاتهاالياسة من اجل تسميم افكار الجماهير والتشكيك بـــ «الفكر الشيوعي » هذه الحقيقة الواضحة السائدة في كل ارجاء العالم . اما اليوم فقد توضحت حقيقة البرجوازية وكل ما ارتكبته من فضائـــح واكاذيب وممارسات لااخلاقية ولم يمر اكثر من قرن وسنوات قليلةعلى ظهور ذلك الفكر (الشيوعية العلمية) والانتصارات المتزايدة التـــي تحرزها الملايين من الجماهير بفضل قيادة هذا التفكير ضـــد القـــوى الرجعية واسيادها من الراسماليين العالميين المتعطشين الى دمـــاء الشعوب .

وطبيعي انه بالرغم من ان هذه المناهضة للفكر الشيوعي وقواعدها الاجتماعية تلفظان انفاسها الاخيرة وتسير نحو حالة الاحتضار بالرغم من ذلك ، ما زال لها تواجد بصورة او باخرى . وفي وطننا ايضا تقوم تلك القوى التي تتجه اكثر فاكثر نحو البرجوازيـــة الايرانية العميلـــة والشاه المتعطش الى الدماء والطغمة الحاكمة العميلة وتخدمها وتكمل هجمات النظام البوليسية والشرسة من مواقع « الاخلاقيات » في حربها ضد الشيوعيين (١) . ان اولئك ممن يدعون بتمسكهم بالاخـــلاق يتصورون بأن لا يتصف بها الا من اعتقد بالقوى المثلى والخارقة المتفوقة على المادة وتحسس غضبها ورحمتها . اذ طالما لا يعترف بوجود قوة تفوقه عظمة كيف يستطيع ذلك الانسان المادي الابتعاد عن « الاعمال المغايرة للاخلاق » ؟ وكيف يتمكن من ذلك ما لم يعتقد بتجدد الحياة بعد الممات ، والعذاب والسعادة والجنة والنار و ...؟ ان اولئك المدافعين عن الاخلاق ، المضطرين الى تجسيد القوى المثلى والجن والملائكة في اذهانهم ، تجسيدها الات المرات عند قيامهم بأي عمل «جيدا» كان ام « سيئا » (حسب ما يطلقون عليها من معان) ويقومون بوزن آثار تلك الاعمال وما تعطيه من نتائـــج وما تدره من فوائد واضرار ويحسبون الف حساب لما تسببه تلك الاعمال في يوم القيامـــة ، ان هـــؤلاء لا يستطيعون التصديق بهذه الحقيقة واستيعابها وهي ان الشيوعي مـــن

اجل قيامه بعمل صحيح وابتعاده عن اللاصحيح لن يحتاج الى مثل تلك القيود الميتافيزيقية والضغوط الخارجية او المثالية . انهم لا يستطيعون التصور بأن الشخص المادي الحقيقي والشخص الشيوعي لن يحتاج اطلاقا من اجل القيام « باعمال » او الابتعاد عن اخرى لن يحتاج الى الشعور بالذل والعبودية والشعور بوجود سلطان القوى المثلى .

ذلك ان الشيوعي وما يقوم به من اعمال ، ناتي انسجاما مـــع الحقائق المطروحة امامه ازاء فهمه للضرورات المتنامية والثورية فـي العالم وكل ما تستوجبه تلك الضرورات وما تحتاج اليه . ان التوصل الى تلك الحقائق وفهمها والشروع بالعمل البناء والجاد والمتواصل من اجل انجازها هو بمثابة المهمة الاساسية وفي صميم الاستنتاجات المادية والشيوعية . لذلك فان **الشيوعي يعثر على مقياس الاعمال الصحيحة وغير الصحيحة** من خلال مساعيه الجادة لمعرفة حقيقة العالم ومن خلال ما يبذله من طاقات جبارة للتوصل الى معرفة **المتغيرات الثوريـــة المتنامية للمجتمع الانساني وما تحتاجه من ضرورات اساسية** . انـــه يؤمن ايمانا كاملا بوجود حقيقة في هذا العالم وطالما هو باحث عن تلك الحقيقة باستمرار ، بوصفه شيوعيا حقيقيا ، اذا فان العمل من اجـــل تثبيتها وتنفيذ متطلباتها يكون « صحيحا » والتغاضي عنها « غيـــر صحيح » . ان هذا النوع من الاستنتاج بالنسبة لحركة التاريـــخ والطبيعة والعالم ككل يحدد واجب «الاخلاق» و «المهام» و « الحسنات والسيئات » وكافة المفاهيم الاخرى . وكضرورة (ضرورة علمية وليس ضرورة عشوائية) فان على الشيوعي ان يتحرك بصورة مستمـــرة باتجاه معرفة الضرورات المتنامية والثورية في العالم وان يتحـــرك باستمرار باتجاه الخير والكمال والحق والحقيقة بما تحمله هذه المفاهيم من معان في هذا المجال فقط ، وذلك من اجـــل البقاء في المواقـــع الشيوعية ومواقع فهم حقيقة مادية العالم . ان مثل هذا العمل وهذا الاتجاه ينبعان من طبيعة هذا التفكير ومن طبيعة الاستنتاج المـــادي للعالـــم .

الا ان الانسان المثالي ومهما يتمتع به من ايمان وتقوى واعمـــال خيرية ومهما يحمله من صفات جليلة فانها ليست سوى امور نفـــذت اليه عن طريق التلقين والصدفة ولا اساس لها من الصحة داخـــل الوجود الانساني المبدع وفكره الحر . تلك الامور المتعارضة تمامـــا ومتطلعاته المتنامية نحو الفهم العلمي وضرورة الاستفادة المتعاظمة من طاقاته المبدعة ونشاطاته وهناك ادلـــة بسيطة تؤكد ذلـــك وهي : ان تساؤلات الانسان المثالي ومساعيه وجهوده الحرة والارادية والواعيـــه لا تقوم على اساس التوصل الى تلك الحقيقة التي اوجدت هذه الامور وبالتالي فان تلك الصفات الجليلة وذلك الايمان والتقوى و ... تحصل على ضرورتها تحت تأثير تلك القوى المثلى وارادتها وسلطانها او تقوم على اساس التصورات الذهنية الممتلئة بالخوف الشديد من جبروتها وشدة عقابها . تلك التصورات الرهيبة المؤشرة الى عواقب عدم الطاعـــة والتمرد (وخاصة في الاخرة) .

المحصلة : ان الاخلاقيات المثالية تعيش الان حالة احتضار وتسير اسرع من اي وقت مضى نحو الفناء خاصة وان التطورات كلها لصالح القوى التقدمية وانتصار الافكار الثورية الجديدة في عصرنا هذا . ان احتضار تلك الاخلاقيات ونهايتها جاء لاسباب ، منها : **نظرا لانها ناشئة من جهل الفرد المثالي** (اعتقاده بشيء لن يعرفه ولن يفهمه في النهاية بل ويجب ان لا يفكر به وفي الحقيقة عليه ان لا يفهمه ابدا) وليس في وعيه ونظرته العلمية للعالم . ونظرا لوقوعها ايضا تحت ضغط تلـــك القوى المثلى (او عطفها) وسلطانها الحاسم (الذي يحدد مصير كل العالم) وليس في ضميره الحر والواعي ونظرا لان الضمانة الوحيدة لاستمرار وبقاء هذه الاخلاقيات هي تلك الوعود والتهديدات الفارغة التي تنسبت الى القوى المثلى والقلق الذي تثيره تلك القوى وما تعتقده من آمال كاذبة وليست تلك المسؤوليات الناتجة عن الفهم العميـــق للحقائق الموجودة والمتنامية في العالم . نظرا لكل هذا وذاك تؤكد على الاندحار المتزايد لمثل ذلك الايمان وتلك الاخلاقيات خاصة في عالمنا اليوم الذي تتجه كل التطورات الجارية فيه لصالح القوى التقدمية وانتصار الافكار الثورية الجديدة .

لقد اصبح واضحا الان انه اذا ما ازيلت هذه النظرة وتلك القوى الخارجية المتلى عن ذهنية اشد المثاليين ايمانا واكثرهم « تقـــوى » واذا ما ازيلت تلك الوعود حول جنة الخلد والتهديد بعذاب الجحيـــم ، فان الالتزام بالاخلاقيات والقيام بالاعمال الخيرية يصبح ضربا مـــن الجنون . والواقع ان ذلك الانسان المثالي يتحسس تلك الميول فـــي ضميره ويتمنى لو ازيلت هذ «العراقيل الحديدية الحاضرة في ذهنه كي لا يرحم اقرب المقربين اليه وليصبح اكثر الحيوانات شراسة ويخلص بنفسه فورا ودون ما وجل من كل العقد التاريخية وتلك العقد المتخمة الناتجة عن ضغوط المعتقدات المثالية وارهابها .

لقد بات من الواضح بعد كل ما تطرقنا اليه بهذا الخصوص انـــه « قياسا لما يراه في ضميره » فان هذا « المؤمن وحتى اكثرهم تدسية » لا يقدر على التصديق بوجود اناس لا يعرفون معنى لمثل تلك الافكـــار الفاسدة اطلاقا !؟ في نفس الوقت الذي لا يشعرون فيه بضغط تلـك القوى الوهمية وخوفها وارهابها ولكنهم لا يفكرون بمـــا يفكر به ولا يتمنون ما يتمناه هو وذلك لتحليهم بالاخلاق الشيوعية .

هناك الان نقطتين جديرتين بالاهتمام :

النقطة الاولى ، هي انه ما زال امامنا طريقا طويلا وعرا للتوصل الى حقيقة العالم المادية وانتصار تلك الحقيقة وانتشارها . اذ ما زالت هناك استنتاجات رخيصة حول « المادية » مبنية على « الماديـــة البرجوازية » يرددها اناس معينون وما زال هناك شعور يتبادر الى الاذهان فورا عند سماع كلمة « الشيوعية » يتجسد بعدم الاعتقـــاد بأي دين او حسب ونسب او اي مبدا او معان اخلاقية (مع ان تلـك التصورات ذاتها من صنع السموم الاعلامية التي تروجها الامبريالية والراسمالية العالمية والانظمة الرجعية) . ان ذلك يعني بأن قوة الجهل والافكار الخرافية والرجعية ما زالت تشكل عقبة كبيرة على طريـق تقدم العالم وتحدد بدورها ابعاد المهام الحماسية الجسيمة الملقاة على عاتق القوى الثوريـــة والشيوعيين خاصـــة ، عـــلى طريق تحريـــر « الانسانية » .

النقطة الثانية ، « الانســان » يتمتع بطاقات جبارة واستعدادات هائلة في حرية التفكير والابداع والتوصل الى الحقيقة . فكيف تقـــوم المعتقدات الميتافيزيقية بعرقلة تلك الطاقات ! ان تلك المعتقدات ، لم تبد خيرة طاقات الانسان المبدعة فحسب وانما تجعل منه تدريجيـــا انسانا ضعيفا متخاذلا وغير واثق من نفسه (تخاذله امام تلك القوى القاهرة التي لا يمكنه معرفتها اطلاقا بل عليه ان لا يفكر بها ابدا) . ان الانسان يصبح مريضا نظرا لان الميتافيزيقية تسيطر عليه روحه وتفكيره وتجعل منهما شيئا جامدا لا يستطيع الحراك ، وتعرقل وتحرف نشاطاته الفكرية نافثة فيها سمومها الرجعية وما تحمله تلك السموم من معتقدات سخيفة ، مخدرة ممتلئة بأفكار ميتافيزيقية ، حيث تختفي تلك النشاطات لتحل محلها الافكار الجامدة المتحجرة . لذلك فان افكاره القادرة على الطيران والتوصل الى كل خفايا هذا العالم تبقى ساكنـــة في مكانها واقعة في الكمين الضيق المظلم وذلك الشرك الذي نصبتـــه تلك الافكار الخرافية والمعتقدات الميتافيزيقية وتغوص روحه النشطة المتفحصة والباحثة عن الحقيقة تغوص في مستنقع القناعة والرضـــى بقوى الضلالة والفساد .

ان الافكار « الميتافيزيقية » تقضي على ثقة الانسان بنفسه وتجعل منه شيئا مسيرا واقعا تحت تأثير القوى الوهمية والقاهرة التـــي تمسك بمقدرات كـــل شيء القادرة على كـــل شيء المحددة لمصيـــر الانسان وكونه عبدا ذليلا لا يستطيع الحراك ويبقى السلطان لمن يعمل خلف الكواليس والاصابع المحركة للدمى . ان الافكار « الميتافيزيقية » تمهد الظروف لتحقيق اغراض القوى المستغلة عن طريق تقييد الانسان في بئر الخطيئة وعدم الطاعة وعن طريق ارهابه المستمر وتخويفه مـــن العقاب والعذاب وعن طريق تحجير بعض المبادىء (التي يمكـــن ان تكون صحيحة او غير صحيحة في ظروف مختلفة) وفرضها علـــى الجماهير والالتزام بها بصورة عبودية .

ان التعرف على ما احدثه ذلك الارهاب والخوف ، وما قام به من دور على مدى التاريخ لصالح الطبقات الحاكمة والتعرف على ذلـك التحجير للمبادىء ووضع العراقيل على طريق الفهم الحقيقي لطبيعـة الوجود وتبذير طاقات الانسان المبدعة وان التعرف ايضا علـى مـدى فاعلية ذلك السيف الذي استغلته الطبقات الحاكمة لتسليطه علـى رقاب الاف الملايين من المعدمين المرتابين بشكل مستمر من عـذاب الاخرة اضافة الى ماتحملهم لمشاق الدنيا وبايجاز فان التعرف على مدى فاعلية الدور الرجعي الذي لعبه ذلك الارهاب والخوف من القوى المثلى الميتافيزيقية والامل برحمتها وعطفها ، ان معرفة كل هذا من شأنه ان يكون مقياسا للتعرف على طبيعة تلك المعتقدات المناهضة للشعـوب وللافكار الثورية في عالمنا هذا ومعرفة الدور الرجعي الذي لعبته امام التحرر وانعتاق الانسانية جمعاء .

الهامش

١ ــ ينبغي التنبيه هنا الى ان البعض ممن يسيرون في حضور واستمرار النظام متمثلا اكثر لمصالحهم الذاتية ووجودنا طبعا تهديدا لسلامة تلـك المصالح ، يقوم بمهاجمة وادانة الفكـر الشيوعي داخل الاوساط والتجمعـات الخاصة ، ممثلا غضبتهم ونقمتهم على ذلك الفكر . وقد شوهد اكثر من مرة حتى الان ان هؤلاء يحاولون بكل صفاقة التعرض الى نماذج غير مرغوب فيها وليست الشيوعية بمجرد انها تسـمى بالشيوعية (مثلا الانحراف الذي مارسته قيادة حزب توده السابق وتوجهاتهـا اللاصحيحة واعطائها نوعا من الشمولية ثم الصاقها بالشيوعية وهذا ما يخدم النظام فعله ايضا) . وفي المقابـل تحاول عناصر اخرى مخلصة وغير مرتبطة (والذين جاءت علاقاتهم بالايديولوجيـة البرجوازية الصغيرة نتيجـة لسلسلة امور اجتماعية وثقافية) ونقصد بهم بعض رجال الدين التقدميين (حيث يجب كما هو في الظاهر ان تكون خلافاتهم مع الشيوعية اعمق) تحاول تلك العناصر الدفاع عن الدور القيادي الذي يقـوم به الشيوعيين على صعيد العالم (تلاحظ النظرة الضيقة الناتجة عن مصالـح البعض ومقارنتها مع سعـة النظـرة النسبية التي تتمتع بها هذه العناصر) وفاعلية تفكيرهم وممارساتهم على طريق تحرير الشعوب المضطهدة . اذ تقول هذه العناصر مثلا : انجازات قد تحققت في البلد (الفلاني) الفاد مـن قبل حزب شيوعي لم تكن تحلم بهـا طلقا ... او لقد انهى الشيوعيون وخلال اسبوع واحد فقط على الفحشاء ... او وضع حد لموضوع الجريمة في نيتنام او حصل في الصين ...

نعم ايها السادة ، انتم ترون مـا يمكن ان يكون لهذه الاحداث اليومية التي تصادفونها في كل مجالات الحياة من دروس وعبر قيمة ! اذا لا عليكم الا الخروج مـن تلك الطوق المضروب حول مصالحكـم المحدودة ! لتحصلوا على الحقيقة . فماذا عن هؤلاء . هل بامكانكم العمل لتصالحوهم بهم ايضا !!

الفهرس

المقدمة

— اسباب تأخير نشر هذا البيان ٧
— هدفنا من نشر هذا البيان ١٠
— النضال الايديولوجي ومراحله المختلفة ١٢
— المقاومات ، المشاكل والعقبات ١٥
— حركة الشعب الثورية وقضاياها المرحلية الاكثر حسما ٢٠
— اوضاع جبهة الكفاح ٢١
— العلاقات القائمة بين الحركة المسلحة الطليعية ومختلف الطبقات الشعبية ٢٤
— الاوضاع العامة للطبقة العاملة ٢٧
— العلاقة بين الحركة الثورية الايرانية والحركة العفوية للطبقة العاملة ٣١
— الاوضاع الداخلة السائدة داخل الحركة ٣٢
— نظرة عابرة الى الحركات الفلاحية الريفية وعلاقتها بالحركة الثورية ٣٦
— **الجبهة الشعبية الموحدة** : الخطوة الاولى نحو الوحدة ٣٩

بيان عن المواقف الايديولوجية لمنظمة مجاهدي الشعب الايراني

المدخل

— ضرورة دراسة المحتوى الايديولوجي للمنظمة ومسار تطورها في هذه المرحلة ٥٣

الفصل الاول

— نظرة سريعة الى المسار التكاملي للافكار النضالية خلال السنوات الثلاثين الاخيرة ٥٩
— التيار النضالي الماركسي ٦٠

— التيار القومي الاصلاحي للبرجوازية الوطنية ٦٣
— الاتجاه الديني الدوغمائي والكفاحي المتطرف العنيف ٦٤
— الاصلاحيون الوطنيون الديمقراطيون والهزيمة السياسية
— الايديولوجية التاريخيـــة التي منوا بها ٦٧

الفصل الثاني

نشوء اوضاع اجتماعية جديدة ، سيطرة البرجوازية المرتبطة ، نمو البروليتاريا وضرورة اشكال سياسية تنظيميـــة ايديولوجية جديدة للنضال
أ — الظروف الموضوعية للنمو ٧٦
ب — الظروف الذهنية للنمو ٧٩

الفصل الثالث

دراسة مختلف المراحل السياسية — التنظيمية والايديولوجية التي مرت بهـــا منظمتنا

الفترة الاولى
السنوات ١٩٦٥ — ١٩٦٨

— فترة الاعداد والتعـــرف المبدئي علـــى اساليب العمل السياسي السري ٨١
— استنتاجان متناقضان ، علمـــي وغير علمي ، لمسالة الاستغـــلال ٨٦
— بروز التناقضات الايديولوجية في المنهج التثقيفي للمنظمة ٩١

الفترة الثانية
اوائل سنة ١٩٦٨ الى اوائل صيف ١٩٧٠

— نشوء حركة ثقافية حديثة الطراز ، فترة نمـــو وتوسع المنظمة ، تدويـــن الايديولوجية الاسلاميـــة الثورية ؛ التحضير للبدء بالعمل المسلح ٩٥
— كيفية اتخاذنا الموقف من الماركسية ٩٨
— مسالة الوحي وانكار الدور الحاسم للجماهير في صنع التاريـــخ ١٠٣
— اسلوب المعرفة الازدواجية (التوفيقية) والتناقضات الناجمة عنه في مجرى العمل الثوري ١٠٨

الهوامش ١١٣

الملاحـــق

ملحق رقم ١

— مقدمة حول « بيان لجنـــة التنسيق الثوريـــة للمنظمـــات الثورية في امريكـــا اللاتينية » ١٧٩

ملحق رقم ٢

— مقدمة حول مقال « الثـــورة البروليتارية والتحريفية الخروشيفية » الطبعة الثانية ١٩١

ملحق رقم ٣

— المنشا الاجتماعي للمثالية الموجودة داخل فكر المنظمة وطبيعتها الطبقية ٢٠١

ملحق رقم ٤

— الاخلاق المثالية والاخلاق الشيوعية ٢١٧

الرفاق الاعزاء :

يرجى مراسلتنا على عنوان (لجنة مناصرة الشعوب الايرانية) وابعثوا بآراءكم ومقترحاتكم وانتقادا.

صندوق بريد ٢٤٦
كريتر ــ عدن
جمهـوريه اليمن الديمقراطيـــة الشعبية

العنوان البنكي :
البنك الاهلي اليمني ـ فرع النواهي
رقم الحساب ٥٩٣٩٧